جامعة الخليل
عمادة الدراسات العليا
برنـامج اللغة العربية



حركة التّراث في شعر أبي تمام والمتنبي

إعداد الطالبة
نداء " محمّد عزّالدين " محمود الحرباوي

إشراف

الدكتور . حسام التّميمي

أستاذ الأدب العبّاسي المشارك

قدّمت هذه الرّسالة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللّغة العربيّة بعمادة الدّراسات العليا في جامعة الخليل .
1430 هــ - 2009 م

حركة التّراث في شعر أبي تمام والمتنبي

إعداد الطالبة

نداء " محمّد عزّالدين " محمود الحرباوي

نوقشت هذه الرسالة يوم السبت تاريخ 30 / 5 /2009م. الموافق 6 من جمادى الآخرة لسنة 1430 هـ وأجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة :

1. الدكتور حسام التميمي المشرف رئيساً ....

2. الأستاذ الدكتور خليل عودة ممتحناً خارجياً ....

3. الدكتور نادر قاسم ممتحناً داخلياً ....

ملخص البحث

حركة التّراث في شعر أبي تمّام والمتنبّي

جاء البحث في تمهيد وأربعة فصول , وقفت في التّمهيد على مواقف النّقاد القدماء من التّراث , وأهميّة ثقافة الشّاعر , وآراء النّقاد المحدثين في الأخذ مــن التّــراث , أمّــا الفصول الأربعة فقد توزّعت فيها مادّة البحث الأصليّة.

فتناولت في الفصل الأول أثر التّراث الدّيني من حيث توظيف الــنّص القرآنـــيّ لفظاً ومعنى وصورة , وما يتعلّق به من قصص . وتوظيف الحديث النّبــوي الــشّريف , والتّواصل مع الكتاب المقدس .

وتناولت في الفصل الثّاني توظيف التّراث الأدبيّ في شعر أبي تمام والمتنبي من حيث توظيف قصص الشّعراء ومواقفهم وألفاظهم ومعانيهم وصورهم , وغيرهم من أدباء وخطباء وبلغاء , وشخصيات اشتهرت بسمات معينة , وكذلك الأمثال.

وتناولت في الفصل الثّالث أثر التّراث التّاريخي في شعر أبي تمام والمتنبي من حيث توظيف الشّخصيّات التّاريخيّة , والأحداث التّاريخيّة , والوقائع والمعارك.

كما تناولت في الفصل الرّابع والأخير أثر التّراث في التّشكيل الفنّي في بناء القصيدة واللّغة والصّورة الشّعرية , والاقتباس والتّضمين , والتّناص في شعر أبي تمام والمتنبي.

وانتهى البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث .

الإهداء

إلى أولئك الذين أحيا بهم ومعهم , إلى أمي وأبي , وشقيقاتي , وشقيقيّ.

الشكر والتقدير

إلى خالقي أتضرّع شاكرة ممتنّة , فسبحانك اللّهم راعياً للورى , فأنت الأحقّ بـأن تحمد , وأنت الأحقّ أن تشكر .

أتقدم بوافر الامتنان , وجزيل الشّكر للدكتور ." حسام التّميمي " مشرفاً علـى هـذه الرّسالة, بدءاً باختياره الموضوع , وانتقالاً إلى ما بذله من توجيه ورعاية , فجزاه الله كلّ الخير, وأطال في عمره سادناً للعلم والأدب .

وأتقدم بخالص شكري لكلّ من ذلّل عثرة في طريقي , وخاصّة القائمين على مكتبـة الجامعة الأردنيّة , ومكتبة جامعة اليرموك .

أما الأساتذة الأجلاء أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور خليل عودة عميـد كلّيـة الآداب في جامعة النّجاح الوطنيّة , والدّكتور نادر قاسم أستاذ الأدب الحديث المشارك في جامعة الخليل , فلهم مني عظيم الشّكر والتّقدير لما بذلوه من جهد في قراءة هذه الرّسـالة, ولما أبدوه من ملاحظات قيّمة تنير البحث وتجلّي الكثير ممّا أبهم فيه , وأسأل الله العلـيّ العظيم التّوفيق والرّعاية .

المحتويات

الفصل الثالث

مقدّمة

الحمد لله الّذي قدّر لي أن أسير في هذا الدّرب , وألهمني القدرة على مواصـــلته , وتحمّل عثراته الّتي ما كانت لتذلّل لولا إرادته , وما كنت لأستطيع تحمّل هذا العبء لولا مشيئته . لقد كان موضوع حركة التّراث في شعر أبي تمّام والمتنبّي موضوع دراســتي. وقد جاء الاختيار انطلاقاً من مدى أهميّة الموضوع النّابعة من الحضور المميّــز للتّــراث في شعر أبي تمّام والمتنبّي . فالتّراث مخزون الأمّة الّذي يحفظ هويتها , ووحدة كيانها بما يشتمل عليه من قيم فكريّة وثقافيّة وحضاريّة , تتشكّل عبر العصور حتّى تصبح جزءاً من كيانها , وهو مصدر إلهام للأدباء يثري إنتاجهم الفنيّ , ويشكّل إيحاء للسّامع , فيترك فـــي نفسه ألواناً لا يتركها غيره من المؤثّرات . والأدباء في كلّ عصر يستلهمون تراث أممهم, كما يستلهمون تراث غيرهم من الأمم , ولم يخل الشّعر العربيّ من هذه الإشارات التّراثية الّتي يوظّفها كلّ شاعر حسب قدراته على استلهام هذا التّراث وتوظيفه .

لقد اعتمدت الدارسة في هذا البحث على المنهج الوصفيّ التحليليّ , للتّوصـــل إلـــى نتائج واضحة ومفيدة تبرز قيمة هذه الدّراسة . وقد كثرت الدّراسات الّتي تناولت شعر أبي تمّام والمتنبّي , وقد جاءت بعض تلك الدّراسات على شكل بحـــوث فـــي كتـــب أو فـــي دوريّات, أو على شكل رسائل علميّة , ومن الكتب الحديثة المتعلّقة بهذا الموضوع كتـــاب ثقافة أبي تمّام من شعره , وثقافة المتنبّي وأثرها في شعره , ومقدمة القصيدة فـــي شـــعر أبي تمّام والمتنبّي..... , ومن الدّوريات بحث عنوانه : استلهام التّراث فـــي شـــعر أبـــي تمّام, والتّناص في شعر أبي تمّـــام " قصيدة الحقّ أبلج نموذجاً " , ومن الرّسائل الجامعية, رسالة بعنوان : التّناص في شعر المتنبّي , رسالة دكتوراه لإبراهيم عقله عبـــد الـــرّحمن جوخان, جامعة اليرموك , إربد – الأردن , 2006 .

وعلى الرّغم من تنوّع هذه الدّراسات إلاّ أنّ هذه الدّراسة قُدّمت في شكل مختلف عن غيرها من الدّراسات الأدبيّة في المجال نفسه , وهو أمر مردود إلى طبيعة المادّة الّتي قامت عليها , والمحاور الّتي تناولتها هذه الدّراسة .

أمّا المصادر والمراجع الّتي استندت إليها هذه الدّراسة , فكانت ديواني الشّاعرين : ديوان أبي تمّام بشرح التبريزي تحقيق محمّد عبده عزّام , وديوان أبي الطّيب المتنبّي بشرح أبي البقاء العكبري المسمّى " التّبيان في شرح الديوان " , وغيرها من دواوين الشّعراء الّذين عاشوا قبل أبي تمّام والمتنبّي , والكتب النّقدية القديمة مثل أخبار أبي تمّام للصولي , والعمدة لابن رشيق القيروانيّ , والوساطة للجرجانيّ , والمثل السّائر لابن الأثير , ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجنّي.... . وقد كانت الكتب السّماوية كذلك من مصادر الدّراسة لارتباطها بموضوعها , إضافة إلى كتب الأحاديث النّبويّة الشّريفة , وقصص الأنبياء , وكتب الأمثال والتّاريخ , كما اعتمدت على مراجع متعدّدة , إذ استندت إلى بعض المسائل النّظرية , ولم يكن لأي منها طغيان على الآخر .

وجاءت الرّسالة في تمهيد وأربعة فصول , وقفت الباحثة في التّمهيد على مواقف النّقاد القدماء من التّراث , وأهميّة ثقافة الشّاعر , وآراء النّقاد في طرق الأخذ من التّراث, وآراء بعض النّقاد المحدثين , أمّا الفصول الأربعة فقد توزّعت فيها مادّة البحث الأصليّة.

فتناولت الباحثة في الفصل الأوّل أثر التّراث الدّيني في شعر أبي تمّام والمتنبّي المتمثّل بالقرآن الكريم وقصص الرّسل والأنبياء منذ عهد آدم وحتّى محمد – عليهم السّلام -, والحديث النّبوي الشّريف, والكتاب المقدّس.

وتناولت الباحثة في الفصل الثّاني التّراث الأدبيّ في شعر أبي تمّام والمتنبّي , من حيث توظيف معاني الشّعراء وألفاظهم وصورهم ومواقفهم وقصصهم , وغيرهم من أدباء وخطباء وممّن اشتهروا بصفات معيّنة , وكذلك الأمثال.

وتناولت الباحثة في الفصل الثّالث أثر التّراث التّاريخي في شعر أبي تمّام والمتنبّي من حيث توظيف الشّخصيات , والأحداث التّاريخية , والوقائع والمعارك في مختلف العصور, وتوظيف الأسطورة.

وأبرزت في الفصل الرّابع أثر التّواصل بالتّراث في التّشكيل الفنّي للقصيدة في شعر الشّاعرين, حيث بينت فيه أثر التّراث في بناء القصيدة واللّغة والصّورة الشّعرية والاقتباس والتّضمين, والتّناص في شعر أبي تمّام في قصيدة " الحقّ أبلج " , والتّناص في شعر المتنبّي في داليّته الّتي يفخر فيها بنفسه , وذلك لتنوع التّراث في هاتين القصيدتين , وتجنّباً لتكرار النّماذج المدروسة في فصول البحث : الأول , والثّاني , والثّالث.

وانتهى البحث بخاتمة تضمّنت أهمّ النّتائج , وثبت بالمصادر والمراجع الّتي أفادت منها الدّراسة .

وأخيراً وليس آخراً , فإن أكن قد وفّقت فيما قدّمت فبفضل من الله , له الحمد وجزيل الشّكر , وإن كانت الأخرى سألته السّداد والهداية والرّشاد , له الأمر من قبل ومن بعد هو حسبي ونعم الوكيل .

تمهيد

موقف النقاد القدماء والمحدثين من التراث

ثقافة الشّاعر

يعدّ الشّعر علماً من علوم العرب ([1]), وفنّاً من فنونها الكلاميّة , عمـــاده وســـرّ وجـــوده الملكة " الموهبة أو الطّبع " ([2]) لدى الإنسان في فن الشّعر بخاصّة , غير أنّ هذه الملكة لا تخلق وحدها شاعراً مجيداً في فنّه , فعلى الشّاعر أن يتعهّدها بالعناية , ويزودها بما تفتقــر إليـــــه , فيتعهّدها بالصّقل والمران حتّى تؤتي ثمارها, وتقتدر في فنّها . ووسيلة الشّاعر إلى ذلك إطـــار شعري يمثّل صلته بتراثه الشّعري وذلك من خلال دراسة ما يتسنّى له من الأشـــعار , وحفــظ نماذج منها والنّسج على منوالها , إضافة إلى الإلمام بالمعارف والعلوم المختلفة . وهذا لا يعنـــي أنّ المطبوع لا يقدر على الخلق والإبداع , فقد يتحقّق له ذلك دون وعي وبصيرة , ومتى قـــصد الجيّد تعثّرت ملكته وقصرت عن غايتها " كالمقعد يجد في نفسه القوّه على النّهوض فـــلا تعينـــه الآلـــة" ([3]) .

وقد تنبّه الشّعراء والنّقاد قديماً إلى أهمية الحفظ في تنمية ملكة النّظم لدى الشّاعر, فكـــان الشّاعر يلزم شاعراً آخر زمناً طويلاً يتتلمذ فيه على يديه , فيروي شعره ويـــتعلّم منـــه قـــوانين النّظم وأصول الصّنعة الشّعرية . فكان زهير بن أبي سلمى راويـــة أوس بـــن حجـــر وطفيـــل الغـــنوي , وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإياديّ ([4]) .

وعكف كثير من الشّعراء على دواوين القدماء وبخاصّة الفحول يدرســـونها ويحفظونهـــا حتّى يحقّقوا لأنفسهم ثقافة شعريّة واسعة , ومنهم أبو تمّام الّذي قال : " لم أنظـــم شـــعراً حتّـــى

---

[1]) الجرجاني , ***الوساطة بين المتنبي وخصومه*** *15/.*

[2]) " واعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة , وقد قيـــل : ينبغـــي للكاتب أن يتعلق بكل علم ... وملاك ذلك كله الطبع , فإنه إذا لم يكن ثم طبع فإنه لا تغني تلـــك الآلات شيئاً , ومثال ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد والحديد الذي يقدح بها , ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئاً ؟ " ابن الأثير , ***المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر*** *1 / 27*

[3]) ابن رشيق , ***العمدة*** 1 / 178 .

[4]) نفسه 1 / 178 .

حفظت سبعة عشر ديواناً للنّساء خاصة دون الرجال"([1]) ولم يكن يضيّع أدنى فرصة تتهيّـأ لــه ليحفظ المزيد من الشّعر يغذّي به ملكته . ([2])

وحثّ النّقاد القدماء الشّاعر على التّزوّد بالأخبار القديمة , والنّهل منهـا وحفـظ الـشّعر وروايته وإعادة تشكيله وبنائه , والأخذ من كلّ علم بطرف , ليستطيع أن يحذو حـذو القـدماء وينطبع بطباعهم , فعندما كانوا يميّزون شاعراً يصفونه بأنّه متّصل بثقافة عصره , ونتاج مـن سبقوه , ويقول الجاحظ عن الفرزدق : إنّه"راوية النّاس وشاعرهم وصاحب أخبارهم ".([3])

ويقول الأصمعي :"لا يصير الشّاعر في قريض الشّعر فحلاً حتّى يروي أشعار العرب , ويسمع الأخبار , ويعرف المعاني , وتدور في مسامعه الألفاظ " ([4]). وأما ابن المـدبّر فحـضّ الكتّاب الناشئين على التّمرس بما يحتاجون إليه من علوم العربيّة , وأكّد ضرورة الاطّلاع علـى معارف العصر وتياراته الأجنبيّة . وطالبهم بالنّظر في " معاني العجـم , وحـدود المنطـق , وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم وسيرهم ومكايدهم في حروبهم" ([5])

وأوجب ابن طباطبا العلويّ على الشّاعر أن " يُديم النّظر في الأشعار ... لتلتـصق معانيهـا بفهمه , وترسخ أصولها في قلبه , وتصير مواد لطبعه ويذرب لسانه بألفاظها , فإذا جاش فكـره بالشّعر أدّى إليه نتائج ما استفاده ممّا نظر فيه من تلك الأشعار... " ([6]) . وأيده العسكري بقوله: " فألفاظ اللّغة إنّما يؤخذ جزلها وفصيحها وغريبها من الشّعر ... ومن لم يكن راويـة لأشـعار العرب تبيّن النّقص في صناعته ...وكذلك لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيّامها ووقايعهـا

---

1) ابن الأثير, ***المثل السائر*** 2 / 365.

2) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 604.

3) ***البيان والتبيين*** 1 / 192 .

4) ابن رشيق , ***العمدة*** 1 / 178 .

5) ***الرسالة العذراء في رسائل البلغاء*** / 228 .

6) ***عيار الشعر*** / *16* .

إلا من جملة أشعارها , فالشّعر ديوان العرب , وخزانة حكمتها , ومستنبط آدابهـــا, ومـــستودع علومها ..." ([1]).

ورأى القاضي الجرجانيّ أنّ حاجة الشّاعر المحدث إلى الرّواية أمسّ , وإلى كثرة الحفـــظ أفقر, إذ كانت العرب تروي وتحفظ , وتعرف بعضها برواية شعر بعض ([2]), وممّن أيّـــد رأيـــه حازم القرطاجني بقوله :" وأنت لا تجد شاعراً مجيداً منهم - أي القدماء – إلا وقد لزم شـــاعرًا آخر المدّة الطويلة وتعلّم منه قوانين النّظم واستفاد عنه الدّربة في أنحاء التّصاريف البلاغيّـــة ... فإذا كان أهل ذلك الزّمان قد احتاجوا إلى التّعليم الطّويل , فما ظنك بأهـــل هـــذا الزّمـــان – أي زمانه – بل أيّه نسبه بين الفريقين في ذلك " ([3]).

ولم يكتف ابن رشيق بمطالبة الشّاعر رواية أشعار القدماء , وإلمامه بكلّ علـــم كـــالنّحو والفقه والحساب والفريضة , وأنساب العرب وأيامهم بل طالبـــه أيـــضا بـــالنّظر فـــي أشـــعار المولّديـــن , لأنّه تتوفر في أشعارهم أشياء لم تكن للمتقدّمين كحـــلاوة اللّفـــظ وقـــرب المأخـــذ, وإشارات الملح . ([4]) أي أنّه طالب الشّاعر أن يجمع بين الثّقافتين : القديمة والحديثة , ويختـــار من كلّ منهما ما يناسبه .

وأضاف ابن سنان الخفاجيّ إلى الأدوات السّالفة الذّكر الأوزان والقوافي . ([5]) أمـــا ابـــن الأثير فقد حصر أدوات الشّاعر بثمان , وانفرد بذكر ثلاث منها هي : حفظ القران الكريم , ومـــا يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن الرّسول – صـــلّى الله عليـــه وســـلّم – ومعرفـــة الأحكـــام السّلطانيّة في الإمامة والإمارة والقضاء ([6]).

---

[1]) ***الصناعتين*** */ 165 .*
[2]) ***الوساطة بين المتنبي ,خصومه*** / 16 .
[3]) ***منهاج البلغاء وسراج الأدباء*** */ 27 .*
[4]) ينظر ***العمدة*** *1 / 177 , 178 .*
[5]) ***سر الفصاحة*** */ 342 .*
[6]) ***المثل السائر*** *1 / 29 .*

وانفرد ابن خلدون من بين النّقاد العرب بأن جعل الملكة وليدة الحفظ , علماً بأنّ النّقاد يقولون بوجوب الملكة أولاً وتقوى بعد ذلك بالحفظ والثّقافة والمران . فأكّد أهمية حفظ الشّعر وعده الشّرط الأوّل لصناعته "كي تنشأ في النّفس ملكة ينسج على منوالها"([1]).

كما حدد ابن خلدون أقل ما يحتاج إليه الإنسان كي يصبح شاعراً , وهو شعر شاعر من الفحول الإسلاميين كابن أبي ربيعة وكثير وذي الرّمة وجرير وأبي نواس وحبيب والبحتري والرضي وأبي فراس , وأكثره شعر كتاب الأغاني , لأنّه جمع شعر أهل الطبقة الإسلاميّة, والمختار من شعر الجاهليّة , وكلّما كثر المحفوظ وتعدّدت النّماذج أصبح النّسج على منوالها أيسر فإن أكثر النّاظم من التّدرب استحكمت الملكة([2]).

وجعل ابن خلدون لطبيعة المحفوظ قيمة كبرى في تشكيل الملكة وتوجيه مسارها , فالمحفوظ الحرّ النّقي الكثير الأساليب يشكّل ملكة مختلفة عن الّتي يشكّلها الشّعر النّازل , فجودة النّظم تكون على قدر جودة المحفوظ , ونوع المحفوظ يقرّر اتجاه صاحبه , فالمحفوظ الّذي يبدأ به هو الّذي يشكّل الملكة ويلوّنها , فمن بدأ بالفقه تلوّنت ملكته بالفقه , ومن بدأ بالنّحو تلوّنت ملكته بالنّحو وهكذا , إذ إنّ الملكة المتقدّمة هي المتحكّمة , فإن نازعتها ملكة أخرى لم تجد موضعاً تستقرّ فيه , وبقيت الأولى تدفع كلّ ما عداها , وهذا الشيء يكاد يكون عامّاً في مختلف العلوم والصّناعات ([3]).

ولا يقف ابن خلدون عند هذا الحدّ بل يدعّم رأيه بتجربته الذّاتية في الشّعر , فهو يعزو ما يجد من صعوبة في نظم الشّعر مع حفظه لجيد الكلام , ولفنون من كلام العرب إلى ما حصل من خدش في وجه النّظم عنده , وذلك يرجع إلى حفظه الأشعار العلميّة , والقوانين

---

1) ***المقدمة*** /718 -739 .

2) نفسه / 332

3) نفسه / 732 – 737 .

التّأليفية, ومن هذا المنطلق حكم على شعر الفقهاء والنّظّـــار والمتكلّمـــين بالقـــصور وانحـــراف العبارة عن أساليب العرب في كلامهم ([1]) .

إذن فقد حددوا لمن أراد أن يكون شاعراً مجيداً السّبيل إلى ذلك , فأشاروا عليه أن يدرس النّماذج الشّعرية الّتي يراها أهمّ من غيرها دراسة واعية,ثم يبدأ بالصّوغ على أنماطها , وهو ما سماه الجرجانيّ بــ "الدّربة "([2]). وجعلها قرينة الطّبع والرّواية والذّكاء , لترسخ هذه النّماذج في ذاكرة الشّاعر , وتنتظم فيها , وبذلك تتحقّق له الفائدة , ممّا يعدّه لإنتاج خلاق , كما تنبّه النّقّــاد في الوقت نفسه إلى خطر هذا المحفوظ حين يؤدي إلى خلق شاعر مقلــد لا إبــداع لــه . لأنّ الالتصاق الشّديد بالنّماذج الشّعرية يصبغ إنتاج الشّاعر بصبغتها , فتقحم نفسها دون وعي منـــه , وبوعي منه أحياناً أخرى فيما يصدر عنه من شعر , لذا أشار القدماء على الشّاعر بعد أن يــتّم حفظ هذه الأشعار أن يخلد ذهنه إلى فترة من الرّاحة والكمون ينسى خلالها ما حفظ , ويــستدل على ذلك ما يحكى عن عبد الله القسّري حينما أمر ابنه خالداً بحفظ ألف خطبة , وبعد أن حفظها طلب إليه أن يتناساها فتناساها , فلم ير بعد ذلك شيئاً من الكلام إلا سهل عليه , فكان حفظه لتلك الخطب " رياضةً لفهمه , وتهذيباً لطبعه , وتلقيحاً لذهنه , ومادة لفصاحته , وســبباً لبلاغتـــه , ولسنه ولخطابته " , ([3]) وبتوجيه خلف الأحمر لأبي نواس بنسيان ألف قصيدة ومقطعة حفظها . ([4]) فإذا نسي هذه الأشعار " وقد تكيفت النّفس بها , انتقش الأسلوب فيها , كأنّـــه منـــوال يأخـــذ بالنّسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورة "([5]).

---

[1]) ***المقدمة*** / 738.
[2]) ***الوساطة*** / 15 .
[3]) ابن طباطبا , ***عيار الشعر*** / 16 .
[4]) ابن منظور , ***أبو نواس*** / 55 .
[5]) ابن خلدون , ***المقدمة*** / 732 .

الأخذ من التّراث

إذن فقد وعى النّقاد أهمية التّراث للمحافظة على أصالة العمل الأدبيّ الّذي لا يمكن أن يصدر من فراغ ثقافيّ أو اجتماعيّ , فأدركوا أنّ أفضلية الشّاعر وريادته تكمن في قدرته على استيعاب الموروث وحفظه , لا بقصد المحاكاة , وإنّما بالقدرة على البناء عليه , ممّا جعلهم يبيحون أخذ الشّعراء عن بعضهم ضمن شروط ومعايير تحكم هذا الأخذ , وبخاصّة أنّ مجال المعاني قد ضاق على الشّاعر المحدث , " لأن من تقدمه قد استغرق المعاني , وسبق إليها , وأتى على معظمها "([1]) فلا بدّ له من قانون يبيح عمليّة الأخذ من التّراث والإفادة منه .

من هنا قسّم النّقاد المعاني إلى معان مشتركة , ومستنبطة , ومخترعة ([2]). ويلخّص ذلك حازم القرطاجنّي بقوله : " إنّ من المعاني ما يوجد مرتسماً في كلّ فكر , ومتصوّراً في كلّ خاطر , ومنها ما يكون ارتسامه في بعض الخواطر دون بعض , ومنها ما لا ارتسام له في خاطر , وإنّما يتهدّى إليه بعض الأفكار في وقت ما فيكون من استنباطه .فالقسم الأوّل: هي المعاني الّتي يقال إنّها كثرت وشاعت , والقسم الثّاني ما يقال فيه إنّه قلّ , أو هو إلى حيّز القليل أقرب منه إلى حيّز الكثير , والقسم الثّالث هو المعنى الّذي يقال فيه إنّه ندر وعدم نظيره "([3]) .

وأخرج النّقاد ما جرى على الألسن من المعاني أو أصبح كالمثل السّائر من حيّز السّرقة إذا اشترك فيه شاعران , وكذلك إذا ما اتفق شاعران في ألفاظ معيّنة , ويقول الجاحظ : " إنّ المعاني مطروحة في الطّريق يعرفها العجميّ والعربيّ والقرويّ , وإنّما الشّأن في

---

[1]) الجرجاني , ***الوساطة*** / 241 .
[2]) ينظر ابن رشيق , ***العمدة*** 1 / 228 -231 , وابن الأثير , ***المثل السائر*** 2 / 332 - 333 . والقرطاجني , ***منهاج البلغاء*** / 192 – 196 .
[3]) ***منهاج البلغاء*** 192 .

إقامة الــوزن, وتخيّر اللّفظ , وسهولة المخرج , وكثرة الماء , وفي صحّة الطّبــع , وجـــودة السـّبك "([1]).

الأخذ المحمود

واستناداً إلى ما تقدّم , فقد قسّم النّقاد القدماء الأخذ من التّراث إلــى قــسمين : محمــود ومذموم , فالمحمود هو ما يضيف إليه الشّاعر إضافات جديدة في الــصّورة أو العبــارة . أمّــا المذموم فهو الّذي لا يستطيع أن يضيف إليها شيئاً من ذلك , ومن الطّرق الّتــي تجعــل الأخــذ محموداً :

- **اختصار المعنى** : وهو أن يأخذ شاعر معنى لشاعر سابق له , فيختــصره باســتخدام ألفــاظ أقــلّ , كأن يأخذ معنى استغرق بيتين , فيعبّر عنه ببيت واحد , أو أن يختــصر معنــى بيــت فيجعله مصراعاً وهذه ميزة حسنة تغفر للشّاعر أخذه وتسوّغه , ومن الأمثلة علــى ذلــك قــول بشّار بن برد :

مَنْ راقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحاجَتِهِ وَفازَ بِالطَّيِّباتِ الْفاتِكُ اللَّهِجُ "([2])

أخذه سلّم الخاسر"([3]) فقال :

مَنْ راقَبَ النّاسَ ماتَ غَمّاً وَفازَ بِاللّذَّةِ الجَسورُ "([4])

---

[1]) ***الحيوان 3 / 130*** وتبعه بعد ذلك بقية النقاد أمثال وابن طباطبا , **عيار الشعر** / 15 وابن رشيق , **العمدة** 2 / 118 والجرجاني , **الوساطة** / 183 والآمدي , **الموازنة** / 114- 118 والعسكري , **الصناعتين** / 217 وابن الأثير , **المثل السائر** 2 / 332 – 333 ...

[2]) القزويني , ***الإيضاح / 305*** وابن برد , بشار , ***الديوان*** /236 .

[3]) (? - 186 هــ) ,سلم بن عمرو بن حماد البصري.شاعر، خليع، ماجن، من أهل البــصرة، مــن الموالي سكن بغداد، له مدائح في المهدي والرشيد العباسيين،.قيل سمي الخاســر: لأنــه بــاع مــصحفاً واشترى بثمنه طنبوراً.ينظر ابن المعتز , ***طبقات الشعراء*** / 99 والأصفهاني , ***الأغاني*** 3 / 139.

[4]) القزويني , ***الإيضاح*** / 305 .

" فبيت سلّم أجود سبكاً وأخصر "([1]) . ويقال إنّه حينما سمع بشّار هذا البيت قال : " يعمــد إلــى معانيّ الّتي أسهر بها ليلي , وأتعبت فيها فكري , فيكسوها لفظاً أخفّ من لفظي , فيروى شــعره ويترك شعري , والله لا أكلت اليوم ولا صمت " ([2]) .

ويلاحظ أنّ سلّم الخاسر أخذ معنى بشّار , فقدّمه مختصراً بعدد ألفاظه , وعرضه بــصياغة جديدة ممّا جعله أكثر شيوعاً بين النّاس , وهذا ما تنبّه إليه بشّار , فاختصار المعنى يؤدي إلــى انتشاره بين النّاس , وبخاصّة إذا أحسن المختصر الصّياغة الفنيّة ممّا يزيد الشّعر جمالاً , ويــدلّ على حسن الإتباع , وإجادة التّناول .

- **نقل المعنى** : وهو أن يأخذ شاعر بيتاً فيغيّر معناه , فيجعله مديحاً بعد أن كان نــسيباً , أو هجاء بعد أن كان مديحاً وهكذا , وقد يغيّر الشّاعر الوزن والقافية والرّوي ليخفي أخذه , فلا يظهر إلاّ للبصير من النّقاد . ويعدّ ابن طباطبا نقل المعنى واحداً من الأساليب الّتي ينبغــي للشّاعر أن يلجأ إليها حتّى يخفي أخذه , وينفرد بشهرته في المعنى الّذي أخــذه كأنّــه غيــر مسبوق إليه فيقول : " يحتاج من سلك هذا السّبيل إلى إلطاف الحيلة وتدقيق النّظر في تناول المعاني واستعارتها حتّى تخفى على نقّادها , والبصراء بها , وينفرد بشهرتها كأنّــه غيــر مسبوق إليها , فيستعمل المعاني المأخوذة في غير الجنس الّذي تناولها منه , فإذا وجد معنى لطيفاً في تشبيب أو غزل استعمله في المديح , وإن وجده في المديح استعمله فــي الهجــاء ..... " ([3]). ورأى العسكريّ أنّ "نقل المعنى لا يكمل إلا للمبرّز والكامل المقدّم " ([4]) وعــدّ الجرجانيّ أن هذا الأمر من باب التفنّن في السّرقة , وممّا يدل على فطنة الشّاعر وذكائه في تناول المعاني ممّن سبقه من الشّعراء يقول : "وحتّى لا يغرك مــن البيتــين المتــشابهين أن

---

[1]) القزويني , الإيضاح / 305 .
[2]) ابن وكيع , ***المنصف*** 1 / 11 .
[3]) ابن طباطبا , ***عيار الشعر*** / 80 , 81 .
[4]) ***الصناعتين*** / 219 .

يكون أحدهما نسيباً , والآخر مديحاً, وأن يكون هذا هجاء وذاك افتخـــاراً , فـــإنّ الـــشّاعر الحاذق إذا علق المعنى المختلس عدل به عن نوعه وصنفه, وعن وزنه ونظمه , وعن رويه وقافيته , فإذا مرّا بالغبيّ الغفل وجدهما أجنبيّين متباعدين , وإذا تأمّلهما الفطن الذّكيّ عرف قرابة ما بينهما " ([1]) وقصر ابن وكيع نقل المعنى على غرض الهجـــاء , وتبديلـــه ليـــصبح مديحاً لا غير تحت عنوان " عكس ما يصير بالعكس ثناء بعد أن كان هجاء " ([2]) أما ابـــن الأثير فيقول : " والأصل المعتمد عليه في هذا الباب التّورية والإخفاء بحيـــث يكـــون ذلـــك أخفى من سفاد الغراب , وأظرف من عنقاء مغرب في الإغراب " . ([3]) ومن الأمثلة علـــى نقل المعنى قول كثير :

أُريدُ لأنسى ذِكرَها فَكَأَنَّما　　　　تَمَثَّلُ لي لَيلى بِكُلِّ سَبيلِ([4])

وقول أبي نواس :

مَلِكٌ تَصَوَّرَ في القُلوبِ مِثالُهُ　　　　فَكَأَنَّهُ لَم يَخلُ مِنهُ مَكانُ ([5])

يقول الجرجانيّ : " فلم يشكّ عالم أنّ أحدهما من الآخر , وإن كـــان الأول نـــسيباً والثّـــاني مديحاً " ([6]) , وواضح كيف أنّ أبا نواس غيّر وزن بيته , فنظمه على البحر الكامل , بينمـــا بيت كثير على البحر الطويل , كما غيّر قافيته ورويّه إلى جانب تغيير الغرض الشّعري من الغزل إلى المديح .

- **الزّيادة في المعنى** : وهو أن يأخذ شاعر معنى لشاعر سبقه, فيزيد عليه زيادات توضّـــحه أو تؤكّد معناه , أو تبيّن بعض ما غمض فيه , أو تحليّه باستعارة أو تشبيه , أو تضيف إليه ملامـــح

---

[1]) ***الوساطة*** / 204 .
[2]) ***المنصف*** 1 / 14 – 15 .
[3]) ***المثل السائر*** 2 /342 .
[4]) ***الديوان*** / *108* .
[5]) ***الديوان*** / 549 .
6) ***الوساطة*** / 205 .

جديدة وصفات نادرة . وزيادة الشّاعر في معنى من المعاني الّتي أخذها ممّن سبقه واحـــدة مـــن الأسباب الّتي تسوّغ أخـــذه , بل إنّها تجعله أحقّ بالمعنى من مبتدعه .

ويشير الحاتميّ إلى أنّ زيادة الآخذ على المعنى المأخوذ قـــد تـــساوي بينهمـــا أحيانـــاً , والأفضليّة عندئذ للسّابق لتقدّمه على اللاحق لتّأخره , ومثّل على ذلك بعدة أمثلـــة منهـــا قـــول النّابغـــة :

" سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إِسْقاطَهُ   فَتَناوَلَتْهُ وَاتَّقَتْنا بِاليَدِ([1])

فأخذ المعنى أبو حيّة النّمري ([2]) , فأحسن كلّ الإحسان لزيادة زادها في قوله :

فأدنَتْ قناعاً دونَهُ الشمسُ واتَّقتْ   بأحسنِ موصولَيْنِ كفٌّ ومِعصَمِ([3])

فوجبت له المساواة بهذه الزّيادة ولم يعط الفضل على النّابغة لتقدّم النّابغة فـــي الاختـــراع لهـــذا المعنى , والزّيادة قوله " دون الشّمس "يريد مثل الشّمس , وبقوله " أحسن موصولين "([4]) فـــأبو حيّة ساوى النّابغة بسبب ما تضمّنه بيته من الزّيادة في المعنى , انطلاقاً من المـــساواة بينهمـــا , فالمرجح هو السّابق زمنيّاً .

- **الإجادة في الصّياغة الفنيّة** : وهي أن يأخذ شاعر معنى من معاني من سبقه من الـــشّعراء , فيعيد صياغته بشكل جديد يتوخى فيه حسن الرّصف أو السّبك أو حسن اللّفظ , أو إصابة التّمثيل ونحو ذلك ممّا يتعلق بالأسلوب وجماليّاته بشكل عام , يقول ابن طباطبا : " وإذا تناول الـــشّاعر المعاني الّتي سبق إليها , فأبرزها في أحسن من الكسوة الّتي عليها لم يعب بل وجب لـــه فـــضل لطفه وإحسانـــه , كقول أبي نواس :

---

1) ***الديوان*** / 40 .

2) (? - 183 هـ) الهيثم بن الربيع بن زرارة، من بني نمير بن عامر، أبو حية.شاعر مجيد، فصيح راجز، من أهل البصرة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، مدح خلفاء عصره فيهما.ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 2 / 762 و الأصفهاني , ***الأغاني*** 16 / 210 والبغدادي , ***خزانة الأدب*** 3 / 154 .

3) الحاتمي, ***الرسالة الموضحة*** / 153 .

4) نفسه/ 153 – 154 .

وَإِن جَرَتِ الأَلْفاظُ مِنّا بِمِدحَةٍ لِغَيْرِكَ إِنساناً فَأَنتَ الَّذي نَعْني ([1])

أخذه من الأحوص ([2]) حيث يقول :

مَتى ما أَقُلْ في آخِرِ الدّهر مِدْحَةً فَما هيَ إِلاّ لابن لَيْلى المُكَرَّمِ " ([3])

وعدّ ذلك حازم القرطاجنّي شرطاً من شروط تناول الشّاعر معاني من سبقه , ويتّــضح ذلك في قوله : " فأمّا القسم الثّاني وهي المعاني الّتي قلّت في أنفسها أو بالإضـــافة إلـــى كثـــرة غيرها فما كان في هذه الصّفة فلا تسامح في التّعرض إلى شيء منه إلا بشروط منها : أن ينقله إلى موضع أحقّ به من الموضع الّذي هو فيه , ومن ذلك أن يقلبه ويسلك به ضدّ مـــا سلـــــك الأوّل , ومن ذلك أن يركّب عليه عبارة أحسن من الأولى , وذلك كتحسين الشّماخ ([4])العبـــارة عن معنى قول بشر بن أبي خازم ([5]):

إِذا ما المَكْرُماتُ رُفِعْنَ يَوماً وَقَصَّرَ مُبتَغوها عَنْ مَداها

وَضاقَتْ أَذْرُعُ المُثْرِينَ عَنْها سَما أَوسٌ إِلَيْها فَاِحْتَواها ([6])

فجاء الشّماخ في عبارة أحسن من هذه وأوجز حيث يقول :

إِذا ما رايَةٌ رُفِعَت لِمَجدٍ تَلَقّاها عَرابَةُ بِاليَمينِ " ([7])

---

[1]) ***الديوان*** /552 .

[2]) الأحوص الأنصاري (? - 105 هــ) ,عبد الله بن محمد من بني ضبيعة، لقب بالأحوص لضيق في عينه، شاعر إسلامي أموي هجّاء، صافي الديباجة.ينظرالبغدادي , ***خزانة الأدب*** 1 /232وابـــن قتيبـــة , ***الشعر والشعراء***1/ 509 والأصفهاني , ***الأغاني*** 21 / 173 .

[3]) ***عيار الشعر***/ 79 و الأحوص , ***شعر الأحوص الأنصاري*** / 199 .

[4]) الشّماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني(? - 22 هـــ).شـــاعر مخـــضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وهو من طبقة لبيد والنابغة..ينظرابن سلام , ***طبقات فحـــول الـــشعراء***/ 123 وابن قتيبة, ***الشعر والشعراء*** 1 / 304 وابن ناصر الدين , ***توضيح المشتبه*** 6 / 152 .

[5]) بشر بن أبي خازم عمرو بن عوف الأسدي، أبو نوفل(? - 22 ق. هـ) شاعر جـــاهلي فحـــل، مـــن الشجعان، من أهل نجد.توفي قتيلاً في غزوة أغار بها على بني صعصعة بن معاوية . ينظر ابن سلام , ***طبقات فحول الشعراء*** /97 وابن قتيبة , ***الشعر والـــشعراء***1 / 262 والبغـــدادي , ***خزانـــة الأدب*** 2 / 262 .

[6]) ***الديوان*** / 150 .

[7])القرطاجني , ***منهاج البلغاء*** / 193 ***والديوان*** /115 .

وقال القزوينيّ : " فإن كان الثّاني أبلغ من الأوّل لاختصاصه بفضيلة , كحسن السّبك أو الاختصار , أو الإيضاح أو زيادة معنى , فهو ممدوح مقبول " ([1])

وهكذا يلاحظ أنّ تناول الشّاعر معاني من سبقه لا يعدّ عيباً إذا قدّم تلك المعاني في صياغة فنيّة جديدة , يتّضح من خلالها ذكاؤه وفطنته وحذقه وبراعته في تناول معاني من سبقه .

- **التّوليد** : وهو أن يستخرج شاعر معنى من معنى شاعر سبقه . وأخرج ابن رشيق التّوليد من دائرة الاختراع لما فيه من الاقتداء بالآخرين , وأخرجه أيضاً من باب السّرقات , لأنّ الآخذ ليس في نيته الأخذ ([2]), ومثّل على ذلك بقول امرئ القيس :

سَمَوتُ إِلَيها بَعدَ ما نامَ أَهْلُها سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالاً عَلى حالِ ([3])

فأخذه وضّاح اليمن ([4]), فقال :

فَاسقُط عَلَيْنا كَسُقُوطِ النَّدى لَيْلَةَ لا نَاهٍ وَلا زَاجِرُ ([5])

" فولّد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس دون أن يشركه شيئاً من لفظه أو ينحو نحوه إلا في المحصول , وهو لطف الوصول إلى حاجته في خفية " . ([6])

أما ابن وكيع فقد قسّم التّوليد إلى قسمين :" توليد كلام من كلام لفظهما مفترق ومعناهما متّفق " وعدّه من أدلّ الأقسام على فطنة الشّاعر , لأنّه جرّد لفظه من لفظ من أخذ منه وهو في معناه متّفق معه , ومن ذلك قول أبي تمّام :

---

[1]) ***الإيضاح*** / 304 .
[2]) ابن رشيق , ***العمدة*** 1 / 229 .
[3]) ***الديوان*** / 141 .
[4]) وضاح اليمن(? - 90 هـ) عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال من آل خوذان الحميري.شاعر رقيق الغزل عجيب النسيب , جميل الطلعة ينظر الأصفهاني , ***الأغاني*** 6 / 148 وابن خلكان , ***وفيات الأعيان*** 1 / 278 والصفدي , ***الوافي بالوفيات*** 18 / 117 .
[5]) ***الديوان*** / 48 .
[6]) ***العمدة*** 1 /229 .

لأمرٍ عَلَيْهِم أَنْ تَتِمَّ صُدورُهُ   وَلَيْسَ عَلَيْهِم أَنْ تَتِمَّ عَواقِبُهْ "([1])

أخذه من قول بعض العرب :

غُلامُ وغىً تَقَحَّمَها فَأَودى   وَقَد طَحَنَتْهُ مِرْداةٌ طَحونُ

فإن على الفتى الإقدامَ فيها   وَلَيْسَ عليهِ ما جَنَتِ المَنونُ ([2])

"والمعنى متّفق واللّفظ مفترق " وهذا المذهب من دقّة الآخذ وفطنته , ومثل على ذلك بقول أبـــي نواس في محبوب أعرض عنه ببعض وجهه :

يا قَمَراً للنِّصفِ مِنْ شَهْرِنا   أَبدى ضِياءً لِثمانٍ بَقِينْ"([3])

أخذه من قيس بن الخطيم ([4]) في قوله :

تَصَدّتْ لَنا كَالشَّمْسِ تَحْتَ غَمامَةٍ   بَدا حاجِبٌ مِنْها وَضَنَّتْ بِحاجِبِ ([5])

وعدّه حازم القرطاجنّي المرتبة العليا في الشّعر من جهة استنباط المعاني فمن بلغها بلـــغ الغاية , فهو يدلّ على نفاذ خاطر الشّاعر وتوقّد فكره , لأنّه استنبط معنى غريباً , واستخرج من مكامن الشّعر سرّاً لطيفاً , " والمعاني بهذه الصّفة تسمّى العقم " ([6])

الأخذ المذموم

هذه الوجوه المحمودة في الأخذ من التّراث , وأمّا الوجوه المذمومة تكمن في كلامهم عـــن سوء الأخذ أو الاتباع , يقول العسكريّ :" وقبح الأخذ أن تعمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كلّه أو

---

[1]) ***الديوان*** 1 /221 .
[2]) ***المنصف*** 1 /16 .
[3]) ***نفسه*** ا/ *16* .
[4]) قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد.(? - 2 ق. هــ) شاعر الأوس وأحد صـــناديدها فـــي الجاهلية. أدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه.ينظر , ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 /308 **والأصفهاني , الأغاني** 3 / 5 .
[5]) ***المنصف*** 1 / 17 ابن الخطيم , قيس , ***الديوان*** / 79 .
[6]) ***منهاج البلغاء*** / 194 .

أكثره أو تخرجه في معرض مستهجن , والمعنى إنّما يحسن بالكسوة " . ([1]) وبشكل عـــام فإنّـــه يمكن إجمال الوجوه المذمومة في الأخذ من التّراث بما يلي :

- **إساءة الأخذ في الصّياغة الفنيّة** : وهي عدم إجادة الشّاعر الصّياغة الفنيّة للمعنـــى الـــسّابق عندما يتناوله , فلا يتوخّى صحّة السّبك , أو حسن الوصف ونحو ذلـــك . وهـــو مـــا وصـــفه العسكريّ بالأخذ المستهجن وهو عنده " أن يأخذ الشّاعر المعنى فيفسده أو يعوّصـــه , ويخرجـــه في معرض قبيح وكسوة مسترذلة , وذلك مثل قول أبي كريمة " :

قَفاه وجهٌ ثمَّ وَجهُ الّذي　　　قَفاهُ وَجْهٌ يُشْبِهُ الْبَدْرا([2])

وإنّما أخذه من قول أبي نواس :

" **بِأَبي أَنْتَ مِنْ مَليحٍ بَديعٍ** "　　　**بذَّ حسنَ الوجوه حسنُ قفاكا**([3])

يلاحظ أنّ أبا نواس قد تفوّق في بيته من حيث الأسلوب واختيار لفظه , وخلوّ بيته من التّكـــرار الموجود في بيت أبي كريمة , حيث كرّر كلمة وجه ثلاث مرات , وكلمة قفا مرّتين لغير فائـــدة ترجى .

- **إطالة المعنى** : وهو أن يعبّر الشّاعر عن معنى من معاني من سبقه بعبارة طويلـــة , ومثـــال ذلك قول أبي نواس :

لا تُسْدِيَنَّ إِلَيَّ عارِفَةً　　　حَتّى أَقومَ بِشُكْرِ ما سَلَفا"([4])

أخذه دِعْبِل بن عليّ الخزاعيّ ([5]) فقال :

هَجَرتُكَ لَم أَهجُرْكَ مِن كُفْرِ نِعْمَةٍ　　　وَهَل يُرتَجى نَيلُ الزِيادَةِ بِالكُفرِ

---

[1]) ***الصناعتين*** / 249 .
[2]) العسكري , ***الصناعتين*** / 51 .
[3]) نفسه / 251 .
[4]) ***الديوان*** /361 .
[5]) دِعْبِل بن علي بن رزين الخزاعي، أبو علي.(148 - 246 هـــ) شاعر هجّاء، أصله من الكوفة، أقام ببغداد. ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء2*** /838 وابن المعتز , ***طبقات الشعراء*** / 264 .

وَلَكِنَّني لَمّا أَتَيتُكَ زائِراً وَأَفرَطْتَ في بِرّي عَجَزتُ عَنِ الشُكرِ([1])

فهذا شعر مليح ولكنّه طويل , وهذا كافٍ " ([2]).

- **تقصير الآخذ في المعنى وعدم استيفائه** : بيّن النّقاد جوانب التّقصير لدى الشّعراء وعدم استيفائهم للمعاني الّتي يأخذونها من سابقيهم , ومثال ذلك قول مسلم بن الوليد في الرّثاء:

فَاذهب كَما ذَهَبَت غَوادي مُزنَةٍ أَثنى عَلَيها السَهلُ وَالأَوعارُ([3])

أخذ أبو تمّام المعنى فقصّر في العبارة , فقال :

وَقُمْنا فَقُلْنا بَعدَ أَن أُفرِدَ الثَّرى بِهِ ما يُقالُ في السَّحابَةِ تُقلِعُ ([4])

"وتقصيره عن مسلم أنّ مسلماً قال : " أَثنى عَلَيها السَّهلُ وَالأَوعارُ " , فأراد أنّ هذه السّحابة عمّت بنفعها , وفي قول أبي تمّام : " ما يُقالُ في السَّحابَةِ تُقلِعُ " إبهام , لأنّه لم يفصح في الثّناء عليها وأنّها نفعت , وقد يقال في السّحابة إذا أقلعت ما هو غير المدح والثّناء , إذا نزلت في غير حينها , وفي غير وقت الحاجة إليها , وكثيراً ما يضرّ المطر إذا كانت هذه حاله , وإن كان أبو تمّام لم يرد هذا القسم , وإنّما أراد القسم الآخر فقط , فقصّر في العبارة والشّرح . "([5])

وعدّ ابن وكيع حذف الشّاعر ما هو من تمامه تقصير في المعنى . " ومن ذلك قول عنترة :

فَإِذا شَرِبتُ فَإِنَّني مُستَهْلِكٌ مالي وَعِرْضي وافِرٌ لَم يُكْلَمِ

وَإِذا صَحَوْتُ فَما أُقَصِّرُ عَنْ نَدىً وَكَما عَلِمْتِ شَمائِلي وَتَكَرُّمي([6])

أخذه حسّان فقال :

---

1) ***الديوان*** /13 .

2) أبن وكيع , ***المنصف*** 1 / 22 .

3) ***الديوان*** / 314 .

4) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 96 .

5) الآمدي , ***الموازنة*** / 65 .

6) ***الديوان*** /24 .

وَنَشْرَبُها فَتَتْرُكُنا مُلوكاً   وَأُسْداً ما يُنَهنِهُنا اللِقاءُ ([1])

فقول عنترة الصّحو والسّكر صفتيهما , وأفرد حسّان الإخبار عن حال سكرهم دون صحوهم , لأنّه قد يمكن أن يظنّ ظانّ بهم البخل والجبن إذا صحوا , لأنّ من شأن الخمـــر تـــسخية البخيل وتشجيع الجبان " ([2])

- **أخذ المعنى والوزن والقافية** : عدّه القاضي الجرجانيّ من "أقبح ما يكون من السّرق , لأنّـــه يدل على نفسه باتّفاق المعنى والوزن والقافية " ([3])

وعدّه ابن الأثير " كمن سرق جوهرة من طوق أو نطاق , ثم صاغها في مثل مـــا ســـرقها منه والأولى أن كان نظم تلك الجوهرة في عقد , أو صاغها في سوار أو خلخـــال , ليكـــون أكتم لأمرها. وليس في السّرقات الشّعرية أقبح من هذه السّرقة , فإنّه لم يكتف الشّاعر فيهـــا بان يسرق المعنى حتّى ينادي نفسه أنّه قد سرقه " ([4])

- **أخذ اللّفظ والمعنى** : عدّه النّقاد من أسوأ أنواع السّرقات وأشنعها , فمن ذلك قول امرئ القيس :

وُقوفاً بِها صَحْبي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ   يَقولونَ لا تَهلِكْ أَسىً وَتَجَمَّلِ ([5])

أخذه طرفة فقال :

وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ مَطيَّهُم   يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَتَجَلَّدِ([6])

وقد زعم قوم أن هذا من اتفاق الخواطر , وتساوي الضّمائر , وبإزاء هذه الدّعوى أن يقال:

---

1) ***الديوان*** / 8 .
2) ***المنصف*** 1 / 26 , 27 .
3) ***الوساطة*** / 249
4) ***المثل السائر*** 2 / 358 , 359 .
5) ***الديوان*** / 31 .
6) ***المثل السائر*** 2 / 358 , 359 و***الديوان*** /73 .

بل سمع فأتبع , والأمران سائغان , والأولى أن يكون ذلك مسروقاً " ([1]) وسئل أبو عمــرو ابن العلاء عن الشّاعرين يتّفقان على لفظ واحد ومعنى , فقال : عقول رجال توافــت علـــى ألسنتها وأورد بيتي طرفة وامرئ القيس ([2]). وسئل أبو الطّيب المتنبّي عــن ذلــك فقــال : الشّعر جادّة وربّما وقع الحافر على الحافر ([3]).

وحينما تحدّث النّقاد عن السّرقات تنبّهوا إلى أنّ تلك السّرقات غير متماثلة , فقــسّموها إلى أقسام كثيرة ليميّزوا بينها , ويحدّدوا الفوارق بينها , وذلك مـــن خـــلال التّعبيـــر عنهـــا بمصطلحات متداولة بينهم , لتكون بمثابة مقاييس نقديّة دقيقة يحكمـــون مـــن خلالهـــا بـــين الشّعراء في قضية الأخذ من التّراث والإفادة منه , وتشكلّ ضوابط تكبح جمـــاح الفوضـــى النّقدية , **وأهم هذه المصطلحات الّتي ظهرت في الكتب النّقديّة** :

النّسخ أو الاهتدام : وهو عند ابن رشيق فيما دون البيت ([4]), مثل "قول النّجاشي ([5]):

وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ رِجْلِ صَحيحَةٍ وَرِجلٍ رَمَتْ فيهَا يَدُ الْحَدَثَانِ([6])

فأخذ كثيّر القسم الأوّل واهتدم باقي البيت , فجاء في المعنى بغير اللّفظ فقال :

وَكُنت كَذي رِجلَينِ رِجلٍ صَحيحَةٍ وَرِجلٍ رَمى فيها الزَمانُ فَشَلَّتِ "([7])

إذن فالنّسخ عند ابن رشيق يتضمّن أخذ المعنى كاملاً , ومعظم اللّفظ , أما عند الصّوليّ فهو أخذ المعنى ومعظم اللّفظ , ويتّضح ذلك من خلال قوله " ومن تبحّر في شعر أبي تمّام وجـــد كلّ محسن بعده لائذاً به .... قال أبو تمّام :

---

[1]) ابن وكيع , ***المنصف*** 1 / 27 .

[2]) العسكري , ***الصناعتين*** / 249 .

[3]) ابن رشيق , ***العمدة*** *2 /289.*

[4]) نفسه 2 / 273 .

[5]) النجاشي الحارثي (? - 49 هـ) قيس بن عمرو بن مالك بن الحارث بن كعب بن كهلان.شاعر هجاء مخضرم اشتهر في الجاهلية والإسلام وأصله من نجران باليمن . ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 / 317 .

[6]) ابن رشيق , ***العمدة*** 2 / 287 .

[7]) نفسه 2 / 287 ***والديوان*** / 99 .

فَسَواءٌ إجابَتي غَيْرَ داعٍ وَدُعائي بِالقَفْرِ غَيرَ مُجيبِ ([1])

فقال البحتري نسخاً له :

وَسَأَلتُ مَن لا يَسْتَجيبُ فَكُنْتُ في اِســـ ـــتِخْبارِهِ كَمُجيبِ مَنْ لا يَسْأَلُ "([2])

والنّسخ عند ابن الأثير هو أخذ المعنى واللّفظ جميعاً , أو في أخذ المعنى أو أكثـــر اللّفـــظ , لأنّه مأخوذ من نسخ الكتاب ([3]). وهذا التّعريف يقترب في شقّه الأوّل من مفهوم المـــواردة عند النّقاد , وفي شقّه الثّاني من تعريف ابن رشيق للنّسخ , وهو لا يختلف عن مفهومه عند القزويني " وهو أن يأخذ المعنى كلّه إمّا مع اللّفظ أو بعضه , وإمّا وحده , فإن كان المـــأخوذ كلّه من غير تغيير لنظمه , فهو مذموم مردود , لأنّـــه ســـرقة محـــضة ويـــسمّى نـــسخـــاً وانتـــحالاً "([4]).

- **السّلخ** : وأوّل من استخدم هذا المصطلح ابن قتيبة في كتابه الشّعر والشّعراء في ســـياق موازنته بيت للأعشى وآخر لأبي نواس , فقال : " وكان النّاس يستجيدون للأعشى قوله :

وَكَأْسٍ شَرِبتُ عَلى لَذَّةٍ وَأُخْرى تَداوَيتُ مِنْها بِها([5])

حتّى قال أبو نواس :

دَعْ عَنْكَ لَوْمي فَإِنَّ اللَومَ إِغْراءُ وَداوِني بِالَّتي كانَتْ هِيَ الداءُ([6])

فسلخه وزاد فيه معنى آخر , اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه , فللأعشى فضل

---

[1]) ***الديوان*** 1 /119 .
[2]) ***أخبار أبي تمام*** / 76 والديوان 1/ 32 .
[3]) ***المثل السائر*** 2 / 350 .
[4]) ***الإيضاح*** / 302 .
[5]) ***الديوان*** / 24 .
[6]) ***الديوان*** / 11 .

السّبق إليه , ولأبي نواس فضل الزّيادة فيه " ([1]) فيتّضح من تعليقه أنّ السّلخ أخذ المعنى كلّه أو بعضه , والزّيادة عليه . أمّا العميدي فلا يرى ضرورة الزّيادة على المعنى المأخوذ ويمثّل على ذلك بقول المتنبّي :

إِذا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَومٍ وَقَدْ قَدَروا أَنْ لا تُفارِقَهُم فَالرَّاحِلونَ هُمُ ([2])

قد سلخ بيت إبراهيم بن عيسى الّذي يقول فيه :

مَنْ لَمْ يُعِنْكَ عَلى المَقا مِ فَقَدْ أَعانَ عَلى الرّحيلِ ([3])

وعرّفه ابن الأثير بأنّه أخذ بعض المعنى , وهو مأخوذ من سلخ الجلد الّذي هو بعض الجسم المسلوخ ([4]) وأطلق عليه القزويني الإلمام ([5]).

المسخ : أوّل من تحدّث عن هذا المصطلح المرزباني خلال حديثه عن العتابي([6]) وشعره فيقول : " وإن من أشعر شعر العتابي لقصيدته الّتي يمدح فيها الرّشيد .... فقال فيها :

في مآقِيَّ انْقِباضٌ عَنْ جُفونِهِما وفي الْجُفونِ عَنْ الآماقِ تَقْصيرُ ([7])

وهذا بيت أخذه من قول بشّار الّذي أحسن فيه غاية الإحسان ... :

جَفَّتْ عَيْني عَنِ التَّغْميضِ حَتّى كَأَنَّ جُفونَها عَنْها قِصارُ ([8])

---

[1]) ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 / 74 .
[2]) ***الديوان*** 3 / 372 .
[3]) العميدي , ***الإبانة عن سرقات المتنبي*** / 107 .
[4]) ***المثل السائر*** 2 / 345 .
[5]) ***الإيضاح*** / 307 .
[6]) العتابي هو كلثوم بن عمرو من بني تغلب من بني عتاب , من ولد عمرو بن كلثوم التغلبي , وكان شاعراً محسناً, وكاتباً مجيداً زمن المأمون . ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 2 / 851 والأصفهاني , **الأغاني** 10 / 53 .
[7]) المرزباني , ***الموشح*** / 333 .
[8]) ***الديوان*** /494 .

فمسخه العتابي ....." وحقّ من أخذ معنى وقد سبق إليه أن يصنعه أجود من صنعة السّابق إليه أو يزيد فيه عليه حتّى يستحقّه , أمّا إذا قصّر عنه فإنّه مسيء معيب بالسّرقة مذموم بالتّقصير " ([1]).

يتّضح لنا ممّا سبق أن المسخ ما هو إلا تقصير في الأخذ , لعدم استيفاء المعنى السّابق الّذي تناوله الشّاعر .

وورد أيضاً هذا المصطلح عند ابن وكيع أثناء تعليقه على قول المتنبّي :

أَشاروا بِتَسْليمٍ فَجُدْنا بِأَنْفُسٍ   تَسيلُ مِنَ الآماقِ وَالسِّمُّ أَدمُعُ ([2])

يقول : " أحسن ما أتى في هذا قول بشّار :

وَلَيسَ الَّذي يَجْري مِنَ العَيْنِ ماؤُها   وَلَكِنَّها نَفسٌ تَذوبُ فَتَقطُرُ([3])

وقد قال ديك الجن ([4]) :

ليْسَ ذَا الدَّمْعُ دَمْعَ عَيْني ولكنْ   هيَ نَفْسِي تُذِيعُها أَنْفَاسِي ([5])

فجانس بين النّفس والنّفس , وقد قال ابن دريد([6]) :

لا تَحسَبي دَمعي تَحَدَّرَ إِنَّما   نَفسي جَرَت في دَمعِيَ المُتَحَدِّرِ([7])

وكلّهم أنّث الرّوح والرّوح مذكّر , إنّما أنّثوه لتأنيث النّفس , وكلام بشّار أرطب وأعذب , لأنّ من قال " ذاب " قال : " قطرت " فهو أرجح من جميع هذه الألفاظ , فأمّا أبو الطّيب

---

1) ***الموشح*** / 333 .

2) ***الديوان*** 2/ 235 .

3) ***الديوان*** / 524 .

4) ديكِ الجِنِّ الحِمصي (161 - 235 هـ) عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب، أبو محمد، الكلبي.شاعر مُجيد، فيه مجون من شعراء العصر العباسي، سمي بديك الجن لأن عينيه كانتا خضراوين.الأصفهاني , ***الأغاني*** 14 / 33 .

5) ***الديوان*** /85 .

6) محمد بن الحسن بن دريد الأزدي القحطاني، أبو بكر. ولد في البصرة (223 - 321 هـ) من أئمة اللغة والأدب. ينظر الأصفهاني , ***الأغاني*** 10 / 49 .

7) ***المنصف*** 1 / 153 .

فمسخ هذا المعنى وما نسخه , لأنّه يبعد عن لفظ من تقدمّه في الرّونق والبهاء وكثرة المـــاء ... ([1]) فالمسخ إذن عند ابن وكيع هو أن يعبّر اللاّحق بألفاظ أقلّ مرتبة من ألفاظ السّابق .

وورد أيضاً هذا المصطلح عند ابن العميدي في معرض تعليقه على بيت المتنبّي الّذي يقــول فيه :

إِذا أَنْتَ أَكرَمْتَ الكَرِيمَ مَلَكْتَهُ وَإِنْ أَنتَ أَكْرَمْتَ اللَّئيمَ تَمَرَّدا([2])

حيث ذكر أنّه من قول منصور بن سلمة بن الزّرقاني النّمري ([3]):

وإذا عَفَوتَ عَن الكَريمِ مَلَكْتَهُ وإذا عَفَوْتَ عَنْ اللّئيمِ تَجَرّما

يقول العميدي في تعليقه : " وإن أنت فخطأ , وإن جاز مثله للشّاعر , ولقد تعب فـــي مـــسخ هذا البيت قوّاه الله " ([4]). ربما قصد بالمسخ هنا أخذ المعنى ومعظم اللّفظ . أما المسخ عنـــد ابن الأثير فهو " إحالة المعنى إلى ما دونه , مأخوذاً من مسخ الآدميّين قردة " ([5])

النّظر والملاحظة : وهما تساوي المعنيين دون اللّفظ وخفي اللّفظ . ([6]) ومن الأمثلـــة الّتـــي ذكرها قول مهلهل :

أَنبَضوا مَعجِسَ القِسِيِّ وَأَبرَقْـــ نا كَما توعِدُ الفُحولُ الفُحولا ([7])

نظر إليه زهير بقوله :

يَطعَنُهُم ما ارتَمَوْا حَتّى إذا اطَّعَنوا ضارَبَ حَتّى إذا ما ضارَبوا اعتَنَقا ([8])

---

[1]) ***المنصف*** 1 / 153 .

[2]) ***الديوان*** 1 / 288

[3]) منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري أبو القاسم.(? - 190 هــ) , من بني النمر بـــن قاسط شاعر من أهل الجزيرة الفراتية كان تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي ينظـــر أبـــن قتيبـــة , ***الـــشعر والشعراء*** 847/2 والأصفهاني , ***الأغاني*** 12/ 16 .

[4]) ***الإبانة عن سرقات المتنبي*** / 51 .

[5]) ***المثل السائر*** 2 / 345

[6]) ينظر ابن رشيق , ***العمدة*** 2/ 287 .

[7]) ***نفسه*** 2/ 287 .

[8]) **الديوان** / 54 .

الإلمام : يرى ابن رشيق أنّ الإلمام هو أن يتضادّ المعنيان ويدلّ أحدهما على الآخر ([1]).

ومثّل عليه بقول أبي الشّيص([2]) :

"أَجِدُ المَلامةَ في هَواكِ لَذيذَةً " حُبّاً لِذكْرِكِ فَلْيَلُمني اللُّوَّمُ([3])

وقول أبي الطّيب :

"أَأُحِبُّهُ وَأُحِبُّ فيهِ مَلامَةً " إِنَّ المَلامَةَ فيهِ مِن أَعدائِهِ ([4])

التلفيق :" هو أن يميّز الشّاعر المعاني المتقاربة , ويستخرج منها معنى مولّداً يكون له كالاختراع , وينظر به جميعها فيكون وحده مقام جماعة من الشّعراء " ([5]) أي أنّ هذا النّوع يتّصل بالإيجاز , وبلغ فيه كلّ من المتنبّي وأبو العلاء المعرّيّ كلّ غاية , فكان أبو الطّيّب أجمع النّاس لكثير من المعاني في قليل من اللّفظ , وبذلك تقدّم عند الفضلاء , وضرب المثل الّذي ساد به أبو الطّيّب الشّعراء ([6]).

ومن الموازنات الّتي ذكرها ابن رشيق حول هذا النّوع من الأخذ قول أبي العلاء المعرّي :

وقالَ الوَليدُ النَّبْعُ لَيْسَ بِمُثْمِرٍ وَأَخْطَأَ سِرْبُ الوَحْشِ مِن ثَمَرِالنَّبْعِ ([7])

فقد ذكر أنّه يعني قول البحتريّ:

وَعَيَّرَتني سِجالَ العُدمِ جاهِلَةً " وَالنَبعُ عُريانُ ما في فَرعِهِ ثَمَرُ"([8])

وأراد بتخطئته , أنّ الوحش يصاد بالقسيّ الّتي هي من النّبع , فكأنّه ثمر لها , وإنّما تناول قول أبي الطّيّب , وعليه كان أكثر معوّله:

---

[1]) ينظر ***العمدة*** 2 / 283 .

[2] *واسمه محمد بن رزين بن تميم بن نهشل ، وأبو الشيص لقبٌ غلب عليه ، وكنيته أبو جعفر وهو عم دعبل بن علي ينظر* ***نهاية الأرب في فنون الأدب*** *3 /84 .*

[3]) ***العمدة*** 2 / 287 أبو الشيص , ***أشعار أبي الشيص*** / 93 .

[4]) ***الديوان*** 1 /4 .

[5]) ابن رشيق , ***قراضة الذهب*** /95 .

[6]) نفسه /96 .

[7]) ***ديوان سقط الزند*** */ 236 .*

[8]) ***الديوان*** *2 / 308 .*

مُحِبٌّ كَنى بِالبيضِ عَن مُرهَفاتِهِ   وَبِالحُسنِ في أَجسامِهِنَّ عَنِ الصَّقلِ

وَبِالسُّمرِ عَن سُمْرِ القَنا غَيرَ أَنَّني   جَناها أَحِبّائي وَأَطْرافُها رُسْلِ ([1])

إلا أنّ أبا العلاء جعل الثّمر وحشاً , وجعله أبو الطّيّب نساء " ([2]).

- **حل النّظم ونظم النّثر** : يعدّه ابن رشيق من أجلّ أنواع السّرقات ([3]) وفي قراضة الذّهب يصف نظم المنثور بالسّرقة المغتفرة ([4]) ويراه ابن طباطبا واحداً من أساليب إخفاء السّرقة , ويعطيها جمالاً وحسناً , فهو يطلب إلى الشّاعر إن وجد المعنى اللّطيف في المنثور من الكلام , وفي الخطب والرّسائل والأمثال أن يأخذه ويجعله شعراً , فذلك أخفى وأحسن ([5]) ويجعله سبباً من أسباب التّفوق في ميدان البلاغة ([6]).

وعدّه العسكريّ واحداً من الأساليب الّتي قد يلجأ إليها الشّاعر أو النّاثر لإخفاء السّرق فيقول :" وأحد أسباب إخفاء السّرق أن يورد معنى من نظم , فيورده في نثر , أو من نثر فيورده في نظم "([7]) وفي موضع آخر يرى " أنّ حلّ المنظوم ونظم المحلول أسهل من ابتدائهما , لأنّ المعاني إذا حلّت منظوماً , أو نظمت منثوراً , حاضرة بين يديك , تزيد فيها شيئاً فينحل , أو تنقص منها شيئاً فينتظم , وإذا أردت ابتداء الكلام , وجدت المعاني غائبة عنك فتحتاج إلى فكر يحضركها " ([8]). ومن الأمثلة على ذلك إعجاب بعض الشّعراء بآيات

---

[1])المتنبي , ***الديوان*** *3 / 290* .
[2]) ابن رشيق , ***قراضة الذهب*** / 96 .
[3]) ***العمدة*** 2 / 283 .
[4]) ينظرابن رشيق / 85 .
[5]) ينظر **عيار الشعر** / 81 .
[6]) نفسه / 82 .
[7]) ***الصناعتين*** / 219 .
[8]) نفسه / 237 .

من القرآن الكريم , أو الأحاديث النّبويّة , أو الأمثال والحكم , فيحولـــون معناهـــا شـــعراً , ومثال ذلك ما أورده الجرجانيّ من الأبيات , ومنها قول السّيد الحميريّ ([1]) :

قد ضيّع اللهُ ما جمّعتُ من أدبٍ بين الحميرِ وبين الشاءِ والبقرِ([2])

ثمّ قرّر بأنّها مأخوذة من قوله تعالى :﴿ **إِنْ هُمْ إِلاّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴾ ([3]).

موقف النّقاد المحدثين من التّراث

ويرى محمد مصطفى هدارة في دراسته الأبعاد النّظرية لقــضيّة الــسّرقات " أنّ لفــظ السّرقة في ميدان الأدب يجمع معاني كثيرة , بعضها يتّصل بالــسّرقة مــن حيــث هـــي , وبعضها الآخر لا يمتّ إلى المدلول الحقيقيّ لتلك الكلمة البغيضة , على أنّها مع ذلك لفظـــة عامّة عند النّقـــاد , تشمل أنواع التّقليد والتّضمين والاقتباس والتّحوير وغير ذلك " ([4]).

إنّ بواعث هذه الظّاهرة – السّرقات الشّعرية – في النّقد العربيّ القديم ابتعد كلياً عـــن مسّ النّصوص مسّاً فنيّاً , حيث ابتعد النّقاد القدماء عن إبراز الملامح الفنيّة في عمليّة الأخذ أو السّرقات أو التّأثر. وكون هذه الظّاهرة لا تبرز المحكّات الفنيّة للنّصوص , وهو الأساس في العمل النّقدي أو الحكم ضمن معايير فنيّة تستعرض مكنونات جماليـــات العمـــل الأدبـــيّ وفكره , فإنّها قاصرة ولا تشكّل حلقة قويّة في سلسلة الجهود النّقدية القديمة . ولعل إحـــسان عبّاس كان له رأي جريء في الحكم عليها , ويتضح ذلك من خلال قوله : " ثـــم لا يحتـــاج كذلك إلى أن يظلّ لقضيّة السّرقات هذا المقام الكبير في النّقد الأدبيّ , وكأن هذا يعنـــي أنّ

---

[1]) السيد الحميري (105 - 173 هـ) إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري أبـــو هاشم أو أبو عامر.شاعر إمامي متقدم .ينظرابن قتيبة , الشعر والشعراء2 / 803 و الكتبـــي , ***فـــوات الوفيات*** 1 / 188 .

[2]) ***الديوان*** / 237 .

[3]) الفرقان 44 .

[4]) ***الأبعاد النظرية لقضية السرقات وتطبيقاتها في النقد العربي القـــديم***, مجلـــة فـــصول م6 , ع1 , 1985 م , ص 124 .

"قضيّة السّرقة" ما كان لها من حقّها أن توجد لأنّها استطاعت أن تتحوّل بالنّقد فـــي وجهـــة غير مثمرة أبداً ... ونقول إنّ انتحاء هذا المنهج كان ضلالاً بعيداً في تاريخ النّقــد الأدبـــيّ واستهلاكاً لجهود كان من الممكن أن تثمر فيما هو أجدى وأجدر , ذلك أن الانهمـــاك فـــي تبيان السّرقة قد حجب عن أعين النّقاد أموراً هامة " ([1]) .

وواضح أنّ الفرق بين التّأثر والسّرقة فرق كبير , فالتّأثر مع الاستعداد والموهبة يخلق الأعمال الفنيّة المتميّزة الّتي تدلّ على الأصالة عند الشّاعر , بينما لا تتطلّب السّرقة كلّ ذلك ويبدو أنّ القدماء قد تعمدوا اتّهام المحدثين بالسّرقة , لتجريدهم من كلّ أصالة ولإظهـــارهم بمظهر المتطفّلين الّذين يعيشون عالة على غيرهم . والعيب ليس فـــي التّـــأثر وإنّمـــا فـــي مصطلح السّرقة الّذي يلحّ عليه النّقاد , ممّا يجعل الاعتماد على مقياس السّرقة الشّعرية فـــي تقديم الشّاعر أو إسقاطه أمراً في غاية الصّعوبة , وغير دقيق في آن واحـــد . مـــا دامـــت الأفكار والمعاني ليست وقفاً على عصر دون عصر أو جيل دون جيل . ولكن تعصب النّقاد القدامى للشّعر القديم هو الّذي أدّى إلى طرح مشكلة الـــسّرقة بهـــذه الحـــدّة , وبمفهومهـــا الضيـــّق , وجعلها تأخذ مجالاً واسعاً من اهتمام النّقاد فيما لا يغني النّقد ولا يـــساعد علـــى تطوّره ([2]) .

فالتّراث له سيطرته الّتي تخضع كلّ الشّعراء , وهذا لا يعني أن يقع الشّاعر ضـــحيّة لاستعباد هذا التّراث , فالشّاعر المجيد هو من يستطيع أن يطوّع هذا التّراث في خدمة فنّـــه دون أن يفنى فيه . فالاتكاء على التّراث لا ينفي عظمة الـــشّاعر , ولا يعنـــي أن يتحـــوّل الشّاعر إلى نسخة مكرّرة عن الآخرين , إذ لابدّ من فنّه وشخصيّته على ما هوبصدد الأخـــذ

---

[1]) ***تاريخ النقد الأدبي عند العرب*** / 673 , 293 .

[2]) كنعان , محمد دروبي سالم , ***المختارات الشعرية ومعاييرها النقدية حتى نهايـــة القـــرن الرابـــع الهجري*** /96 – 97 , رسالة ماجستير, جامعة اليرموك, إربد , 1983م .

منه , فهو لا يجب أن يتوقّف عند استيعاب التّراث بل عليه أن يجمع بين تجاربه وتجـــارب القدماء , ويستغلّ قدراته في معالجة كلّ ما هو موروث , وإخراجه بـــشكل جديـــد يناســـب عصره ([1]).

إن الأخذ من التّراث والإفادة منه ما هو إلا تفاعل المتأخّر مع المتقدّم , وإفادة كلّ جيل ممّن سبقه , وهذا الأمر لا يقف عند حدود أدب وحده بفروعه المختلفة بـــل ينطبـــق علـــى العلوم كافة , فالحضارة الإنسانيّة لا تتطوّر وتزدهر إلا بإفادة الأجيال من بعضها على مـــرّ العصور , وذلك بانطلاق كلّ جيل من النّقطة الّتي انتهى إليها الجيل السّابق له , وهذا يعنـــي أن المسألة ما هي إلا تلاقح أفكار وتبادل ثقافات وليست سرقة , وهذا ما فطن إليه الحـــاتمي عندما تحدّث عن مقوّمات الشّاعر , حيث أكّد أنّه لابدّ للاّحق من الاعتمـــاد علـــى الـــسابق اعتماداً يزداد عند هذا الأديب , ويقل عند ذاك , تبعاً لاطلاعه وثقافته وذكائـــه , فيقـــول : " ومن ظنّ أنّ كلامه لا يلتبس بكلام غيره , فقد كذب ظنّه وفضحه امتحانه ... ولـــو نظـــر ناظر في معاني الشّعر والبلاغة حتّى يخلص لكلّ شاعر وبليغ ما انفرد به من قـــول وتقـــدّم فيه من معنى لم يشركه فيه أحد قبله ولا بعده , لألفى ذلك قليلاً معدوداً , ونزراً محدوداً"([2]).

التّناص والسّرقات الشّعريّة :

تنبّه النّقاد القدماء إلى موضوع التّناص حينمـــا أومـــؤوا إلـــى قـــضيّة الـــسّرقات , وخصّوا بالذّكر سرقة المعاني , وقالوا إنّه باب لم يسلم منه أحد , وهذا إقـــرار مـــنهم بـــأنّ النّص يتناصّ مع نصوص كثيرة مهما حاول صاحبه أخذ الحيطة والحذر , ولكـــنّهم عـــزوا هذا التّناص إلى هذا المصطلح السّلبيّ " السّرقات "([3]) . ويقول الآمديّ : إن من أدركته مـــن

---

[1]) ينظر التطاوي , عبدالله , ***القصيدة العباسية – قضايا واتجاهات***-/ 14 .

[2]) ***حلية المحاضرة*** 2 / 28 .

[3]) الجعافرة , ماجد ياسين , ***التناص والتلقي*** / 17 .

أهل العلم لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوئ الشّعراء وخاصّة المتأخّرين , إذ كان هذا باباً لم يتعرى منه متقدم ولا متأخّر ([1]) , وقال ابن رشيق في عمدته : " وهذا بـــاب متّسع جداً لا يقدر أحد من الشّعراء أن يدّعي السّلامة منه " ([2]) . فالــشّاعر لا يعــذر فـــي تناوله معاني من سبقه حتّى " يبرز المعاني الّتي سبق إليها , فيبرزها في أحسن من الكـــسوة الّتي عليها .... " ([3]) . وهذه النّظرة تومئ إلى وظيفة التّناص الّذي عبّر عنـــه النّقــاد العرب القدامى بالسّرقة , وهذه الوظيفة أشدّ خفاء عند المحدثين لأنّهم يعمدون إلـــى إخفائـــه بالنّقل والقلب وتغيير المناهج والترتيب , كما أنّهم تكلّفوا جبر ما فيه مـــن نقيـــصة بالزّيـــادة والتّأكيد والتّعويض في حال , والتّصريح في الأخرى , والاحتجاج والتّعليل ([4]).

ويبدو أنّ النّقاد العرب القدماء أحسّوا قصور فهم مصطلح السّرقة , وأنّه لا يعبّر بحـــال من الأحوال عن النّماذج الّتي توقّفوا عندها , وهم يرصدون تأثير الشّعراء بعضهم ببعض , ولهذا صنّفوا السّرقات , ووضعوا لها مصطلحات كثيرة متدرّجة كالتّلفيق والإلمام والمـــسخ والسّلخ ...., وهذا تصريح واضح بقصور مصطلح السّرقات ([5]).

وقد ناقش فكرة السّرقات الأدبيّة ونظريّة التّناص غير باحث وتوصّلوا إلى أنّ السّرقات الشّعرية هي التّناص في النّقد الحديث ([6]) , وعارض بعضهم هذه المقولة , حيـــث أشـــاروا

[1]) الآمدي , ***الموازنة*** / 291 .
[2]) ***العمدة*** 2 / 280 .
[3]) ابن طباطبا , ***عيار الشعر*** / 79 .
[4]) الجرجاني , ***الوساطة*** / 214 .
[5]) ينظر الجعافرة , ماجد ياسين , ***التناص والتلقي*** / 17 .
[6]) ينظر الكبيسي , طراد , ***التناص في القصيدة العربية الحديثة***, الأقلام , ع (11 – 12), 1987م ص138 . و القمري , بشير , ***مفهوم التناص بين الأصل والامتداد*** , الفكر العربي المعاصـــر, ع 60 -61 , 1989 م , ص92 . والـــسعدني , صـــلاح , ***التنـــاص الـــشعري قـــضية أخـــرى لقـــضية السرقات***/81-82 وجهاد, كاظم, ***أدونيس منتحلاً - دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمـــة يسبقها ما هو التـــناص*** - / 25 .

إلى أنّ السّرقات والتّراث النّقدي لدينا يختلف في دوافعه الفكريّة والفنيّة والتقنيّة عن الدّوافع الفكريّة والفنيّة والتقنيّة للتّناص([1]) .

فالظّروف الّتي نشأ فيها مصطلح السّرقات الأدبيّة تختلف عن الظّروف الّتي نشأ فيها مصطلح التّناص , فبواعث السّرقات كان أهمها العداوة القائمة بين النّقاد والشّعراء , وذلك للحطّ من شأن الشّعراء المجدّدين وتجريحهم انتصاراً للقديم ([2]), وبالمقابل فإنّ التّناص يتّكئ على الرّؤى الفكريّة للنّقد الحديث القائل بموت المؤلف والاهتمام بالنّص وحده وعلاقته بالعالم بالكاتب بالمتلقّي , فهو إذن أعمق وأشمل وأكثر تعقيداً من تحديد النّص السّابق واللاّحق وإن كان هذا جزء منه ([3]).

ويختلف التّناص عن السّرقات في محاور عدّة منها : محاور تتكئ على المضامين , وأخرى فنيّة. ومن الأولى أنّ التّناص أعمّ من السّرقات , إذ يجعل اللاشعريّ شعريّاً, فيوظّف الأسطورة والقصّة التّاريخية والشّخصيات التّراثية والحديثة , والمواقف الدّالة على أحداث قديمة أو حديثة , فيهدم بذلك الحدود الأجناسيّة القائمة منذ عصور سحيقة , فيخترقها إلى الأدبيّة واللاّأدبيّة . أمّا السّرقات فقد اقتصرت على نقل المعنى الشّعريّ أو القرآنيّ , وقد انصهرت ضمن ما يسمّى نثر المنظوم ونظم المنثور في حالات أخرى من السّرقات , لذلك كان التّناص أرحب وأوسع في طرحه للمضامين المتناصّة ([4]) .

---

1) ينظربنيس , محمد , ***ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب*** , مقاربة بنيوية تكوينية / 252 .و ماضي , شكري عزيز , ***من إشكاليات النقد العربي الجديد*** / 172. واصطيف , عبد النبي , ***التناص***, راية مؤتة , م2 , ع2 , 1993م , ص51. والموسى , خليل , ***التناص والأجناسية في النص الشعري***, الموقف الأدبي , ع 305 , 1996 م , ص 83.

2) ينظرالسمرة , محمود ,***عبد القاهر الجرجاني – الأديب الناقد*** - / 189 .

3) مراشدة , عبد الباسط , ***التناص في الشعر العربي الحديث – السياب ودنقل ودرويش أنموذجاً*** / 42 .

4) نفسه / 42 .

أما الاختلافات الفنيّة فتتجلى في مواطن متعدّدة , أولها أنّ النّقد القائم حـول الـسّرقات الـشّعريّة محوره البيت المفرد أو البيتان , وهو حكم يدرك شيئاً ويغيب عن إدراكه شيء كثير , إذ لو نظـر إلـى البيت في سياقه الّذي نبت فيه لربّما تغيّر الحكم واختلفت النّظرة ([1]).

أمّا التّناص فإنّه ينظر إلى النّص كاملاً , والأخذ فيه يتيح قراءة أجمل للنّص فلا حدود بين البيـت المأخوذ والنّص الحاضر لأنّ النّص يقوم بعملية هدم البيت المأخوذ وبنائه في نصّ جديد , فيصبح إشارة إلى نصّ غائب يثري النّص الحاضر, وضمن هذه الفعالية يكون النّشاط النّقدي ([2]).

---

[1]) **مراشدة** , عبد الباسط , ***التناص في الشعر العربي الحديث – السياب ودنقل ودرويش أنموذجاً*** / 43 .

[2]) نفسه / 43 .

الفصل الأول

التراث الديني في شعر أبي تمام والمتنبي

التّراث الدّيني في شعر أبي تمّام والمتنبّي

يعدّ التّراث الدّيني مصدراً خصباً من مصادر الإلهام الأوليّ عند المبدعين , فيرتبط الّدين بحياة النّاس اليوميّة والمعيشيّة ارتباطاً وثيقاً, ويحتلّ دوراً كبيراً في تشكيل الوجـــدان التّراثي للأمّة .

ويتمثّل التّراث الدّيني في الكتب السّماوية المقدّسة وما يحيطها مـــن أبعـــاد دينيّـــة أخرى , فالقرآن الكريم والكتاب المقدّس مثلاً كانا مصدرين أساسيين امتاح منهما الشّعراء وحاوروهما في عصور الأدب بعد عصر صدر الإسلام في كثير من المواقف .

توظيف القرآن الكريم في شعر أبي تمّام

لقد شكّل القرآن الكريم المصدر الأوّل للفصاحة والبلاغة والبيان في التّـــراث العربـــيّ , فكان له أثر كبير في تكوين معاني الشّعراء والأدباء والخطباء وألفاظهم وصـــورهم وصـــقلها , حيث استلهموا – على مرّ العصور – العديد من الألفاظ والمعاني من آياته وقصصه , وحكمه وأحكامه , ووعده وتبشيره ونذيره , ولونّوا أشعارهم بصوره الماديّة الجميلة , وأفكاره العظيمـــة المتميّزة ([1]).

كان القرآن الكريم , المعين الأوّل في عصر أبي تمّام لمن يريـــد أن يتثقّـــف فـــي تلـــك الفتـــرة , فلا غنى لأيّ مثقّف عن قراءته وفهمه وحفظه , فهو مصدر التّراث الدّيني , وينبـــوع الفكر الإسلاميّ , ومعيناً ثراً للبلاغة والفصاحة والبيان , إذ استثمره الشّعراء فـــي كـــلّ مكـــان

---

[1]) ينظرالسمره , محمود وآخر , ***مدخل إلى النقد الأدبي/*** 93 و عياش , ثناء نجاتي , ***التناص الـــديني في شعر رزّيـــك*** , مجلة الجامعة الأردنية لدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية , م23 , ع 2 , 2005 /249 . والعزام , محمود عيسى محمد , ***الشاهد الأدبي في النقد العربي القديم مفهومه ووظيفتـــه*** , / 125 , رسالة ماجستير , جامعة اليرموك - إربد , 1999 م .

وزمان في صوغ معانيهم , وإغناء إبداعاتهم , وإضفاء الجمال عليها , وتعميق تجاربهم الشّعرية .

وقد تأثّر أبو تمّام بالقرآن الكريم – ولعله حفظه – فظهرت آثاره واضحة في شعره , وذلك من خلال استخدامه ألفاظه ومعانيه وصوره ([1]) , ويعجب البهيتي من كثرة تمثّله بالقرآن الكريم , فيقول : " لا أعرف شاعراً من شعراء العربيّة , تأثر بالقرآن الكريم تأثّر أبي تمّام , فإنّ القارئ لا يكاد يمضي في الدّيوان حتّى يعثر بين خطوة وأخرى بشاعر كأنّما يضع نصب عينيه النّقل من القرآن الكريم " ([2]).

استيحاء ألفاظ القرآن الكريم ومعانيه

وتنوّعت إفادة أبي تمّام من القرآن الكريم , فوظّف كثيراً من ألفاظه في شعره , ومن ذلك قوله :

أَخرَجْتَهُم بَلْ أَخرَجَتْهُم فِتْنَةٌ   سَلَبَتْهُمُ مِن نَضرَةٍ وَنَعيمِ

نُقِلوا مِنَ الماءِ النَّميرِ وَعيشَةٍ   رَغَدٍ إِلى الغِسْلينِ وَالزَّقّومِ ([3]).

يصوّر أبو تمّام أعداء ممدوحه , بعد أن هزمهم , وما تبع هزيمتهم من انتقالهم من حال الكبرياء والسّعادة والنّعيم إلى حال الذّل والهوان والشّقاء , مستعيناً بألفاظ في رسم صورة ممدوحه من قوله تعالى : ﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** ﴾ ([4]) , وقوله تعالى : ﴿**إِنَّ**

[1]) ينظر بهجت , مجاهد مصطفى , ***التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول*** / 143 .
[2]) ***أبوتمام الطائي _ حياته وحياة شعره*** - /67 .
[3]) أبوتمام , ***الديوان*** 3 /265 – 266 .
[4]) المطففين 24 .

شَجَرَةَ الزَّقُّومِ , طَعَامُ الأ ثِيمِ ﴾ ([1]) , وقوله تعالـــى : ﴿ **فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَـــا حَمِيــــــم , وَلا طَعَامٌ إلاّ مِنْ غِسْلِينٍ** ﴾ ([2]) .

وتجده في قوله :

عَيّاشُ ([3]) إِنَّكَ لَلَّئيمُ وَإِنَّني مُذْ صِرْتَ مَوضِعَ مَطْلَبي لَلَئيمُ

السُّحتُ أَطْيَبُ مِن نَوالِكَ مَطْمَعاً وَالمُهْلُ وَالغِسْلينُ وَالزَّقُّومُ ([4])

يوظّف ألفاظاً من الآيات السّابقة الذّكر وقوله تعـــالى : ﴿ **كـَـالْمُهْـــــلِ يَغْلِـــــي فِـــي الْبُطُــونِ** ﴾ ([5]) , في موقف هجائيّ , حيث يفضّل السّحت وشرب المهل علـــى عطـــاء ذلك المهجو, إيحاء منه بشدّة بخل عيّاش بن لهيعة ولؤمه .

ويفخر أبو تمّام بقومه , فيقول:

وَقِسْمَتُنا الضّيزى بِنَجْدٍ وَأَرضِها لَنا خُطْوَةٌ في عَرضِها وَلَهُمْ فِتْرُ ([6]).

فقوم أبي تمّام اشتهروا بالبأس والقوّة وعلوّ المنزلة وسرعة التّقدم والتّطور, فــإذا كـــان الآخـــرون يتّقدمون فتراً , فإنّ قومه يتقدّمون خطوة , وهو هنا يستوحي ألفاظاً من قولـــه تعـــالى :﴿ **تِلْــكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى** ﴾ ([7]) , ليؤكد على علوّ همّة قومه , وسبقهم للمعالي .

ويستوحي بعض الألفاظ القرآنيّه في قوله :

تَزْكو مَواعِدُهُ إِذا وَعْدُ امرِئٍ أَنساكَ أَحلامَ الكَرى الأَضْغاثا

---

[1]) الدخان 43 -44 .
[2]) الحاقة 35 – 36 .
[3]) عياش بن لهيعة, قائد الشرطة في مصر (ت 215هــ) ينظرابن ناصر الدين , ***توضيح المشتبه*** 3 / 252 .
[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 /425 .
[5]) الدخان 45 .
[6]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 578 .
[7]) النجم 22 .

لَم آتِها مِنْ أَيْ وَجْهٍ جِئتُها إلاّ حَسِبْتُ بُيوتَها أَجْداثا (1)

فأبو تمّام يستعطف ممدوحه مالك بن طوق (2) , من خلال الإشارة إلى ضيق مجـــالات الحياة في قريته وقلة أهل الفضل فيها مستعيناً بألفاظ قرآنيّة من قولـــه تعـــالى : ﴿ **قَـــالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ** ﴾ (3) , **وقوله تعالى** :﴿ **خُشَّعًا أَبْــصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ** ﴾(4) , ليؤثّر في ممدوحه , مما أضــفى علـــى بيته جمالاً وعمقاً.

ويستوحي أحياناً لفظة من القرآن الكريم في رسم صورته :

حَتّى تَرَكْتَ عَمودَ الشِّرْكِ مُنْقَعِراً وَلَم تُعَرِّج عَلى الأَوْتادِ وَالطُّنُبِ (5)

تحدّث أبو تمّام عن نتائج فتح عمّوريّة , ومنها أنّ المعتصم جعل عمود الشّرك منقعراً أي آيلاً للسّقوط مستوحياً لفظة منقعراً من قوله تعالى :﴿ **كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْــلٍ مُّنقَعِــرٍ** ﴾(6) , فهذه اللّفظة جعلت معنى البيت أكثر عمقاً وإيحاءً , لأنّها توحي بعظم هذا العمل .

ويهجو موسى بن إبراهيم الرافقيّ (7) :

فاضَ اللِّئامُ وَغاضَتِ الأَحْسابُ وَاجتُثَّتِ العَلْياءُ وَالآدابُ

فَكَأَنَّ يَومَ البَعْثِ فاجَأَهُم فَلا أَنسابَ بَينَهُمُ وَلا أَسبابُ (8)

---

1) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 320 – 322 .

2) مالك بن طوق التغلبي (ت 260هـ) صاحب الرحبة؛ أحد الأشراف والفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل ينظر الأتابكي , ***النجوم الزاهرة*** 3 / 32 .

3) يوسف 44 .

4) القمر 7 .

5) أبو تمام , ***الديوان*** 1 /64 .

6) القمر 20 .

7) أبو المغيث ولي إمرة دمشق للمعتصم , وإمرة حمص للواثق ينظر ابن عساكر , ***تاريخ مدينة دمشق*** 60 / 388 .

8) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 311 .

فهو يعرّض بمهجوه وذلك من خلال قوله له : إنّ اللّئام قــد كثــروا , والأحــساب استؤصــلت واختفت , وكذلك العلياء والآداب , وكأنّ يوم البعث قد جاء فجأة , وليؤكّد هذا المعنى اقتبس من قوله تعالى وحوّره : ﴿ **فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ** ﴾ ([1]) .

ويصوّر أبو تمّام سياسة ممدوحه أبي سعيد الثّغري ([2]) في جهاده ضدّ الرّوم في قوله :

قَد رَأَوْهُ وَهُوَ القَريبُ بَعيداً وَرَأَوْهُ وَهُوَ البَعيدُ قَريبا ([3])

فيبيّن أبو تمّام أنّ حالات ممدوحه التبست على أعدائه في القرب منهم والبعد عنهم , فهــم يرونه على قربه منهم بعيداً لمناعته , ويرونه قريباً منهم لعزمه وهجومه الــشّديد , أي أنّ سياسته قد خفيت عليهم . وإنّ من أعظم فنون السّياسة ألاّ يظهر الدّهاء للأعداء كما فعــل أبو سعيد , إذ لم يدركوا خططه مع أنّ خططهم كانت لديه واضحة , وهو في معناه ولفظه متأثّر بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا** ﴾ ([4]).

ويعاتب أبوتمّام عيّاش بن لهيعة بقوله :

لَيْسَ يَدْري إلاّ اللّطيفُ الخَبيرُ أَيُّ شَيءٍ تُطْوى عَلَيْهِ الصُّدورُ

ويَقولونَ إنَّكَ المَرْءُ بِالغَيْــــ ـبِ مُحامٍ عن الصَّديقِ نَصورُ

فإذا جِئْتُ زائراً حَجَبَتْ وَجْـ ـهَكَ عَنّي كَآبَةٌ وبُسورُ ([5])

لأنّه يرى منه خلاف ما يسمع عنه , ويستعين بالآية الكريمة ليعبّر عمّا يجول بخاطره :

﴿ **وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ**

---

[1]) المؤمنون 101 .

[2]) أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي الحميدي , من أهل مرو، وكان من قواد حميدٍ الطوسي. ينظر الصولي , ***أخبار أبي تمام*** /227 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 163 .

[4]) المعارج 6 – 7 .

[5]) **أبو تمام** , ***الديوان*** 4 / 448 .

الْخَبِيرُ ﴾ ([1]).

ويمدح محمّد بن يوسف في قوله :

لَبِستُ سِواهُ أَقواماً فَكانوا   كَما أَغنى التَيَمُّمُ بِالصَّعيدِ ([2])

إذ يصوّر أبوتمّام كرم ممدوحه الّذي لم يجد له نظيراً في عصره , مبيناً له أنّه كان مضطرّاً إلى إتيان غيره , فلم يرضه عطاءهم , فاقتنع بالأقلّ منهم , كمن يقتنع بالتيمّم من لم يجد ماء مستوحياً قوله تعالى : ﴿ **أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا** ﴾ ([3]).

ويشكر أبو تمّام خالد بن يزيد بن مزيد الشّيباني ([4]) على معروف له :

لأَشْكُرَنَّكَ إِن لَم أوتَ مِن أَجَلي   شُكراً يُوافيكَ عَنّي آخِرَ الأَبَدِ

وَإِن تَوَرَّدْتُ مِن بَحرِ البُحورِ نَدىً   وَلَم أَنَل مِنهُ إِلاّ غُرفَةً بِيَدي ([5])

فيبيّن مدى امتنانه لممدوحة , حتّى إنّه سيشكره طوال عمره شكراً يوافيه عنه إلى الأبد حتّى لو كان عطاؤه قليلاً , وقد استوحى معناه ولفظه من قوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ** ﴾ ([6]).

ويمدح أحمد بن أبي دؤاد ([7]) في قوله :

---

1) **الملك** 13 – 14 .

2) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 42 .

3) **النساء** 43 .

4) هو خالد بن يزيد بن مزيد أحد الولاة الأجواد , ولاه المأمون مصر سنة 206 هـ , وكان والياً على أرمينية أيام الواثق , ومات سنة 230 هـ ينظر الأصفهاني , ***الأغاني*** 15 / 104 والصولي , ***أخبار أبي تمام*** / 107 , 158 , 163 .

5) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 7 .

6) النساء 43 .

7) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك (ت 240هـ) أحد القضاة المشاهير من المعتزلة . ينظر النديم ***الفهرست*** 5/ 212 و النويري , ***نهاية الأرب*** 22 /188 – 216 والذهبي , ***العبر*** 1 / 333 -345.

مَعادُ البَعْثِ مَعروفٌ ولَكِنْ   نَدى كَفَّيْكَ في الدُّنيا مَعادي ([1])

فيثني أبو تمّام على ممدوحه ويبالغ في ثنائه عليه , موظّفاً قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ** ﴾ ([2]) , ليبيّن كرمه الّذي لا حدود له .

ويمدح المعتصم في بائيّته المشهورة :

رَمى بِكَ اللَهُ بُرجَيْها فَهَدَّمَها   ولَو رَمى بِكَ غَيرُ اللَهِ لَم يُصِبِ

مِن بَعدِ ما أَشَّبوها واثِقينَ بِها   وَاللَهُ مِفتاحُ بابِ المَعقِلِ الأَشِبِ ([3])

فقد كان قتال المعتصم نصرة لدين الله , ولو كان لغير ذلك لم ينصر , ويرى أبو حمدة أنّ الرّمي في وقعة عمّوريّة مزيّة من المزايا الّتي أعطيها المعتصم كما كان أعطي جدّه محمّد - صلوات الله وسلامه عليه - , وهي أنّ الرّمي في غزوة بدر كان الله هو الّذي رمى على الحقيقة ([4]).وهو في هذا المعنى يحاكي قوله تعالى : ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ([5]) و قوله تعالى :﴿ **وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى** ﴾ ([6]).

ويشير أبو تمّام إشارة ضمنيّة إلى مباركة الله سبحانه وتعالى وملائكته فتح عمّوريّة بقوله :

فَتحٌ تَفَتَّحُ أَبوابُ السَّماءِ لَهُ   وَتَبرُزُ الأَرضُ في أَثوابِها القُشُبِ ([7])

---

1) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 375 .
2) القصص 85 .
3) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 59 .
4) ينظر ***في التذوق الأسلوبي واللغوي لقصيدة أبي تمام في فتح عمورية*** / 54 – 60 .
5) الروم 47 .
6) الأنفال 17 .
7) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 46 .

وإضافة الأثواب فيه إسباغ على ما يتعلّق بالإنسان على الجماد بما يعمّــق الإحــساس بالفعــل والمنظر ومتعلقاته , وكأنّ الأرض قد اكتست حلل البهجة احتفاء بالنّصر عــلاوة علــى لونهــا الأخضر بما اكتسته من دماء الشّهداء . وذكر السّماء والأرض بما فيهمــا مــن مقابلــة تعمّــق الإحساس بالصّورة المطلوبة لهما قرينة قرآنيّة أيضاً ففي قوله تعــالى : ﴿ **فَمَــا بَكَــتْ عَلَــيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَــرِينَ** ﴾ ([1]) إشارة بالغة إلى أنّ السّماء والأرض تتخذان موقفــاً من البهجة والسّخط تعبيراً عن إرادة الله سبحانه وتعالى , وكأنّ أبا تمّام لمــح هــذه القرينــة , فحولها عن مقامها في فرعون وقومه إلى أن تكون في موقع الرضا والبهجة والمسرّة([2]).

وقال أبو تمّام يمدح أبا الحسين محمّد بن الهيثم بن شبانة ([3]) ويبرر إسرافه بقوله :

لَهُ خُلُقٌ نَهى القُرآنُ عَنْهُ ... وَذاكَ عَطاؤُهُ السَّرَفُ البِدارُ

وَلَم يَكُ مِنكَ إِصْرارٌ وَلَكِن ... تَمادَت في سَجِيَّتِها البِحارُ ([4])

فأبو الحسين بلغ حدّ الإسراف حتّى أصبح ذلك سجيّة فيه وطبع لا يتغيّر , كسجيّة البحار في منع اللّؤلؤ , فهو لا يقصد أن يخالف أمر الله بلزوم الإسراف الّذي نهى عنه , ولكــنّ ذلك طبع فيه وعادة , والعادة طبيعة ثانية يصعب مخالفتها , ويلاحظ أنّه تأثّر بقوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ ([5]).

---

[1]) الدخان 29 .

[2]) ينظر أبو حمدة , محمد علي , ***في التذوق الأسلوبي واللغوي لقصيدة أبي تمام الطائي فــي فــتح عمورية*** / 33 - 34 .

[3]) قاضي عكبرا وبها وفاته سنة 279 هــ , من ثقات رواة الحديث . ينظرالبغدادي , ***تاريخ بغداد*** 3 / 362 .

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 156 – 157 .

[5]) الأعراف 31 .

ويورد أبو تمّام بعض التّعابير ذات الخصوصيّة القرآنيّة , مع تحوير فيهـا دون أن يفقدها تلك الخصوصيّة . ([1]) ومن الأمثلة على ذلك قوله :

هِيَ بَيعَةُ الرِّضوانِ يُشْرَعُ وَسْطَها بابُ السَّلامَةِ فَادخُلوا بِسَلامِ ([2])

فهو هنا يقتبس قوله تعالى : ﴿ **ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ** ﴾([3]) بمناسـبة مبايعـة الواثـق بالخلافـة , فهذه المبايعة هي بيعة الرّضوان لما فيها من الصّلاح والسّلامة للمسلمين .

وفي وقفة غزليّة , يقول أبو تمّام :

فَاعذِلوا فيهِ كَيفَ شِئْتُم وَقولوا قَدْ كَفى اللّهُ المُؤْمنينَ القِتالا ([4])

يوضح أبو تمّام في هذه الوقفة موقف العذّال والحسّاد منه و من محبوبته , حيث يفوض فـيهم أمره إلي الله , وليدعّم موقفه ويذكّرهم بعاقبة أفعالهم يوظّف قوله تعالى :﴿ **وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ** ﴾ ([5]).

و يمدح إسماعيل بن شهاب ويشكره , فيقول:

قَد سَقَتْني الأَيّامُ مِن يَدِها سُمّاً لِفَقْدي لَهُ بِكَأسٍ دِهاقِ ([6]).

ويعيش أبو تمّام حياة صعبة قاسية نتيجة بعده عن ممدوحه وفراقه لــه , وللتّعبيــر عــن هــذا الشّعور يوظّف قوله تعالى :﴿ **وَكَأْسًا دِهَاقًا** ﴾ ([7]) , ليؤّثر بالمتلقّي , فالإنسان عندما يسمع هــذه الآية يتذكر ثواب المتّقين في جنّات النّعيم , وهم يشربون كؤوساً ممّا لذ وطاب , ويعيشون فــي رغد وهناء , ولكن أبا تمّام استخدم هذا المعنى في سياق جديد مخالف لمــا ورد فــي الآيــة ,

---

[1]) ينظرغضبة , عبد الرحمن , ***استلهام التراث في شعر أبي تمام*** , مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية , جامعة قطر , السنة3 , العدد 3 ,1991 م , ص 232 .
[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 207 .
[3]) الحجر 46 .
[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 /255 .
[5]) الأحزاب 25 .
[6]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 448 .
[7]) النبأ 34 .

فأصبحت هذه الكأس مؤشراً على الحزن والألم , والشّعور بالضّيق والضّجر . فدلالة الامــتلاء في النّص القرآنيّ إيجابيّة , بينما دلالته في نصّ أبي تمّام سلبيّة , ممّا يكشف عن قدرتــه فــي استثمار النّص القرآنيّ في التّعبير عن حالته الوجدانية الخاصّــة , وتوظيفــه وفــق مقتــضيات الموقف الّذي يصوّر . ومما يؤكد أنّ أخذه من القرآن كان عن وعي بالقرآن , وأن أخذه لم يكن للتّزيين وإنما للتّوظيف , وللاقتراب بنصّه الإبداعي من النّص الأنموذج.

استدعاء صور من القرآن الكريم

ويستوحي أبو تمّام كثيراً من صوره من القرآن الكريم , ومــن الأمثلــة علــى ذلــك استيحاؤة صورة المشي على الصّراط المستقيم , ووضعها في سياق جديد , وذلك في وصف حجّــة حجها مع صالح بن عبد القدّوس القرشيّ:

فَمَرَّت مِثْلَما يَمْشي شَهيدٌ سَوِيّاً في صِراطٍ مُسْتَقيمِ

وَ لَوْلا اللهُ يَوْمَ مِنىً لأَبْدَت هَواها كلُّ ذاتِ حَشىً هَضيمِ ([1]).

فيصوّر أبو تمّام سرعة ناقة الممدوح في طيّ المسافات , ومعاناتها , وهذه النّاقة ربّما تمثّل الوجــه الآخر للممدوح مستوحياً قوله تعالى : ﴿ **اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ** ﴾ ([2]) ممّا أضفى جمــالاً علــى هذا البيت , لأنّها تحمل دلالة الاستقامة , وهذا ما يريد أبو تمّام أن يضفيه على ممدوحــه , إضــافة إلى صفة الشّرف الّتي يتمتّع بها الشّهيد يوم القيامة , فصورة النّاقة الّتــي تمــشي علــى الــصّراط المستقيم مشي الشّهيد تسترعي الانتباه وتثير الدّهشة , وهو بذلك يخرج عن مألوف عادة الــشّعراء في توظيفه هذه الآية .

ويبيّن أبو تمّام إيقاع ممدوحه محمّد بن يوسف الطّائي بأعدائه في قوله :

[1]) أبو تمام , **الديوان** 4 / 535 .
[2]) الفاتحة 6 .

قَسَمْناهُم فَشَطْرٌ لِلعَوالي وَآخَرُ في لَظىً حَرِقِ الوَقودِ

كَأَنَّ جَهَنَّمَ انضَمَّتْ عَلَيهِمْ كِلاها غَيرَ تَبديلِ الجُلودِ ([1]).

فيصوّر أبو تمّام فعل ممدوحه بأعدائه , إذ قتل بعضهم وأحرق الآخر , وكأنّهم أدخلوا نار جهنم, غير أنّ أهل جهنّم كلّما نضجت جلودهم بدّلوا جلوداً , وهؤلاء أحرقوا دفعة واحدة مستمدّاً صورته من قوله تعالى :﴿ **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا** ﴾ ([2]).ويوظّف الآية نفسها في تصوير هول معركة عمّوريّة فيقول :

تِسْعونَ أَلْفاً كَآسادِ الشَّرى نَضِجَتْ أعمارُهُم قَبلَ نُضجِ التّينِ وَالعِنَبِ ([3])

فهو يبيّن هول المعركة الّتي خاضها المعتصم لفتح عمّوريّة , حيث أحرق تسعين ألفاً من الرّوم , فلقوا حتفهم قبل نضج التّين والعنب , حيث استعار الفعل نضج للأعمار.

ويرثي أبو تمّام محمد بن حميد الطّوسيّ بقوله :

تَرَدّى ثِيابَ المَوْتِ حُمْراً فَما أَتى لَها اللَّيلُ إلاّ وَهْيَ مِن سُنْدُسٍ خُضْرُ ([4])

ويؤكّد أبو تمّام أنّ المرثيّ حيّ يرزق عند الله في الجنّة حيث النّعيم والحياة الخالدة لأنّه شهيد , مستوحياً صورته من قوله تعالى﴿ **عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ** ﴾ ([5]) .

فكنّى عن الشّهادة بالحمرة لون الدّم , وكنّى عن السّعادة الأبديّة بلون الخضرة , وما بين الطّرفين تضاد واضح ([6]) . وهو هنا يوظّف الألوان توظيفاً فنّيّاً وفكرياً , فالدّماء في بداية الأمر تكون حمراء قانية اللّون , حتّى إذا مضى عليها وقت مالت إلى السّواد , وما تزال بطول الوقت , تميل إلى لون داكن هو خليط من السّمرة والخضرة وفيه من تكوين "

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 39 .
[2]) النساء 56 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 69 .
[4]) نفسه 4 / 81 .
[5]) الإنسان 21 .
[6]) كبابة , وحيد صبحي , ***الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس*** / 110 .

البلازما " ذرات سندسيّة تشبه أكسيد الحديد , فاستغلّ أبو تمّام هذه الصّورة المرئيّة للـــون الدّم بعد جفافه , ومع اختلاطه بظلمة اللّيل , حيث لا تستخرج الشّمس بقايا بريق الحمـــرة فيه وشاكل مشاكلة قويّة بين هذا الدّم وثياب السّندس الأخضر . وهكذا يتقــصى ويتعمّــق ليأتي بالجديد ([1]) . ويستوحي الآية نفسها في رسم صورة فرسه ليبيّن شدّة إعجابه بصفاء أديمه وجماله ليشدّ انتباه المتلقّي , فيقول :

صافي الأَديمِ كَأَنَّما أَلبَسْتَهُ　　　مِن سُندُسٍ بُرْداً وَمِن استَبرَقِ ([2])

ويقول في مدح محمّد بن يوسف :

فَمَرَّ وَلَو يُجاري الرّيحَ خِيلَتْ　　　لَدَيْهِ الرّيحُ تَرْسُفُ في القُيودِ

شَهِدتُ لَقَدْ أَوى الإِسلامُ مِنْهُ　　　غَداتئذٍ إِلى رُكنٍ شَدِيدِ ([3])

ويستعين أبو تمّام في نصّه بقوله تعالى: ﴿ **قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُــوَّةً أَوْ آوِي إِلَــى رُكْــنٍ شَدِيــدٍ** ﴾ ([4]) , ليصوّر شجاعة ممدوحه ونصرته للإسلام في حربه ضدّ أعدائه , وتمكينه منهم .

الإشارة إلى بعض الآيات

ويشير أبو تمّام إلى عناوين بعض السّور في مدح الواثــق , وتهنئتــه بالخلافــة , فيقول :

أَخَذَ الخِلافَةَ عَنْ أَسِنَتِهِ الَّتي　　　مَنَعَتْ حِمى الآباءِ وَالأَعمامِ

فَلِسورَةِ الأَنفالِ في ميراثِهِ　　　آثارُها　وَلِسورَةِ　الأَنعامِ ([5])

---

[1]) ينظرأبو الأنوار , محمد , ***الشعر العباسي*** / 336 .
[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 415 .
[3]) نفسه 2 / 37 .
[4]) هود 80 .
[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 204 .

ففي ذكر أبي تمّام لسورة الأنفال إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ** ﴾ ([1]) . وفي ذكره لسورة الأنعام إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ *وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ ([2]) وقوله ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** ﴾ ([3]) . أراد أبو تمّام من هذه الآيات الإشارة إلى أنّ لوطاً ابن أخ إبراهيم - عليهما السّلام - , وكذلك قرابة النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - للعبّاس رضي الله عنه - , وذلك ليدافع عن حقّ العباسيّين بالخلافة بشكل غير مباشر بصفتهم أعمام الرّسول - صلّى الله عليه وسلّم – وأراد من قوله تعالى :﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ** ﴾ ([4]) , أن يدلّل على منزلة الممدوح .

ويظهر نصّ قرآنيّ خلف نصّ أبي تمّام حين يقول :

يا سَمِيَّ الَّذي تَبَهَّلَ يَدعو رَبَّهُ مُخلِصاً لَهُ في قُل أوحي

وَشَبيهَ الَّذي اِستَقَلَّت بِهِ العيـ رُ عَنِ الجُبِّ خاضِعاً كَالطَّليحِ ([5])

إذ يخاطب أبو تمّام رجلاً يدعى محمداً , وأراد أن يخلع عليه هالة من القداسة , فاستخدم فعل الأمر " قل" الموجه إلى النبّي محمّد - عليه الصّلاة والسّلام - مستوحياً قوله تعالى :

---

[1]) الأنفال 75 .
[2]) الأنعام 82 – 86 .
[3]) الأنعام 165 .
[4]) الأنعام 165 .
[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 4/ 80 .

﴿ **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا** ﴾ ([1]). كأن أبا تمّام أراد أن يضع المخاطب في منزلة سامية , بحيث أنّه يلهم الحجّة والبيان في تعامله .

توظيف القرآن الكريم في شعر المتنبي

يعدّ القرآن الكريم عنصراً أساسيّاً من عناصر ثقافة أبي الطّيّب المتنبّي , وقد تضافرت عوامل متعدّدة وجّهته لدراسته أهمها: نشأته الدّينيّة المبكّرة في الكوفة , حيث هيأت له علاقة مبكرة بكتاب الله , فحفظ أجزاء كبيرة منه , كان يستند عليها في المناقشات الّتي دارت بينه وبين من أملى عليهم ديوانه , وبين من ناظره في كثير من مسائل النّحو واللّغة([2]) .

ومن ذلك احتجاجه ببعض الآيات في ملاحظاته النّقديّة الّتي وجّهها لغيره من الشّعراء , ومن الأمثلة على ذلك نقده للأعشى في قوله :

وَهَل تُنكَرُ الشَّمسُ شَمسُ النّها رِوَ القَمَرُ الباهِرُ الأَبرصُ

فعاب على الأعشى استخدام لفظة الأبرص قائلاً : و لو كانت لفظة الأبرص في كتاب الله لكدّرت شِرْب بلاغته , ولما أراد الله تعالى ذكره كنّى عنه بأحسن كناية من قوله جلّ اسمه ([3]) ﴿ **بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ** ﴾ ([4]) .

---

[1]) الجن 1 – 2 .
[2]) نعجه , فتحي أسعد اسماعيل , ***الشخصية الإسلامية في شعر المتنبي*** / 172 .
[3]) الحاتمي , ***الرسالة الموضحة*** / 84 .
[4]) طه 22.

توظيف معاني القرآن الكريم وألفاظه في شعر المتنبي

تنوّعت إفادة المتنبّي من القرآن الكريم , فيستوحي كثيراً من آياته في شعره , ومن ذلك قوله :

يُعطي فَلا مَطْلُهُ يُكَدِّرُها بِها وَلا مَنُّهُ يُنَكِّدُها ([1])

فممدوح المتنبّي محمّد بن عبيد الله العلويّ لا يمطل قبل العطاء ولا يمنّ بعده , ولا ينغّص العطيّة , ولا يقلّل خيرها , فالمنّة تهدم الصّنيعة , وهذا المعنى مستوحى من قوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى**﴾ ([2]).

وقال يمدح الحسين بن عليّ الهمدانيّ :

بِمَن تَشخَصُ الأَبصارُ يَوْمَ رُكوبِهِ وَيَخْرَقُ مِنْ زَحْمٍ عَلى الرَّجُلِ البُردُ

وَتُلْقي وَما تَدري البَنانُ سِلاحَها لِكَثْرَةِ إيماءٍ إِلَيْهِ إِذا يَبْدو ([3])

فإذا رأى النّاس هذا الممدوح , انشغلوا برؤيته والإيماء نحوه , فيلقون ما بين أيديهم من السّلاح وهم لا يشعرون , وهو في هذا البيت يتواصل مع قوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ** ﴾ ([4]) , والرّابط بين البيت والآية فرط الدّهشة والمفاجأة .

وقال يمدح محمّد بن عبيد الله العلويّ :

أَثَّرَ فيها وَفي الحَديدِ وَما أَثَّرَ في وَجْهِهِ مُهَنَّدُها

فَاغْتَبَطَتْ إِذْ رَأَتْ تَزَيُّنَها بِمِثْلِهِ وَالجِراحُ تَحْسُدُها ([5])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 304 .
[2]) البقرة 264 .
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 5 .
[4]) يوسف 31 .
[5]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 307 .

إنّ الضّربة فرحت بحصولها بوجه الممدوح , وحلولها فيه , فحسدت بقية الجـــراح هـــذه الضّربة , لأنّها لم تصادف شرف محلها , وبخاصّة أنّ العرب تفتخر بالضّرب في الوجه, وهو في معناه متأثّر بقوله تعالى :﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ ([1]) .

وأرسل أبو العشائر ([2]) بازيّاً على حجلة , فقتلها بمخالبه , فقـــال المتنبّـــي فـــي ذلـــك :

فَأَقعَصَها بِحُجْنٍ تَحْتَ صُقْرٍ لَها فِعلُ الأَسِنَّةِ وَالرِّماحِ

فَقُلْتُ لِكُلِّ حَيٍّ يَوْمُ مَوْتٍ وَإِنْ حَرَصَ النُّفوسُ عَلى الفَلاحِ ([3])

فيؤكّد المتنبّي أنّ كلّ حيّ مصيره الموت مهما صارع في سبيل البقاء , وهـــو فـــي هـــذا المعنى يستوحي قوله تعالى :﴿ **لا إِلَهَ إِلاهُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ** ﴾ ([4]) وقوله تعالى: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ ([5]) , وقوله تعالى: ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾([6]) .

وقال في وصف فعل السّيوف :

وَاستَعارَ الحَديدُ لَوناً وَأَلْقى لَونَهُ في ذَوائِبِ الأَطفالِ ([7])

فالسّيوف ألقت ألوانها البيضاء على ذوائب الأطفال لشدّة ما نالهم من الفزع , فغزا الشّيب رؤوسهم وهم في مقتبل العمر , وهو في هذا البيت يستوحي قوله تعالى :﴿ **فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا** ﴾ ([8]).

وقال يمدح سيف الدّولة ويذكر نهوضه إلى الثّغر :

---

[1]) الشورى 11 .
[2]) أبو العشائر : هوالحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان ابن عم سيف الدولة , وأمير أنطاكية من قبله ينظر البديعي , ***الصبح المنبي*** / 68 .
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 260 .
[4]) القصص 88 .
[5]) الأنبياء 35 .
[6]) الرحمن 26 .
[7]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 200 .
[8]) المزمل 17.

بَسَطَ الرُّعبُ في اليَمينِ يَميناً   فَتَوَلّوْا وَفي الشِّمالِ شِمالا ([1])

إنّ الرّعب قد عمّ قلوب أعداء ممدوحه , حتّى كأنّه بسط يمينه في ميمنة جيشهم , وبسط شماله في ميسرته فولّوا هاربين ,وهو في هذا المعنى نظر إلى قوله تعالى :﴿ **يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ**﴾([2]) , فالآية الكريمة تدلّ على أنّ الكافرين يرون المؤمنين ضعفيهم في العدد , لأنّ الله أكثر المؤمنين في أعين الكافرين , ليرهبوهم , ويسجنوا عن قتالهم , فالرّابط بين الآية وقول المتنبّي هو الخوف الّذي يكتنف الأعداء ورهبتهم من قتالهم المسلمين وجبنهم أمامهم ([3]) .

ويستمدّ المتنبّي بعض المعاني القرآنيّة , ويقدّمها في صورة جديدة , نحو قوله :

حَولي بِكُلِّ مَكانٍ مِنهُمُ خِلَقٌ   تُخطي إِذا جِئتَ في اِستِفهامِها بِمَنِ ([4])

إنّ المتنبّي يتعرّض للمخاطر في سفره , حتّى إنّه في كلّ مكان يحلّ به , يجد جماعة من الجهلاء معادية له , فلا مجال لمخاطبتهم أو التفاهم معهم فهم مثل البهائم . وهذه الصّورة مستمدّة من قوله تعالى :﴿ **أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا** ﴾([5]).

وقد استوحى المتنبّي في شعره بعض ألفاظ الآيات في رسم صوره الشّعريّة اللافته , نحو قوله :

تُباري نُجومَ القَذْفِ في كُلِّ لَيلَةٍ   نُجومٌ لَهُ مِنهُنَّ وَرْدٌ وَأَدْهُمُ ([6])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 142 .
[2]) آل عمران 13 .
[3]) ينظر الطبري , ***جامع البيان*** 3 / 194 .
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 4 /210 .
[5]) الفرقان 44 .
[6]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 353 .

حيث يصف المتنبّي خيل سيف الدّولة الحمدانيّ , فهي تتمتّع بقدرة خارقة وأفعال معجـــزة وغير متوقّعة , وهي تعكس حال الممدوح وطموحات المتنبّي لأنّها ســريعة الــسّير فـــي الأرض كما تسير النّجوم في السّماء , وسريعة الانقضاض على الأعداء , فتقذفهم بسرعة وتقصيهم من جميع الاتّجاهات , كما تقذف النّجوم مردة الشّياطين عند اســتراقهم الــسّمع وتقصيهم . فكلمة القذف تحمل دلالة سرعة الرّد وقوّته ومنع الحمى من أيّ معتد , وكذلك الشّهب بما تملكه من زجر كلّ من يقصد السّماء من مردة الشّياطين , ومنعه من الوصول وهذه الصّورة مستوحاة من قوله تعالى :﴿ **لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُــلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ** ﴾([1]) , ومثلما تظل النّجوم مرتبطة بنظام , يسير بأمر الله - سبحانه وتعالى - وإرادته , تظل خيل الأمير مرهونة بأمره وإرادته .

ويوظّف المتنبّي أحياناً لفظة من القرآن الكريم نحو قوله :

وَبِأَيّامِهِ الَّتي اِنسَلَخَت عَنــْـــهُ وَما دارُهُ سِوى الهَيْجاءِ ([2])

حيث طلب كافور إلى المتنبّي أن يصف داراً ابتناها , فبيّن أنّ فخر كافور بما ابتنـــاه مـــن المعالي لا من الدّور والطّين , وبأيامه الّتي قضاها في محاربة الأعداء , فاســتعار الفعــل انسلخ من قوله تعالى :﴿ **وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ** ﴾ ([3]) وقولـــه تعالى : ﴿ **فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ** ﴾([4]) , فاستخدام الفعــل انــسلخت بدلاً من مضت , تومئ بأنّ هذه الأيام جزء من ذات الممدوح لايتجزأ , فهـــي والممـــدوح شيء واحد متكامل , كما أنّ الليل والنهار يشكلان يوماً واحداً متكاملاً , والأشهر الحـــرم مع باقي أشهر السّنة تشكّل سنة واحدة متكاملة .

---

[1]) الصافات 8 – 9 .
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 33 .
[3]) يس 37 .
[4]) التوبة 5 .

ويستلهم أحياناً بعض معاني الآيات مع الاحتفاظ ببعض ألفاظها , نحو قوله :

وَجُرمٍ جَرَّهُ سُفَهاءُ قَومٍ   وَحَلَّ بِغَيرِ جارِمِهِ العَذابُ ([1])

إذ يستعطف المتنبّي سيف الدّولة على بني كلاب بقوله له : ربما ذنب أو جناية جناه سفيه فنزل العذاب بغيره , مستوحياً قوله تعالى:﴿ **أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّــا** ﴾ ([2]) وقولــه تعالى: ﴿ **وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّــةً وَاعْلَمُــواْ أَنَّ اللّــهَ شَدِيــــدُ الْعِقَــابِ** ﴾ ([3]).

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله في قوله :

جَزَت بَني الحَسَنِ الحُسنى فَإِنَّهُمُ   في قَومِهِم مِثْلُهُم في الغُرِّ عَدْنانا ([4])

فالمتنبّي يدعو لأهل الممدوح بدخول الجنّة , جزاء لهم , فإنّهم خير قومهم في عــدنان , وقومهم خير عدنان , وهو هنا يستوحي قوله تعــالى لفظــاً ومعنــى : ﴿ **فَلَــهُ جَـــــزَاء الْحُسْنَــى**﴾ ([5]).

ويمدح المتنبي شجاع بن محمد الطّائي المنبجيّ , فيقول :

إِلى سَيِّدٍ لَو بَشَّرَ اللَّهُ أُمَّةً   بِغَيْرِ نَبِيٍّ بَشَّرَتْنا بِهِ الرُّسْلُ ([6])

يبالغ المتنبّي في مدح شجاع , فيقول له :إنّ الله لا يبشّر بعباده من الخلق إلاّ إذا كان نبيــّاً , فلو كان يبشّر بغير نبيّ , لبشّرنا بك على لسان رسله . مستوحياً قوله تعالى : ﴿ **إِنَّــا**

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 81 .
[2]) الأعراف 155 .
[3]) الأنفال 25 .
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 4 /227 .
[5]) الكهف 88 .
[6]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 185 .

أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ([1]) وقوله تعالى : ﴿ فَبَعَـثَ اللّــهُ النَّبِــيِّينَ مُبَــشِّرِينَ وَمُنذِرِيــنَ ﴾([2]).

ويرثي المتنبّي محمّد بن اسحق التّنوخي بقوله :

يُبكى عَلَيهِ وَما اِستَقَرَّ قَرارُهُ   في اللَّحدِ حَتّى صافَحَتهُ الحورُ ([3])

يبيّن المتنبّي الكرامات الّتي حظي بها المرثيّ عند الله – سبحانه وتعالى - , حيث إنه لــم يكد يستقر بالقبر حتى جاءته الحور العين , فصافحته وأكرمته بمراده منها ([4]) , مستوحياً

قوله تعالى :﴿ **وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ** ﴾ ([5]) .

استدعاء صور من القرآن الكريم

ويستدعي المتنبّي صوراً من القرآن الكريم , ومن الأمثلة على ذلك وصـــفه هيبـــة ممدوحه سعيد بن عبد الله المنبجيّ بقوله :

وَضاقَتِ الأَرضُ حَتّى كانَ هارِبُهُم   إِذا رَأى غَيرَ شَيءٍ ظَنَّهُ رَجُلا ([6])

حينما رأى بنو تميم هذا الممدوح مقبلاً عليهم بخيله , تركوا منازلهم هاربين خوفاً منـــه , فمن شدّة الخوف والفزع كانوا إذا ما رأى أحدهم شيئاً ضعيفاً كان أم قويّاً ومخيفا ًأم غيــر مخيف ظنّه رجلاً من أصحابه يريد أن يقتله من تصوّر هيبته في قلبـــه وتمكّــن الخــوف منـــه , وهذه الصّورة استقاها المتنبّي من قوله تعالى :﴿ **وَضَاقَــتْ عَلَيْكُــمُ الأَرْضُ بِمَــا**

---

1) فاطر 24 .
2) البقرة 213 .
3) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 132 .
4) الصقلي المغربي , أبو علي الحسين بن عبيد الله , ***التكملة وشرح الأبيات المشكلة من ديوان أبي الطيب المتنبي*** / 170.
5) الواقعة 22 – 23 .
6) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 168 .

رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ([1]) , حيث نقل صورة المسلمين المنهزمين في وقعة حنين حين استبدّ بهم الخوف وعكسها على أعداء ممدوحه . و" الهارب والمنهزم شتّى الرّأي متوزّع القلب , يرى ما لا يُرى , ويسمع ما لا يُسمع "([2]) ,ويستشف من عبارة ضاقت الأرض أنّ ممدوحه أحاط بأعدائه من كلّ جانب حتّى إنّه لم يعد هناك مسلك للهاربين ([3]).

ويقول أيضاً مصوّراً هيبة ممدوحه :

يُرَوْنَ مِنَ الذُّعرِ صَوتَ الرِّياحِ   صَهيلَ الجِيادِ وَخَفْقَ البُنودِ ([4])

يصوّر المتنبّي أعداء ممدوحه الّذين ولّوا هاربين , يظنّون صوت الرّياح صهيلاً للخيل وخفوق الأعلام من خوفهم لهذا الممدوح مستمدّاً صورته من قوله تعالى :﴿ **يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ** ﴾ ([5]) .

ويظهر التّصوير القرآني جليّاً في قول المتنبّي :

يَرى حَدُّهُ غامِضاتِ القُلوبِ   إِذا كُنتُ في هَبْوَةٍ لا أَراني ([6])

حيث يبيّن المتنبّي أنّ حدّ سيفه لا يخطئ الهدف , فهو يصيب قلوب الأعداء مباشرة , حتّى إذا اشتدّ العجاج في المعركة وأظلم , حيث لا يرى أحد نفسه , فيقتلهم قبل انقضاء أيامهم المكتوبة . وهذه الصّورة مستمّدة من قوله تعالى :﴿ **إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا** ﴾([7]) .

---

[1]) التوبة 25 .
[2]) الأصفهاني , ***الواضح في مشكلات شعر المتنبي*** / 66 .
[3]) ينظر شعيب , محمد عبد الرحمن , ***المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث*** / 303.
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 344 .
[5]) المنافقون 4 .
[6]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 191 .
[7]) النور 40 .

وخلاصة القول فإنّ المتتبع لتواصل أبي تمّام والمتنبّي مع الموروث الدّيني يجد أن القرآن الكريم قد ترك بصمات كثيرة وواضحة في شعرهما .

فأبو تمّام وجد في القرآن الكريم نفسه , وأشبع منه وجدانه , فأخذ يتعرّض لمعانيه وألفاظه وصوره , ليستعين به في تأكيد معانيه ورسم صوره ولوحاته الفنيّة .

وتأثّر أبو تمّام بآيات القرآن الكريم تأثّراً كبيراً , سواء أكان على مستوى جزيئيات القصيدة أم على مستوى الموضوعات الّتي يعالجها من خلالها , ممّا يدلّ على قدرته الفذّة في تطويع شعره ليتلقّى معاني الآيات كما يريد هو تصويراً أو تقريراً. وهو يفعل ذلك بوعي وإدراك كاملين ليتّسق ما يأخذه مع ما يقوله . وعودة إلى تلك الآيات القرآنيّة الّتي وظّفها في شعره فقد لاحظت أنّه أخذ من آيات التّبشير والنّذير والوعيد ومشاهد الآخرة . ولكن طرق أخذ أبي تمّام من القرآن الكريم لاترد على وتيرة واحدة , فهو أحياناً يكتفي بأخذ اللّفظ من الآيات كما هو , وغالباً ما يأخذ المعنى مكتفياً بإعادة صياغته , وقد يشير إلى بعض أسماء السّور , وربما ترك المعنى ليرتدّ إلى أكثر من آية , وربما حدّد المعنى الآية الّتي يقصدها , وهكذا ممّا يدلّ على أصول الثّقافة الدّينية لديه وعلى أصالة هذا المصدر .

أما المتنبّي فقد كان أقلّ تأثّراً بآيات القرآن الكريم في شعره من أبي تمّام رغم غلبة الطّابع الدّيني على عصره وانتشار الفتوحات الإسلاميّة , والجهاد ضدّ الرّوم , وذلك لأنّ المتنبّي يركّز في مدائحه وبخاصّة لسيف الدّولة على بطولاته وشجاعته وتمثّله للبطولة والقيم العليا , وهوالطّابع العام الّذي يغلب على شعره . وهو في هذا النّهج قد خالف شعراء المديح الّذين كانوا يخلعون على ممدوحيهم الصّفات الدّينية . ومع ذلك فقد تفنّن في إفادته من آيات القرآن الكريم , فاستمدّ منه بعض ألفاظه ومعانيه وصوره ,

بإدخاله بنية الآية في شعره , ودمجها في نصّه للتّعبير عن حالتــه الوجدانيــة وتــصويره بعض الحقائق والقيم الإنسانيّة , وقد استغلّ دلالات الآيات وإيحاءاتها للتّعبير عــن واقعــه موجهاً النّص القرآنيّ توجيهاً نفسيّاً يوّضح من خلاله فخره بنفــسه وبقــدرات ممدوحــه وشجاعته في الحروب .

وقد كان أحياناً يستخدم كلمة من القرآن الكريم في رسم صورته , مستفيداً من الإيحاء الّذي تمنحه بعض الألفاظ لصوره , ويستمدّ بعض المعاني القرآنيّة ويقدّمها بصور جديدة, ويحتفظ في بعض الأحيان بألفاظها , ويستعين أحياناً ببعض أمثال القرآن الكريم في رســم صوره .

توظيف القصص القرآنيّ في شعر أبي تمّام

وقد ساعدت ظروف العصر أبا تمّام على الإفادة في فنّه مــن القــصص الــدّيني , وبخاصّة في موضوعات العظة والاعتبار , حيث شهدت الدّولة العبّاســية حروبــاً طــال أمدها , ممّا هيّأ له الفرصة للتّعامل مع هذه الأحداث من المنظور الدّيني , وقد كان موقــع أبي تمّام من الخلافة العبّاسيّة من العوامل الّتي دفعته إلى الإفادة من القصص الدّيني , فهو يتولّى الدّعاية للخلفاء العبّاسيّين , ويعرض لهم الصّورة المثلى في عالم الفضيلة , وأولّهــا الدّينية الّتي تتطلّب منهم الدّفاع عن الثّغور الإسلاميّة , وحماية الدّولة الإســلامية , حيــث كانت معركة الخلافة مع الشّرك من أقوى الدّوافع لسلوكه هذا المسلك , إضافة إلى موقفه الذّاتــي , ذلك أنّ الثّقافة الدّينية بدت النّافذة الكبرى الّتي يطلّ منها على بقية ثقافاته قديمها وحديثها على السّواء فكان يفيد من القصص الدّيني كلّما سنحت لــه الفرصــة فــي فنّــه الشّعري , ومن الأمثلة على ذلك قوله :

بِأَبي شادِنٌ تَنَسَّمتُ مِن عَيـْ ـــنَيهِ يَومَ الخَميسِ ريحَ الصُّدودِ

صارَ ذَنبي كذَنبِ آدَمَ يا عَمـــ ـــرُو فَأُخْرِجتُ مِن جِنانِ الخُلودِ ([1])

فقد تواصل أبو تمّام مع قصّة خروج أدم – عليه السّلام – من الجنّة من خلال تـشبيهه ذنبه عند معشوقه بذنب آدم – عليه السّلام – الّذي أخرج بسببه من الجنّة , إذ عصى أبـو تمّام معشوقه أو أخطأ في حقّه , فطرده من حياته الّتي هي بالنّسبة إليه بمثابة الجنّـة لآدم – عليه السّلام - , فكلاهما فقد السّعادة بعد أن تذوّقها , فكان جزاء كلّ منهما الحرمـان , فالمعنى واضح العلاقة بقوله تعالى : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَـا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ﴾ ([2]) . وتواصل أبو تمّام مع القصّة نفسها في موقف هجائيّ , حيث يقول :

لَو فَرَّ شَيءٌ قَطُّ مِن شَكلِهِ فَرَّ إِذَن بَعضُكَ مِن بَعضِ

كَونُكَ في صُلْبِ أَبينا آدَمٍ أَهبَطَنا جَمْعاً إِلى الأَرضِ ([3])

فهو يعزو سبب خروج بني آدم جمعاً من الجنّة , وهبوطهم إلى الأرض إلى كون المهجوّ من صلب آدم – عليه السّلام – لا إلى عصيانه الله – عزّ وجلّ -.

ويتواصل مع قصص الأمم البائدة في قوله :

كَأَنَّهُمُ مَعاشِرُ أُهلِكوا مِن بَقايا قَومِ عادٍ أَو ثَمودِ ([4])

وهو بذلك يوظّف قصّة عاد وثمود , ليشبّه مصير أعداء ممدوحه محمّـد بـن يوسـف الطّائي الّذين جنوا على أنفسهم نتيجة عنادهم بمصير عاد وثمود كما ورد في قوله تعالى:

---

[1]) أبو تمام , *الديوان* 4 / 184 .
[2]) البقرة 35 – 36 .
[3]) أبو تمام , *الديوان* 4 / 383 .
[4]) نفسه 2 / 38 .

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ ([1]) وقوله تعالى : **﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى * وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴾** ([2]) .

ويقول في مدح مالك بن طوق مندّداً بأعدائه :

لا تَجعَلوا البَغيَ ظَهراً إِنَّهُ جَمَلٌ مِنَ القَطيعَةِ يَرعى وادِيَ النِّقَمِ

نَظَرتُ في السِّيَرِ الأولى خَلَت فَإِذا أَيّامُهُ أَكَلَتْ باكورَةَ الأُمَمِ

أَفنى جَديساً وَطَسْماً كُلَّها وَسَطا بِأَنجُمِ الدَّهرِ مِن عادٍ وَمِن إِرَمِ ([3])

ويوضّح أبو تمّام موقف ممدوحه مالك بن طوق التّغلبيّ وينـدّد بأعدائـه , فممدوحـه لا يرغب أن يلوغ في دماء أعدائه , وليس شرهاً لالتهـام لحـومهم , ولكـنّهم هـم الّـذين يستثيرونه ويقتدحونه بنار الحقد والتّعدي , ويخرجون عليه إذا كلب عـوى بيـنهم مـن الأعاجم , ولولا صلة القربى بين ممدوحه وبينهم لأبادهم , وليحضّ أعداء ممدوحه علـى الامتناع عن البغيّ , ويقرّعهم , يذكّرهم بعاقبته , حيث أفنى الأمم السّابقة كجديس وطـسْم وعاد وإرم .

ويقول أيضاً في باب الزهد :

أُصَوِّتُ بِالدُّنيا وَلَيسَت تُجيبُني أُحاوِلُ أَن أَبقى وَكَيفَ بَقائِيا

وَما تَبرَحُ الأَيّامُ تَحذِفُ مُدَّتي بِعَدِّ حِسابٍ لا كَعَدِّ حِسابِيا

---

[1]) الفجر 6 – 9 .
[2]) النجم 50 – 51.
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 192 .

لِتَمحُوَ آثاري وَتُخلِقَ جِدَّتي وَتُخلِيَ مِنْ رَبعي بِكُرهٍ مَكانِيا

كَما فَعَلَتْ قَبلي بِطَسْمٍ وَجُرْهُمٍ وَآلِ ثَمودٍ بَعدَ عادِ بنِ عادِيا ([1])

وقد قال أبو تمّام هذه الأبيات بعد أن شاب وتغيّر حاله , يؤكّد فيها أنّ أيّامه لـــن تمهلـــه , وأنّ مصيره الموت , وستمحو الأيّام آثاره , كما فعلت قبله بطسم وجرهم وثمود .

ويوظّف أبو تمّام قصّة ثمود حينما سجّل مجداً حربيّاً لخالد بـــن يزيـــد الـــشّيبانيّ , فيقول :

وَلَمّا رَأى توفيلُ راياتِكَ الَّتي إِذا ما اتَلأَبَّتْ لا يُقاوِمُها الصُّلْبُ

تَوَلّى وَلَمْ يَأْلُ الرَّدى في اتِّباعِهِ كَأَنَّ الرَّدى في قَصْدِهِ هائِمٌ صَبُّ

كَأَنَّ بِلادَ الرّومِ عُمَّت بِصَيحَةٍ فَضَمَّتْ حَشاها أَو رَغا وَسْطَها السَّقْبُ

غَدا خائِفاً يَستَنْجِدُ الكُتْبَ مُذْعِناً عَلَيكَ فَلا رُسْلٌ ثَنَتْكَ وَلا كُتْبُ ([2])

وقد تبع خالد بجنوده تيوفيل امبراطور بيزنطة حين ولّى هارباً من بين يـــدي المـــأمون , فأوغل وراءه في بلاد الرّوم يغنم ويأسر , فراسله تيوفيل مـــذعناً خائفـــاً يطلـــب العفـــو والصّلح, فلم يجبه , فأوغل تيوفيل في فراره مرعوباً مذعوراً , فحـــال مـــا رأى تيوفيـــل رايات خالد وجموعه الّتي لا يثبت لها أعتى العتاة , أمعن في الهرب والرّدى يلاحقه يريد أن يغنم منه فرصة أو يصيب منه غرّة , وكأنّما عمّت بلاد الرّوم صيحة خلعت القلـــوب , وكـــأنّها الصّيحة الّتي أنذرت ثمود حين صاح السّقب - ولـــد النّاقـــة - الّتـــي عقروهـــا عصياناً وكفراً , فأرسل الله عليهم صيحة واحدة فكانوا هشيماً تذروه الرّياح ([3]) .

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** / 600 – 601 .

[2]) نفسه 1 / 189 – 190 .

[3]) ابن كثير , ***قصص الأنبياء*** / 97 .

ويتواصل مع قصّة – إبراهيم عليه السّلام – في قوله :

لِلجودِ سَهْمٌ في المَكارِمِ وَالتّقى ما رَبُّهُ المُكْدي وَلا المَسْهومُ

وَبَيانُ ذَلكَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ حَبا وَقَرى خَليلُ اللّهِ إبراهيمُ

أَعطَيْتَني دِيَةَ القَتيلِ وَلَيسَ لي عَقْلٌ وَلا حَقٌّ عَلَيكَ قَديمُ ([1])

حيث يصوّر أبو تمّام كرم ممدوحه الّذي لا حدود له , موظّفاً خبر ضيوف إبراهيم – عليه السّلام - الّذين أكرمهم وأحسن ضيافتهم حسبما ورد في قوله تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ** ﴾ ([2]) , وذلك ليؤكّد أنّ الجود والكرم عادة محمودة تدلّ على التّقوى , وأنّ الكريم لا يوصف بالمكدي أو المسهوم أي المغلوب .

ويتواصل مع إسماعيل وهود – عليهما السّلام - في قوله :

بِمُعَرَّسِ العَرَبِ الَّذي وَجَدَتْ بِهِ أَمْنَ المَروعِ وَنَجْدَةَ المَنْجودِ

حَلَّت عُرا أَثْقالِها وَهُمومِها أَبناءُ إِسماعيلَ فيهِ وَهودِ ([3])

يتواصل أبو تمّام مع كلّ من إسماعيل وهود – عليهما السّلام - , ليدلّل على نجدة ممدوحه , فهو أمن لمن خاف , ومناخ كلّ مجتد من كلّ قبيلة , حتّى إنّ أبناء إسماعيل وهود – عليهما السّلام – الأقوياء حينما أصابهم مكروه , استنجدوا به لما عرف عنه من قوّة النّجدة .

أما يوسف – عليه السّلام – فقد تواصل مع قصته في قصيدة مدح بها أبا سعيد الثّغري في قوله:

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 292 .
[2]) الذاريات 24 – 26 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 390 .

وَساعَدَهُ تَحتَ البَياتِ فَوارِسٌ تَخالُهُمُ في فَحمَةِ اللّيلِ أَنجُما

وَقَد نَثَرَتْهُمْ رَوعَةٌ ثُمَّ أَحدَقوا بِهِ مِثلَما أَلَّفتَ عِقداً مُنَظَّما

بِسافِرِ حُرِّ الوَجهِ لَو رامَ سَوءَةً لَكانَ بِجِلبابِ الدُّجى مُتَلَثِّما

مَثُلْتَ لَهُ تَحتَ الظّلامِ بِصورَةٍ عَلى البُعدِ أَقنَتهُ الحَياءَ فَصَمَّما

كَيوسُفَ لَمّا أَنْ رَأى أَمرَ رَبِّهِ وَقَد هَمَّ أَن يَعرَوْرِيَ الذَّنبَ أَحجَما ([1])

وهويستلهم في الأبيات السابقة إحدى اللّمحات من قصّة – يوسف – عليه السّلام - , ليصف هيبة ممدوحه في قلوب أصحابه وأوليائه , وبذلهم الوسع فيما يكسبهم حمده في حالتي القرب والبعد , فيذكر استماتتهم في القتال , فإذا ما حدثتهم نفوسهم بالهرب من الحرب لشدّتها , فإنّهم يثبتون في حال تذكّرهم له . وخصّ بالذّكر بشراً أحد قادته , إذ حدّثته نفسه بالهرب , ولكنّه تذّكر أبا سعيد , وتذّكر حاله معه بعدما نكص في الحرب على عقبيه , فثبّت جنانه , وواصل القتال وصمّم عليه , مثله في ذلك مثل يوسف – عليه السّلام – الّذي كاد يستجيب لنداء قلبه حينما أغرته امرأة العزيز , فتراءى له برهان ربّه فأحجم مستنيراً بقوله تعالى : ﴿ **وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾ ([2]) .

ويتابع أبو تمّام تواصله مع قصّة يوسف – عليه السّلام – إذ يقول :

إِنَّ ابنَ يوسُفَ نَجّى الثَّغْرَ مِن سَنَةٍ أَعْوامُ يوسُفَ عَيشٌ عِندَها رَغَدُ ([3])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3/ 239 - 240 .
[2]) يوسف 22 – 24 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 21 .

وهويصوّرحسن تدبير ممدوحه أبي سعيد الثّغري الّذي يفوق حسن تدبير يوسف – عليه السّلام - , إذ نجّى ممدوحه النّاس من أعوام ضيق وحصار تبدو سنوات المحل الّتي مرّ بها أهل مصر في عهد يوسف – عليه السّلام – رغداً ورفاهاً بالنّسبة لها , وذلك ببذله ماله لأهل تلك الثّغور مستلهماً قوله -عزّ وجلّ – الّذي يوضّح خطّة يوسف – عليه السّلام – في حفظ المحاصيل في سبع من سنوات الرّخاء للسّبع من السّنوات الشّداد :

﴿ **يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ** ﴾ ([1]) .

ويوظّف في مقدمة قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر([2]) لمحة من قصّة يوسف – عليه السّلام - في قوله :

هُنَّ عَوادي يوسُفٍ وَصَواحِبُهْ   فَعَزْماً فَقِدْماً أَدْرَكَ السُّؤلَ طالِبُهْ ([3])

ويؤكّد أبو تمّام أنّ صاحبته تلومه لكثرة أسفاره , وعدم إقامته عندها , فجعلها من صواحب يوسف – عليه السّلام – اللّواتي حاولن إغراءه لولا عناية الله ببرهانه عليه , لأنّها كانت تغريه أن يقيم عندها ولا يطلب النّجح بهذا السّفر ولكنّه استمسك بالعزم والحزم كما استعصم يوسف بعصمة النّبوّة , ولذا يقول لها :

أَعاذِلَتي ما أَخشَنَ اللّيلَ مَركَباً   وَأَخشَنُ مِنهُ في المُلِمّاتِ راكِبُهْ

ذَريني وَأَهوالَ الزّمانِ أُفانِها   فَأَهوالُهُ العُظمى تَليها رَغائِبُه

---

[1]) يوسف 46 – 48 .

[2]) **هو أحد قواد المأمون ولاه خراسان** , وممن ساعد في القضاء على الأفشين , توفي سنة 226 هـ ينظر الطبري , ***تاريخ الطبري*** 5 / 153 – 166 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 216 .

أَلَمْ تَعْلَمي أَنَّ الزِّماعَ عَلى السّرى   أَخو النُّجحِ عِندَ النّائِباتِ وَصاحِبُهْ ([1])

فكأنّها تذكّره بأهوال اللّيالي وخطر السّاري فيها , فيطلب إليها أن تذكر بأسه في تلقّي الحادثات , ليحقّق أمانيه ويظفر بما يريد , وهذا الأمر لا يتمّ إلاّ في خوض المخاطر والأهوال .

أمّا بالنّسبة لجمال يوسف - عليه السّلام - فقد وظّفه أبو تمّام في أكثر من موضع أو موقف , ومن الأمثلة على ذلك قوله:

قَرينُ الصِّبا في وَجنَتَيهِ مَلاحَةٌ   ذَكَرتُ بِها أَيّامَ يوسُفَ في الحُسنِ ([2]) .

عندما كان أبو تمّام عند الحسن بن وهب شرب , فغلب عليه السّكر , فلمّا أفاق صوّر فعل الخمر فيه الّتي سقاه إيّاها غلام منعّم غرير الصّبا ممّا ذكّره بجمال يوسف – عليه السّلام -.

وفي موقف غزليّ شبّه أبو تمّام جمال محبوبه بجمال يوسف – عليه السّلام - , مشيراً إلى حادثة رميه في الجبّ , فيقول :

وَشَبيهَ الَّذي اِستَقَلَّتْ بِهِ العيـ   ـرُ عَنِ الجُبِّ خاضِعاً كَالطَّليحِ ([3])

ووظّف أبو تمّام أيضاً قصّة موسى – عليه السّلام – ([4]) في غير موضع , ومن الأمثلة على ذلك :

تُبنى المَعالي في ظِلِّهِ وَلَهُ   حَظٌّ مِنَ المُلكِ غَيرُ مُختَلَسِ

فَإِنَّ موسى صَلّى عَلى روحِهِ الرَّبُّ صَلاةً كَثيرَةَ القُدُسِ

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 218 – 219 .
[2]) نفسه 4 / 541 .
[3]) نفسه 4 / 180 وينظر 4 / 279 و4 / 293 .
[4]) ابن كثير , ***قصص الأنبياء*** / 225 .

صارَ نَبِيّاً وَعُظْمُ بُغيَتِهِ في جَذْوَةٍ لِلصِّلاءِ أَو قَبَسِ ([1])

كان مالك بن طوق يريد الوفادة على الخليفة لأمر هيّن , فتأوّل له أبو تمّام شرفاً عظيماً , مثلما حدث مع موسى – عليه السّلام – حينما ذهب ليأتي أهله بقبس من نار , فأوتي النّبوّة بإذن الله مستوحياً ذلك من قوله تعالى : ﴿ **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى** ﴾ ([2]).

ويقول في مدح موسى بن إبراهيم الرّافقي :

عُذنا بِموسى مِن زَمانٍ أَنشَرَتْ سَطَواتُهُ فِرعَوْنَ ذا الأَوْتادِ ([3])

ربط أبوتمّام بين إنقاذ ممدوحه له من سطوة الزّمان وقسوته وبين إنقاذ موسى – عليه السّلام – لقومه من ظلم فرعون ذي الأوتاد مستلهماً قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ*وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ** ﴾ ([4])

واستلهم من سلوك اليهود مع موسى – عليه السّلام – قصّة العجل ذي الخوار الذي عبده قومه في مدحه موسى بن إبراهيم مستغلاً اسم ممدوحه :

فَكَأَنَّهُم بِالعِجْلِ ضَلُّوا حِقبَةً وَكَأَنَّ موسى إِذْ أَتاهُم موسى ([5])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 241 .
[2]) طه 9 – 13 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان***2 / 129 .
[4]) الفجر 6 – 10 .
[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 269 .

ليبرزه في موقف من أنقذ قومه من الضّلال وأرشدهم كما فعل موسى – عليه السّلام – مع قومه بعد عودته من الميقات .

ومن قصّة موسى أيضاً وظّف قصّة البقرة الصّفراء في قوله :

وَكَذَّبَ اللّهُ أَقوالاً قُرِفْتَ بِها بِحُجَّةٍ تُسْرَجُ الدُّنيا بِواضِحِها

مُضيئَةٍ نَطَقَتْ فينا كَما نَطَقَتْ ذَبيحَةُ المُصْطَفى موسى لِذابِحِها ([1])

لينفي عن ممدوحه الفضل بن صالح بن عبد الملك الهاشميّ ([2]) تهمة ألصقت به في سعاية سعي بها إلى الخليفة المعتصم ولم تثبت مفادها : أنّه قتل أخاه عبد الله ليتزوّج من امرأته أتراك , مؤكّداً أنّ حججاً مضيئة كالمصباح تبرّئه كما حدث مع الرّجل الإسرائيليّ الّذي اتّهم ظلماً بجريمة قتل ثم ظهرت براءته ببرهان قاطع لا مجال لتكذيبه , فهو يستمدّ القصّة من نهايتها كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ ([3]) .

ووظّف قصّة داود – عليه السّلام – في قوله :

أَبا عَلِيٍّ لِصَرْفِ الدّهْرِ وَالغِيَرِ وَلِلحَوادِثِ وَالأَيّامِ وَالعِبَرِ

أَذكَرْتَني أَمرَ داوُدٍ وَكُنتُ فَتىً مُصَرَّفَ القَلْبِ في الأَهواءِ وَالفِكَرِ([4])

وقد كان أبو تمّام عند الحسن بن وهب ومعه غلام روميّ , فأدمن الحسن النّظر إلى الغلام, وكان بين يدي الحسن غلام خزرجيّ , ففطن أبو تمّام لإدمان الحسن النّظر إلى

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 354 .
[2]) أحد الولاة زمن الدولة العباسية ت 241 هـ . أبو الحجاج المري , ***تهذيب الكمال*** 30 / 185 .
[3]) البقرة 72 – 73 .
[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 /463 .

الغلام الرّومي , مما ذكره بقصة داود – عليه السّلام – كما ورد قي قوله تعالى :﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾([1]) .

ولكنّ تفسير أبي تمّام للقصّة الّتي وردت في هذه الآية كان مستمدّ من الإسـرائيليات ([2]). وهذا التّفسير اعتمده الصّولي في شرح هذا البيت , فقال : " كان لداود – عليه السّلام – ثلاثمئة زوجة فأحبّ أن يتزوج امرأة لرجل ليس له غيرها , وكذلك أنت , يقوله للحسن ابن وهب : لك مئة غلام وتريد غلامي " ([3]).

ويلمح إلى قصّة سليمان – عليه السّلام – في قوله :

أَسَرَتْ لَكَ الآفاقَ عَزمَةُ هِمَّةٍ جُبِلَتْ عَلى أَنَّ المَسيرَ مُقامُ

إِلاّ تَكُنْ أَرواحُها لَكَ سُخِّرَتْ فَالعَزمُ طَوْعُ يَدَيْكَ وَالإِجذامُ ([4])

وهو يؤكّد أنّ همّة المأمون جعلته يسيطر على آفاق الأرض ومن فيها , فهـو يـسوسهم برأيه , فإن لم تسخّر له الرّياح كسليمان – عليه السّلام - , فقد جعل العزم والإسراع في السّير مسخّرين له يبلغ فيهما ما يشاء .

ويستوحي أبو تمّام قصّة سبأ في قوله :

أَمِن عَمىً نَزَلَ النّاسُ الرُّبا فَنَجَوْا وَأَنتُم نَصْبُ سَيلِ الفِتنَةِ العَرِمِ ([5])

ويستمدّ أبو تمّام من قصّة سبأ سيل العرم ليدلّل على هيبة ممدوحه , حيث لاذ النّاس من خوف هذا الممدوح , وكأنّهم جادوا عن طريق السّيل , ونزلوا الرّبا كي يأمنوا فيهـا هـذا السّيل مستوحياً قوله تعالى : ﴿ **فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ** ﴾([6]).

---

[1]) ص 23 .
[2]) ينظر ابن كثير , ***قصص الأنبياء*** / 364 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 /463 .
[4]) نفسه 3 / 153 .
[5]) نفسه 1/ 190 .
[6]) سبأ 16 .

ويقول متغزّلاً بمحبوبه :

قَد صَنَّفَ الحُسْنُ في خَدَّيْكَ جَوهَرَهُ   وَفيهِ قَدْ خَلَّفَ التُّفّاحُ أَحمَرَهُ

وَ كُلُّ حُسنٍ فَمِنْ عَيْنَيكَ أَوَّلُهُ   مُذْ خَطَّ هاروتُ في عَيْنَيكَ عَسْكَرَهُ ([1])

ويتواصل أبو تمّام مع قصّة هاروت ليبيّن شدّة حسن محبوبه , وأسره له وسحره له , مستوحياً قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ** ﴾ ([2]) .

ويوظّف لقمان الحكيم في قوله :

فَإِن شَهِدَ المَقامَةَ يَومَ فَصلٍ   رَأَيتَ نَظيرَ لُقمانِ الحَكيمِ ([3])

ليصف حكمة ممدوحه ورأيه السّديد , وبخاصّة إذا ما جلس ليقضي بين النّاس مستوحياً قوله تعالى :﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ ([4]) .

وفي إطار قصص الأنبياء يوظّف أبو تمّام موقف الرّسول – عليه الصّلاة والسّلام – من حادثة فقده لابنه القاسم في قوله :

شَجا الرّيحَ فَازدادَت حَنيناً لِفَقْدِهِ   وَأَحدَثَ شَجْواً في بُكاءِ الحَمائِمِ

فَمِنْ قَبلِهِ ما قَدْ أُصيبَ نَبِيُّنا   أَبو القاسِمِ النّورُ المُبينُ بِقاسِمِ ([5])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 208 .
[2]) البقرة 103 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 162 .
[4]) لقمان 12 .
[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 258 .

ليواسي ممدوحه مالك بن طوق حينما فقد أخاه القاسم بن طوق . فهو هنا يفيد مـــن تلـــك المواقف الجزئية الّتي يحرص على رصدها في فنّه متّخذاً منها وسيلة للعظـــة وموضـــعاً للاعتبار ([1]).

ويتأمّل أبو تمّام تاريخ الدّعوة الإسلاميّة ليختار منها مواقف , على نحو ما صنع في حديثه عن قريش والدّعوة الإسلاميّة , ورسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وموقفهم منه عناداً وكفراً ومكابرة :

تِلكُم قُرَيشٌ لَم تَكُن آراؤُها تَهْفُو وَلا أَحلامُها تُتَقَسَّمُ

عَزَبَتْ عُقولُهُمُ وَما مِن مَعشَرٍ إلاّ وَهُمْ مِنهُ أَلَبُّ وَأَحزَمُ

لَمّا أَقامَ الوَحيُ بَينَ ظُهورِهِمْ وَرَأَوا رَسولَ اللّهِ أَحمَدَ مِنهُمُ

وَمِنَ الحَزامَةِ لَو تَكونُ حَزامَةٌ أَلا يُؤَخَّرَ مَن بِهِ يُتَقَدَّمُ ([2])

فهو يستعرض موقف قريش من دعوة , الرّسول – عليه السّلام – وما تحمّله وصحبه من تعذيب المشركين لهم , ومقاومتهم للدّين الإسلاميّ , وإصرارهم على ضلالهم وغيّهم .

ويتواصل أبو تمّام مع قصة المؤلّفة قلوبهم ([3]) في قوله :

لَكَ في رَسولِ اللّهِ أَعظَمُ أُسْوَةٍ وَأَجَلُّها في سُنَّةٍ وَكِتابِ

أَعطى المُؤَلَّفَةَ القُلوبِ رِضاهُمُ كَملاً وَرَدَّ أَخايذَ الأَحْزابِ ([4])

ليستعطف مالك بن طوق التّغلبي على قومه حين شقّوا عليـــه عـــصا الطّاعـــة , ويقنعـــه بالصّفح عنهم اقتداء بالرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – الّذي أعطى فـــي موقعـــة حنـــين جماعة من قريش من الغنائم , وكأنّه ردّ ما سبق أن أخذه في بعض حروبه منهم .

---

[1]) ينظر التطاوي , عبد الله , ***ثقافة أبي تمام من شعره*** / 80 .

[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 199 .

[3]) ينظر ابن هشام , ***السيرة النبوية*** 4 / 207 والبهيقي , ***السنن الكبرى*** 6 / 548 .

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 200 – 201 .

ويمدح أبا سعيد بقوله :

مُتَبَهِّمٌ في غَرْسِهِ أَنصارُهُ   عِنْدَ النِّزالِ كَأَنَّهُم أَنصارُ ([1])

ويصف أبو تمّام ممدوحه بأنّه شجاع مبهم أمره , ويشبّه أنصاره بأنــصار النّبـــيّ – صلّى الله عليه وسلّم – عند خوض المعارك .

ويوظّف أبو تمّام بعض غزوات الرّسول - صلّى الله عليه وسّلم - , كقوله :

إن كانَ بَينَ صُروفِ الدّهرِ مِن رَحِمٍ   مَوصولَةٍ أَو ذِمامٍ غَيرِ مُنقَضِبِ

فَبَينَ أَيّامِكَ اللاتي نُصِرتَ بِها   وَبَينَ أَيّامِ بَدرٍ أَقرَبُ النَّسَبِ ([2])

ليبين أن معركة المعتصم بين توحيد وشرك , وحقّ وباطل , وإسلام وكفر , وهي قرينـــة كان قد صرح بها أبو تمّام حينما عقد مقارنة بين معركة فتح عمّوريّة من جهة , و معركة بدر من جهة أخرى في تقرير مصير الشّرك إلى الأبد . فأيام فـــتح عمّوريّـــة وانتـــصار المسلمين في بدر تعدّ أكثر الأحداث تشابهاً , فكلتاهما كانتا من المعـــارك الحاســـمة فـــي الانتصار على الشّرك والكفر, وكلتاهما نفت المنافقين , والّذين في قلـــوبهم مـــرض مـــن المحسوبين على الجيش الإسلاميّ .

ويوظّف غزوتي بدر وأحد في قوله :

يَومٌ يَجيءُ إِذا قامَ الحِسابُ وَلَمْ   يَذمُمْهُ بَدْرٌ وَلَمْ يُفضَحْ بِهِ أُحُدُ ([3])

ليشيد بانتصار ممدوحه على العدوّ , فهذا النّصر فخر للإسلام , فيوم بدر يحسده لموافقتـــه إيّاه , ويحمده يوم أحد لانتصاره له من الكفّار .

ويوظّف موقعة بدر وحنين في قوله :

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 177 .

[2]) نفسه 1 / 73 .

[3]) نفسه 2/ 20 .

وَلَكِن أَذكَرتَنا يَومَ بَدرٍ وَمُشتَجَرَ الأَسِنَّةِ في حُنَينِ

رَدَدتَ الدّينَ وَهوَ قَريرُ عَينٍ بِها وَالكُفرَ وَهوَ سَخينُ عَينِ ([1])

لقياسه إيقاع إسحق بن إبراهيم المصعبيّ بأعدائه([2]) بإيقاع الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – بالمشركين والأحزاب , لأنّ في هذا العمل وذاك خيراً للإسلام والمسلمين , ونفعاً عظيماً.

توظيف القصص القرآنيّ في شعر المتنبّي

لقد وظّف المتنبّي في شعره قصصاً من القرآن الكريم , ومنها قصّة آدم - عليه الصّلاة والسّلام - فيقول :

أَبوكُم آدَمٌ سَنَّ المَعاصي وَعَلَّمَكُمْ مُفارَقَةَ الجِنانِ

فَقُلتُ إِذا رَأَيتُ أَبا شُجاعٍ سَلَوتُ عَنِ العِبادِ وَذا المَكانِ ([3])

ويمدح المتنبّي في البيتين السّابقين عضد الدّولة البويهيّ ([4]) وولديه أبا الفوارس وأبا دلف , ويذكر طريقه بشعب بوّان([5]) , فيستعين في التخلص إلى ذكر الممدوح بالإشارة إلى قصّة خروج آدم – عليه الصّلاة والسّلام – من الجنّة.كما وردت في قوله تعالى :

﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا**

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 307 .

[2]) هو الأمير اسحق بن إبراهيم بن مصعب الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين , ولي بغداد أكثر من عشرين سنة , وكان يسمى صاحب الجسر , وكان صارماً سائساًحازماً, وهو الذي كان يطلب العلماء ويمتحنهم بأمر المأمون , توفي سنة 235 هـ . ينظر ابن العماد , ***شذرات الذهب*** 3 / 161 .

[3]) المتنبي , ***الديوان*** 4 /256 .

[4]) عضد الدولة البويهي(324 - 372 هـ)فنَّاخُسرو، الملقب عضد الدولة، ابن الحسن الملقب ركن الدولة ابن بويه الديلمي، أبو شجاع.أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق، تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة .ينظر الثعالبي , ***اليتيمة*** 2 / 257 .

[5]) بَوّان بأرض فارس بين أرجان والنوبذرجان وهو أحد متنزهات الدنيا الحموي , ***معجم البلدان*** 1/ 143 .

اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾([1]) **وقوله تعالى :** ﴿ **فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى** ﴾ ([2]) . فالمتنبّي يبيّن أنّ السّنة في الارتحال عن الأماكن الطّيّبة والجميلة , وفي معصية الله – عزّ وجلّ - سنها آدم - عليه الصّلاة والسّلام - وعلّمنا إيّاها , حين عصى وأخرج من الجنّة , ولكنّه إذا ما رأى أبا شجاع نسي هذا المكان على جماله , وسكانه على ما فيهم من طيبة .

وغرض المتنبّي من توظيف هذه القصّة , هو بيان لهفته للقاء عضد الدّولة البويهيّ , فرغم جمال المكان الّذي يعدّ بمثابة الجنّة إلاّ أنّه تركه ليلقاه . ويلاحظ أنّ قصّة أدم - عليه السّلام – تجسد حال المتنبّي , فكما أنّ معصية آدم - عليه الصّلاة والسّلام – لله – عزّ وجلّ - كانت السّبب في خروجه من الجنّة , فإنّ طموح المتنبّي في الوصول إلى عضد الدّولة , أخرجه من بوّان الّتي كانت له بمثابة الجنة . فتوظيفه لهذه القصّة خدم غرضه , وجعل المتلقّي يتفاعل مع نصّه .

ويتواصل المتنبي مع آدم – عليه السّلام - مرّة أخرى في قوله :

أَنّى يَكونُ أَبا البَرِيَّةِ آدَمٌ وَأَبوكَ وَالثَّقلانِ أَنتَ مُحَمَّدُ ([3])

ليبيّن أنّ ممدوحه شجاع بن محمّد الطّائي يقوم مقام الجنّ والإنس , فالله – سبحانه وتعالى – جمع فيه ما فرقه فيهما من الفضل والكمال .

---

[1]) البقرة 35 – 36

[2]) طه 121

[3]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 340

ويستوحي المتنبّي قصّة طوفان نوح - عليه السّلام – ([1]) في تــصوير كــرم ممدوحــه مساور بن محمّد الرّومي([2]) في قوله :

لَو كُنتَ بَحراً لَم يَكُن لَكَ ساحِلٌ   أَو كُنتَ غَيثاً ضاقَ عَنكَ اللّوحُ

وَخَشيتُ مِنكَ عَلى البِلادِ وَأَهلِها   ما كانَ أَنْذَرَ قَومَ نوحٍ نوحُ ([3])

وقد بالغ المتنبّي في وصف كرم ممدوحه , فجعله يفوق البحر الّذي لا ساحل له , والغيث الغزير الّذي خرج عن الهواء الموجود ما بين السّماء والأرض , فخــاف المتنبّــي علــى البلاد من الطّوفان الّذي كان نوح عليه السّلام قد أنذر به قومه كما ورد في قوله تعــالى : ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِــيمٌ** ﴾ ([4]) ولكــن المتنبّي هنا انعطف بالصّورة من العذاب إلى الرّحمة , حيث كنّى بالطّوفــان عــن كــرم ممدوحه .

ويوظّف المتنبّي من قصص الأمم البائدة قصّة وبار في قوله :

الراجِعُ الخَيلَ مُحفاةً مُقَوَّدَةً   مِن كُلِّ مِثْلِ وَباري أَهلُها إِرَمُ

كَتَلِّ بِطْرِيقِ المَغْرورِ ساكِنُها   بِأَنَّ دارَكَ قِنَّسْرونَ وَالأَجَمُ ([5])

ويصوّر المتنبّي إبادة سيف الدّولة لسكان المدن والقــرى البيزنطيّــة التّــي حاصــرها , والدّمار الّذي لحق بها بعدما اغترت بقوّتها وأعلنت عصيانها للأمير , حيث تركها مثل

---

[1]) ابن كثير , **قصص الأنبياء / 55** .

[2]) هو أحد قواد الإخشيد , وولاه كافور حلب , وهو صاحب الدار المعروفة بدار ابن الرومي بالزجاجة بحلب ينظر ابن جرادة , ***زبدة الحلب من تاريخ حلب*** 1 / 104 -105 .

[3]) المتنبي , ***الديوان*** 254/1 .

[4]) نوح 1 .

[5]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 17 – 20 .

وبار خراباً وترك أهلها كإرم وعاد هلاكاً مستمدّاً صورته من قوله تعالى :﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ** ﴾ ([1]) .

ويوظف عادا وجرهم في قوله :

أَجارَ عَلى الأَيّامِ حَتّى ظَنَنتُهُ تُطالِبُهُ بِالرَدِّ عادٌ وَجُرهُمُ ([2])

فسيف الدّولة استطاع أن يذود عن حمى الدّولة الإسلاميّة ضدّ مطامع البيزنطيّين . وقد وظّف المتنبي عاداً وجرهم مبالغة في وصف قوّة الممدوح , حتّى إنّك تظنّ أنّ هذه الأمم تطالبه أن يبعثها من جديد.

ويوظف قصة طسم وجديس في قوله :

وَمُلوكاً كَأَمْسِ في القُربِ مِنّا وَكَطَسْمٍ وَأُختِها في البِعادِ ([3])

فيشيد المتنبّي بالصّلح الّذي حصل بين ابن الإخشيد ([4]) وكـــافور , لأنّ الخـــلاف نتائجه وخيمة , إذ أهلك الأمم السّابقة كطسم وجديس اللّتين بادتا نتيجة حروب كانت بينهما .

ووظّف أيضاً قصّة عادٍ في قصيدة مدح بها عليّ بن إبراهيم التّنوخي في قوله :

---

[1]) الفجر 6 – 7.

[2]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 355.

[3]) نفسه2 / 34 .

[4]) ابن الإخشيد : أنوجور بن محمد , وُلي مصر ودمشق بعد موت أبيه أبي بكر , وكان القيم بأمر كافور الإخشيدي ينظر ابن عساكر , ***تاريخ مدينة دمشق*** 9 / 389 .

وَيَومَ جَلَبتْها شُعثَ النَواصي مُعَقَّدَةَ السّبائِبِ لِلطِّرادِ

وَحامَ بِها الهَلاكُ عَلى أُناسٍ لَهُم بِاللاّذِقِيَّةِ بَغيُ عادِ ([1])

فقد أهلك القوم الّذين كانوا باللاّذقية , لأنّهم بغوا بغي قوم عاد وعصوا معصيتهم .

وقوله :

أَديبٌ إِذا ما جَسَّ أَوتارَ مِزهَرٍ بَلا كُلَّ سَمعٍ عَن سِواها بِعائِقِ

يُحَدِّثُ عَمّا بَيْنَ عادٍ وَبَيْنَهُ وَصُدْغاهُ في خَدَّيْ غُلامٍ مُراهِقِ ([2])

ويتواصل مع عاد عندما يصف حاذق بالغناء يضرب العود, حيث جعله ينشد الأشعار القديمة والألحان الّتي قيلت في الدّهور الماضية , فيحدث عمّا بين زمان قوم عاد وبين زمانه مع أنّه شاب . فالمتنبّي هنا وجد صلة بين هذا الغلام وبين تلك الأمم البائدة بغنائه ألحانها .

ويوظّف المتنبّي من قصّة صالح – عليه السّلام - حادثة عقر النّاقة , فيقول:

وَفي جودِ كَفَّيكَ ما جُدْتَ لي بِنَفْسي وَلَو كُنْتُ أَشقى ثَمودِ ([3])

ليحضّ ممدوحه على أن يجود له بنفسه , بإطلاقه سراحه من السّجن , فممدوحه جواد كريم معه حتّى لو كان المتنبّي ذلك المجرم الّذي عقر ناقة صالح -عليه السّلام- .

واستوحى في مدحه لكافور الإخشيديّ , قصّة قميص يوسف – عليه السّلام - ([4]) في قوله :

كَأَنَّ كُلَّ سُؤالٍ في مَسامِعِهِ قَميصُ يوسُفَ في أَجفانِ يَعقوبِ

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 361 .
[2]) نفسه 2 / 319
[3]) نفسه 347/1
[4]) أبو عزيز , سعد يوسف , ***قصص القرآن*** / 183

إذا غَزَتهُ أَعاديهِ بِمَسْأَلَةٍ   فَقَد غَزَتْهُ بِجَيشٍ غَيْرِ مَغلوبِ ([1])

واستوحى المتنبّي قصّة قميص يوسف – عليه السّلام – كما ورد في قوله تعـــالى: ﴿ **اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَــذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾ ([2]) ليبيّن حبّ كافور للكرم , وأنّه صفة متأصّلة فيه , فلا يردّ سائلا يقصده , بل إنّ من يطلب عطاءه يشعره بالفرحة الغامرة , كفرحة يعقوب – عليه السّلام – عندما ألقي عليه قمــيص يوسف -عليه السّلام- .

وهناك من يفسر استيحاء قصة يعقوب - عليه السّلام - بقوله , " وقد أقام الــشّاعر تناظراً بين هذه الألفاظ القرآنية (يقصد: قميص , يوســف , يعقــوب) وجزالـــة عطـــاء الممدوح , فكما أن الممدوح لا يرد سائلاً ويفرح بسؤاله , فإنّ قميص يوسف أعاد البصر إلى يعقوب عليه السّلام , فكأنّه لايرد له شأن , فهناك علاقة تبادلية بين القميص وعطـــاء الممدوح " ([3]).

وتعلق هدى الأرناؤوطي على هذا البيت : " وحين نذكر ما كان يضمره المتنبّي من احتقار لكافور يغلب على ظننا أنّه ضمّن البيت تلميحاً خفياً إلى أن كافوراً لم يكــن ممّــن اعتاد الملك , والقصّاد من الشّعراء وغيرهم . فقدوم هؤلاء عليه يحمل رونــق المفاجــأة الّتي حملها قميص يوسف لأبيه , وفيه فخر بنفسه , إذ هو أحــد الــسّائلين الّــذين كــان لزيارتهم لكافور صدى عميق أشبه بالفرحة الّتي غمرت قلب يعقوب " ([4])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 172

[2]) يوسف 93

[3]) جوخان , إبراهيم عقله عبد الرحمن , ***التناص في شعر المتنبي*** / 170 , رسالة دكتوراه , جامعة اليرموك , إربد – الأردن , 2006 م .

[4]) ***ثقافة المتنبي من شعره*** /160 .

أمّا موسى – عليه السّلام - , فقد تواصل معه المتنبّي في مواضع عدّة ومن ذلـــك قوله :

ما كُنتُ آمُلُ قَبلَ نَعشِكَ أَن أَرى رَضْوى عَلى أَيدي الرِّجالِ تَسيرُ

خَرَجوا بِهِ وَلِكُلِّ باكٍ خَلْفَهُ صَعَقاتُ موسى يَومَ دُكَّ الطّورُ ([1])

فقد استعار المتنبّي قصّة موسى – عليه السّلام - , والجبل الّذي خرّ صعقاً من خشية الله – عزّ وجلّ – في رثاء محمد بن اسحق التّنوخي , ليبيّن وقع المصاب في نفوس قومـــه , حيث ملك الحزن قلوبهم , فخرجوا في جنازته باكين , فأخذتهم الخشية لفــرط تـــأثّرهم , وكأنّها الصّعقات الّتي أصابت موسى عليه السّلام يوم دكّ الطّور([2]).

أمّا قصّة انشقاق البحر لموسى - عليه السّلام - ([3]) , فقد وظفهـــا المتنبـــي فـــي قصيدة مدح بها محمد بن زريق الطرطوسيّ ([4]) , فيقول :

أَو كانَ لُجُّ البَحرِ مِثلَ يَمينِهِ ما اِنشَقَّ حَتّى جازَ فيهِ موسى ([5])

وقد استوحى المتنبّي هذه القصّة حين وصف كرم ممدوحه وقوته اللّذين لا حدود لهمـــا , فهو أقوى و أجود من البحر , فللممدوح من القوّة ما لو توافرت في البحر لقـــاوم عـــصا موسى – عليه السّلام – المؤيّدة بإرادة الله , ولما انشقّ البحر أمامه , وكذلك فإنّ عطـــاءه قد شمل الجميع دون تمييز , أما البحر فقد ميّز بين النّاس بالجود , حيث أغرق فرعـــون ومن معه , وجاد على موسى - عليه السلام - وأتباعه بالحياة , فلو كان البحر مثل كفّـــه في الجود لما انشقّ لموسى . فالمتنبّي يرى في ممدوحه النّموذج والمثال الّذي يتمنّاه فـــي

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 129 .

[2]) ابن كثير , ***قصص الأنبياء*** / 236 .

[3]) نفسه / 263 .

[4]) محمد بن زريق بن جامع المديني من أهل حلب , ومن رواة الحديث كان يتولى أمر الثغورينظر ابن العديم , ***بغية الطلب في تاريخ حلب*** 3 / 1469 .

[5]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 199 .

القوّة والشّجاعة والحكمة وحسن الرّأي , ورأى فيه رجاء النّاس رغبة في رضاه وعطائه, ورهبة من غضبه وسخطه وسيفه .

كما وظّف المتنبّي ًقصّة السّامري في قصيدة مدح بها أبا المغيث بن عليّ العجليّ في قوله:

لِمَن مالٌ تُمَزِّقُهُ العَطايا وَيَشرَكُ في رَغائِبِهِ الأَنامُ

وَلا نَدعوكَ صاحِبَهُ فَتَرضى لأَنَّ بِصُحبَةٍ يَجِبُ الذِمامُ

تُحايِدُهُ كَأَنَّكَ سامِرِيٌّ تُصافِحُهُ يَدٌ فيها جُذامُ ([1])

فممدوح المتنبّي كريم , لا يحرص على اكتناز المال , ولا يكترث بـــه , جعلـــه يـــسخره للعطايا والهبات , كأنّما هو نافر منه نفور السّامري من النّاس , مستوحياً أبياته من قولـــه تعالى : ﴿ **قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِـــي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي* قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْـــصُرُوا بِـــهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ** ﴾ ([2]).

ويوظّف المتنبّي صنعة داود - عليه السّلام - في قوله :

نُوَدِّعُهُمْ وَالبَينُ فينا كَأَنَّهُ قَنا ابنِ أَبي الهَيجاءِ في قَلبِ فَيلَقِ

قَواضٍ مَواضٍ نَسجُ داوُودَ عِندَها إِذا وَقَعَت فيهِ كَنَسجِ الخَدَرنَقِ ([3])

حيث يبيّن المتنبّي فعل فراق المحبوبة فيه عند وداعه لها , إذ عملت فيه عمـــل رمـــاح سيف الدّولة في أعدائه , فهي مدهشة في صفاتها ومعجزة في أفعالهـــا , ومتميّـــزة عـــن

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 79 .
[2]) طه 94 -97 .
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 308 – 309 .

غيرها بمضائها وإحكام صنعتها وقيمتها فهي رماح أسطوريّة , حتّى إنّهـــا تختـــرق درع داود – عليه السّلام – المحكمة الصّنع , وتخترقها دون أن تخطئ الهدف وكأنّها من نسج العنكبوت .متأثّراً بقوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّـــن بَأْسِـــكُمْ** ﴾([1]). وقوله تعالى : ﴿ **وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ** ﴾ ([2]). وقوله تعالى ﴿**وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ ([3]) . فالمتنبّي هنا حذف المبتدأ , وبدأ مباشرة وصف رماح الممـــدوح ليلقي في نفس المتلقي شعوراً بأنّ قيمة الرّماح في فعلها وفيما تحقّقه من أهـــداف , فهـــي تجسد يد الممدوح الّتي تضرب بها , وهي رمز لإرادة الممدوح وقوّة فعله وقوته وســـداد رأيه . وهذا الوصف يعكس نزوع المتنبّي إلى القوّة الّتي جعلـــت المتنبّـــي يـــضفي هـــذه الصّفات الخارقة على أفعال الممدوح .

أما سليمان – عليه السّلام – فقد تواصل معه في قصيدة مدح بهـــا عـــضد الدّولـــة البويهيّ , وولديه أبا الفوارس وأبا دلف , ويذكر طريقه بشعب بوّان :

مَغاني الشّعبِ طيباً في المَغاني — بِمَنزِلَةِ الرَّبيعِ مِنَ الزَّمانِ

وَلَكِنَّ الفَتى العَرَبِيَّ فيها — غَريبُ الوَجهِ وَاليَدِ وَاللِّسانِ

مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَو سارَ فيها — سُلَيمانٌ لَسارَ بِتَرجُمانِ ([4])

فبوّان موضع كثير الشّجر والمياه , ويعدّ زمن المتنبّي من جنان الدّنيا , ومنازله كـــالرّبيع في الأزمنة , أي أنّه يفضل سائر الأمكنة طيباً , كما يفضل الرّبيع سائر الأزمنة , وشـــعبه مثل الجنّ , لشجاعته في الحرب , ولكنّه غريب الشّكل واللّسان , فلغتهم بعيدة عن الأفهام,

---

[1]) الأنبياء 80 .
[2]) سبأ 10 .
[3]) العنكبوت 41 .
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 4 /251 – 252 .

حتّى لو أنّ سليمان – عليه السّلام – أتاهم لاحتاج إلى من يترجم له مع علمــه باللّغــات وفهمه قول الحكل([1]) .

ويكشف المتنبّي هنا بوضوح ضياع الوجود العربيّ , وغلبة العنصر الأعجمي على البلاد العربيّة , محرضاً العرب بأسلوب غير مباشر على استرداد الحقوق بالقوّة مــن اليد الأجنبيّة([2]) .

ويشير إلى سليمان – عليه السّلام - مرّة أخرى , مضيفاً إليه يوســف – عليــه السّلام - في قوله :

مَن يَزُرْهُ يَزُرْ سُلَيمانَ في المُلــ ـكِ جَلالاً وَيوسُفاً في الجَمالِ ([3])

يتواصل مع سليمان عليه السّلام ليشير إلى اتّساع ملك ممدوحه عبــد الــرّحمن المبــارك الأنطاكيّ , ومع يوسف - عليه السلام - , ليشير إلى جماله وبهائه .

ويلمّح إلى قصّة عيسى – عليه السّلام – في المهد , فيقول:

وَأُقسِمُ لَو صَلَحتَ يَمينَ شَيءٍ لَما صَلَحَ العِبادُ لَهُ شِمالا

أُقَلِّبُ مِنكَ طَرفي في سَماءٍ وَإِن طَلَعَتْ كَواكِبُها خِصالا

وَأَعجَبُ مِنكَ كَيفَ قَدَرتَ تَنشا وَقَد أُعطيتَ في المَهدِ الكَمالا ([4])

وهو بذلك يبالغ في وصف ممدوحه بدر بن عمّار([5]) , فهو يمتاز بالسّبق إلــى المكــارم , وعلوّ المكانة , فلا يقدر أحد أن يدانيه من البشر , فهو في الشّهرة كالــسّماء , وخــصاله

---

[1]) الحكل: أي ما لا يسمع له صوت كالذر والنمل أو العجم من الطيور والبهائم ينظر ابــن منظور , ***لسان العرب*** مادة حكل .

[2]) كبريت , سمير محمد , ***المتنبي*** / 37 .

[3]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 195 .

[4]) نفسه 3 / 231 – 232 .

5) بدر بن عمارالطبرستاني الأسدي , ولي ثغور الأردن والساحل من قبل أبي بكر محمد بن رائق ينظر الحموي , ***معجم البلدان*** 1 / 148 .

نجومها , وقد أعطي الكمال صغيراً , وازداد بعد الكّمال كمالاً . والمتنبّي هنا استمدّ صورته من قصّة تكلّم عيسى – عليه السّلام – في المهد كما ورد في قوله تعالى :﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾([1]) .

وقد وظّف ادعاء المسيحيّين بنوة المسيح – عليه السّلام – في قوله :

أَرى المُسلِمينَ مَعَ المُشرِكينَ إِمّا لِعَجزٍ وَإِمّا رَهَب

وَأَنتَ مَعَ اللّهِ في جانِبٍ قَليلُ الرُّقادِ كَثيْرُ التَّعب

كَأَنَّكَ وَحدَكَ وَحَّدتَهُ وَدانَ البَرِيَّةُ بِابنٍ وَأَب ([2])

ويمدح المتنبّي في هذه الأبيات سيف الدّولة , ويشيد بجهاده ضدّ الرّوم وتصديه لهم , معرّضاً بغيره من المسلمين الّذين تحالفوا مع الرّوم كالبويهيّين والإخشيديّين إمّا عجزاً عنهم أو خوفاً منهم , وكأن سيف الدّولة وحده هو الموحّد , والآخرون يدينون بدين النّصارى الّذين يقولون بالابن والأب . **وهذه البنوة أشار إليها القرآن الكريم في الآية** :

﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ** ﴾ ([3]).

ويستوحي أيضاً من المعجزات الّتي منحها الله لعيسى - عليه السّلام - شفاء المرضى في قوله :

تَيَمَّمَني وَكيلُكَ مادِحاً لي وَأَنشَدَني مِنَ الشِّعرِ الغَريبا

فَآجَرَكَ الإِلَهُ عَلى عَليلٍ بَعَثتَ إِلى المَسيحِ بِهِ طَبيبا ([4])

---

[1]) آل عمران 44 .
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 104.
[3]) التوبة 30 .
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 145 .

إذ يستوحي المتنبي معجزة عيسى عليه السلام , ليعرِّض بالشاعر الذي قــصده ليفــاخره بشعره الرديء الغثّ , فحال هذا الشّاعر كحال من أرسل ليداوي المسيح - عليه السّلام , وهو الّذي وُهبت له القدرة على شفاء المرضـــى , وإحيــاء المــوتى , وإبــراء الأكمــه والأبرص , لا سيّما إذا كان الطّبيب عليلاً . فشعر المتنبّي معجزة منحه الله إيّاهــا , فــلا مكان لشاعر آخر بجانبه , فكلمة المسيح هنا حددت مكانة المتنبّي مع غيره من الــشّعراء فهو نبيّ مرسل , والشّعراء الآخرون كسائر النّاس . وقد وردت معجزة عيــسى – عليــه السّلام – في قوله تعالى : ﴿**وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـــي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ** ﴾ ([1]).

ويتواصل مع معجزة المسيح بشكل غير مباشر في قوله :

أَنا الَّذي نَظَرَ الأَعمى إِلى أَدَبي وَأَسمَعَت كَلِماتي مَن بِهِ صَمَمُ

أَنامُ مِلءَ جُفوني عَن شَوارِدِها وَيَسهَرُ الخَلقُ جَرّاها وَيَختَصِمُ ([2])

فمن يقرأ هذه الأبيات يتساءل : كيف يمكن للأعمى أن ينظر إلى أدبــه ؟ وكيــف يمكــن للأصمّ أن يسمعه ؟ وهذا الشّيء لا يحدث إلاّ في معجزات الرّسل كما حدث مع عيسى – عليه السّلام – حيث قال الله تعالى على لسانه : ﴿ **وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْــرَصَ وَأُحْيِــــي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ** ﴾ ([3]) , فالمتنبّي استشعر تميّزه عن غيره من أهــل الأدب وامتلاكــه للمجد الأدبيّ , فراح يرسم صورة نموذجيّة لذاته الشّاعرة المتعالية بما يحويه شعره مــن طاقات خلاّقة قادرة على التّأثير حيث كان , قادرة على تفجير الظّلام وتحويل الجهل إلـــى علم , والظّلام إلى نور . فأدبه عظيم ومؤثر يعقله الأعمى , وقادر على اختــراق ســمع

---

[1]) آل عمران 49 .

[2]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 367 .

[3]) آل عمران 49 .

الأصم , بما تملكه كلماته من سحر , فهوهنا يشبّه معجزته الشّعرية بمعجزة عيسى – عليه السّلام- في شفاء المرضى .

ويستوحي قصّة بناء ذي القرنين الّذي طوى الأرض وبنى السّدّ في قوله :

كَأَنّي دَحَوتُ الأَرضَ مِن خِبرَتي بِها كَأَنّي بَنى الإِسكَندَرُ السَدَّ مِن عَزمي ([1])

فتنقّلاته وأسفاره أكسبته خبرة واسعة بالأرض ومجاهلها, فكأنّه بسطها بعلمه بهـا , وقـد أعانه على ذلك عزيمته وقوة إرادته الّتي قدّ منها السّدّ الّذي بناه ذو القرنين وأشـار الله - عزّ وجلّ - إليه بقوله :﴿ **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا** ﴾ ([2]) .

فهو يستعين بهذه القصّة ليدلل على قوة إرادته في مواجهة الحياة بمتاعبها ومشاقّها , فهـو إنسان طموح لايستسلم بسهولة ويستحقّ ما يريد , ويعرف الطّريق إلى ذلك .

ويتواصل مع قصّة ذي القرنين نفسها في قوله :

لَو كانَ ذو القَرنَينِ أَعمَلَ رَأيَهُ لَمّا أَتى الظُلُماتِ صِرنَ شُموسا ([3])

ليبيّن أنّ الممدوح ذو رأي سديد , فلو أنّ الإسكندر على عظمته وحكمته وقدرته استنار به , لبدّد الظّلمات مستوحياً ذلك من قوله تعالى :﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو**

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 52 .
[2]) الكهف 92 – 97 .
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 198 .

عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾([1]) . فالمتنبّي هنا يخلع على ممدوحه صفات مثاليّة , و يرى أنّ المجتمع بحاجة إلى مثل هـذه الـصّفات , وهو أيضاً يحسّ ببشاعة الواقع وعدم قدرته على التغيير واستئصال الفساد من المجتمع , فراح يلحّ في طلب النّموذج المثال القويّ الّذي يساعده علـى تحقيـق آمالـه وطموحاتـه وتجاوز الحال الرّاهنة .

ويستوحي معجزة الإسراء والمعراج بشكل غيرمباشر في قوله :

فَوقَ شَقّاءَ لِلأَشَقِّ مَجالٌ   بَينَ أَرْساغِها وَبَيْنَ الصَّفاقِ

ما رَآها مُكَذِّبُ الرُّسلِ إلاّ   صَدَّقَ القَولَ في صِفاتِ البُراقِ ([2])

فهو يصف فرس أبي العشائر بالسّرعة والنّشاط , فإذا نظر إليها مكذّب بالرّسول – صـلّى الله عليه وسلّم - , صدّق الأخبار الواردة في صفة البراق . وهو هنا يلمّح إلى منزلة أبي العشائر العالية الّتى تقارب منزلة الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – حتّى خـص بفـرس تحمل صفات البراق .

ويتواصل مع جبريل – عليه الصّلاة والسّلام – في قوله :

لَعَظُمتَ حَتّى لَو تَكونُ أَمانَةً   ما كانَ مُؤتَمَناً بِها جِبرينُ

بَعضُ البَرِيَّةِ فَوقَ بَعضٍ خالِياً   فَإِذا حَضَرتَ فَكُلُّ فَوقٍ دونُ ([3])

ويخاطب المتنبّي ممدوحه بدر بن عمّار , ويخبره بأنّه لا يوجد مثله , فهو وحده العظـيم الّذي يؤتمن على كلّ شيء , وهو أولى من جبريل في حمل الأمانة . ولعل في ذلك مبالغة عظيمة .

---

[1]) الكهف 83 – 84 .
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 365 – 366 .
[3]) نفسه 4 / 208 .

وهكذا يلاحظ تأثر أبي تمّام والمتنبّي بالقصص الدّيني في صياغة كثير من صورهما ممّا أضفى على شعرهما دقّة في الأداء , وممّا يدلّ على صلتهما بالموروث الدّيني وبتفاصيله . فأبو تمّام وظّف قصص الأمم البائدة ومعظم الأنبياء والرّسل - عليهم الصّلاة والسّلام – وقصص الرّجال والملوك , حتّى إنّه يكاد يجمع قصصاً تمثّل جميع الدّيانات , فذكر من كلّ قصّة طرفاً .

وكان أبو تمّام يوظّف هذه القصص في الوّعظ المباشر والتّوجيه , وأحياناً يحاول استخلاص الحكم والعظات من هذه القصص , فيحاول استقصاء ما يمكن للشّعر تحمله من هذه القصص , حتّى إنّه يضطر أحياناً إلى اللّمح السّريع والإشارة الخاطفة الّتي يمكن أن يفيد منها في رسم صورته , وكأنّه يحرص على استقصاء هذه القصص بأنماطها المختلفة. وكانت قصّة يوسف – عليه السّلام – أكثر القصص حضوراً في شعره .

أمّا المتنبّي فكان تأثّره أيضاً في هذا المجال أقلّ من تأثّر أبي تمّام , وكان يعمد إلى هذه القصص حسبما يقتضيه الموقف أو الحاجة لرسم صورة من صوره , ويلاحظ أنّه ركّز بشكل كبير على قصّة المسيح – عليه السّلام- لاشتراكه في الحروب ضدّ الرّوم.

الحديث النّبويّ الشّريف

يعدّ الحديث النّبويّ المصدر الثّاني من مصادر التّشريع الإسلاميّ , ومنهلاً عذباً ينهل منه الشّعراء والأدباء على مرّ العصور, ومصدراً هامّاً من مصادر التّراث الإنسانيّ , ومن المرجعيّات التّراثية الهامّة , لما يتميّز به من بلاغة التّعبير وروعته , وحسن التّصوير وبراعته .

توظيف الحديث النّبويّ في شعر أبي تمّام

ويلاحظ أنّ أبا تمّام أفاد من الحديث النّبويّ في مواطن كثيرة فـــي شـــعره , ومـــن الأمثلة على ذلك , قوله في مدح المعتصم:

لَم يَغزُ قَوماً وَلَم يَنهَدْ إِلى بَلَدٍ   إِلاّ تَقَدَّمَهُ جَيشٌ مِنَ الرُّعُبِ ([1])

ويضفي أبو تمّام على المعتصم بعض المزايا الّتي كان يتمتّع بها جدّه الأعلـــى - محمـــد صلّى الله عليه وسلّم - , ومنها النّصر بالرّعب مسيرة شهر , فيبيّن ما لاسمه مـــن الأثـــر في قلوب أعدائه , وما يسبّبه ذكره لهم من هلع وخوف ورعب ما يعـــادل فعـــل الجـــيش العظيم في الحرب مستوحياً قوله – صلّى الله عليه وسلّم - : " أُعطيت خمساً لم يُعطهـــنّ أحد قبلي , كان كلّ نبيّ يُبعث في قومه , وبُعثت لكلّ أحمر وأسود , وأُحلّت لي الغنـــائم , وجُعلت لي الأرض طيّبةً وطهوراً , **ونُصرت بالرّعب مسيرة شهر** , وأُعطيـــت جوامـــع الكلم " ([2]) , ليؤكّد على أنّ نصر المعتصم كان بتأييد من الله – عزّ وجلّ – لأنّه يحارب من أجل إعلاء كلمة الله لا لنفسه .

ويمدح أبو تمّام المعتصم في قصيدة أخرى بقوله :

جَلا ظُلُماتِ الظُّلْمِ عَن وَجْهِ أُمَّةٍ   أَضاءَ لَها مِن كَوكَبِ الحَقِّ آفِلُهْ ([3])

حيث يؤيّد أبو تمّام المعتصم في خلافته , فيعمد إلى بيان فضائله وأعماله الجليلـــة الّتـــي أسداها لأمّته , ومنها إقامة العدل وإزالة الظّلم وآثاره , وإحقاقه الحقّ المسلوب , وإنارته

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 59 .

[2]) البخاري , ***صحيح البخاري*** / 624 والجيلاني , ***فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد*** 1 / 565 و العيني , ***عمدة القاري شرح صحيح البخاري*** 10 / 293 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 26 .

الطّريق لهم مستلهماً الحديث النّبويّ: " **الظّلم ظلمات يوم القيامة** "([1]) لفظاً ومعنىً.

ويلمّح أبو تمّام أحياناً تلميحاً صريحاً إلى معنى الحديث الشّريف , وذلك في قوله :

يُرى حِكمَةً ما فيهِ وَهوَ فُكاهَةٌ   وَيُقضى بِما يَقْضي بِهِ وَهْوَ ظالِمُ ([2])

فيبيّن أبو تمّام أثر الشّعر في المهجوّ في الشّطر الثّاني من البيت مستنداً بهـذا إلـى قـول الرّسول –عليه الصّلاة والسّلام - " **إنّ من الشّعر لحكماً** " ([3]) , فالنّـاس يقـضون بمـا يقضي به الشّعر وهو ظالم , لأنّ الشّاعر ربما هجا ظلماً منه , فيضع من قيمـة المهجـوّ ويقبّحه ويشينه .

ويمدح أبو تمّام المعتصم ويذكر فتنة الخرّميّة ([4]) في قوله :

مُستَيقِناً أَنْ سَوْفَ يَمْحوَ قَتلُهُ   ما كانَ مِنْ سَهوٍ وَمِن إِغفالِ

مِثلُ الصّلاةِ إِذا أُقيمَت أَصلَحَت   ما قَبلَها مِن سائِرِ الأَعمالِ ([5])

إذ يشيد أبو تمّام بقضاء المعتصم على بابك الخرّميّ مستوحياً معنى الحـديث الـشّريف : " **والصّلاة عمود الدّين تكمل بها الأعمال وهي أوّل ما يسأل عنها المسلم , فإن صـلحت صلح سائر عمله , وإن فسدت فسد سائر عمله** " ([6]) , وكذلك كانت مأثرة الخليفة بقتـل بابك الخرّميّ حسنة لأنها أكملت سائر أعمال الخليفة .

ويرثي أبو تمّام محمّد بن حميد بقوله :

---

[1]) البخاري , ***صحيح البخاري*** / 506 و العيني , ***عمدة القاري شرح صحيح البخاري*** 9 / 194 والصالحي , ***الشذرة في الأحاديث المشتهرة*** 1 /384 .
[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 179 .
[3]) ابن الأثير , ***النهاية في غريب الحديث*** 1 / 419 والترمذي , ***سنن الترمذي*** 4 / 334 .
[4]) فتنة الخرمية : قام بها بابك الخرمي , وقُضي عليها سنة 223 هـ ينظر الطبري , ***تاريخ الطبـري*** 5 /210 – 268 .
[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 134 .
[6]) الصالحي , ***الشذرة في الأحاديث المشتهرة*** 1 / 366 .

إن كانَ رَيبُ الدّهرِ أَثكَلَنيهُمُ   فَالدّهرُ أَيضاً مَيِّتٌ مَثكولُ ([1])

فأبو تمّام يسلّي نفسه ويصبّرها فالأشياء كلّها فانية , حتّى الموت الّذي يصيب النّاس جميعاً سيموت ويقضى عليه في الآخرة , وهو حكم كما قال التّبريزي مبنيّ على الحديث الشّريف : " **إذا صار أهل الجنّة إلى الجنّة , وصار أهل النّار إلى النّار أتي بالموت حتّى يجعل بين الجّنة والنّار ثم يذبح , ثم ينادي مناد : يا أهل الجنّة لا موت ويا أهل النّار لا موت , فيزداد أهل الجنّة فرحاً إلى فرحهم , ويزداد أهل النّار حزناً إلى حزنهم** "([2]) .

فهذا معنى قوله : " فَالدَهرُ أَيضاً مَيِّتٌ مَثكولُ " .

ويمدح أبو تمّام المأمون :

إِنَّ المَكارِمَ لِلخَليفَةِ لَم تَزَل   وَاللَّهُ يَعلَمُ ذاكَ وَالأَقوامُ

كُتِبَت لَهُ وَلأَوَّليهِ وِراثَةً   في اللّوحِ حَتّى جَفَّتِ الأَقلامُ ([3])

فيؤكّد أبو تمّام أنّ المكارم متأصّلة في المأمون , وحكمه هذا مسلّم به , و لا مجال للنّقاش فيه , وليعمّق دلالة هذا المعنى استمدّ عبارة " جفّت الأقلام " من الحديث النّبويّ الشّريف : " **جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال : يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأنّا خلقنا الآن , أرأيت عمرتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد ؟ فقال : لا بل للأبد . قال : يا رسول الله : بيّن لنا ديننا كأنّا خلقنا الآن . فيما العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أوفيما نستقبل ؟ قال: بل فيما جفّت به الأقلام وجرت به المقادير ...** "([4]).

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 105 .
[2]) المنذري , ***مختصر صحيح مسلم*** / 534 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 158 .
[4]) ابن حنبل , ***مسند ابن حنبل*** 3 / 193 .

وقال يمدح الحسن بن وهب ([1]) :

فَكِهٌ يُجِمُّ الجِدَّ أَحياناً وَقَد   يُنْضى وَيُهزَلُ عَيْشُ مَنْ لَمْ يَهزِلِ ([2])

فالإنسان إذا حمل أمره على الجدّ لقي شدّة من العيش تنضيه , لأنّ الإنسان يملّ من لزوم الطّريقة الواحدة , لذلك فإنّ ممدوحه يذر الجدّ أحياناً , وهو في هذا المعنى متأثّر بالحديث الشّريف : " **روّحوا القلوب تع الذّكر** " ([3]) .

توظيف الحديث النّبويّ الشّريف في شعر المتنبّي

تواصل المتنبّي في غير موضع من شعره مع الحديث النّبويّ الشّريف , ومن الأمثلة على ذلك مدحه عليّ بن أحمد المرّيّ الخرسانيّ في قوله :

إنَّ بَعضاً مِنَ القَريضِ هُذاءٌ   لَيسَ شَيئاً وَبَعضُهُ أَحكامُ

مِنهُ ما يَجلِبُ البَراعَةُ وَالفَضــ   ـلُ مِنْهُ ما يَجلِبُ البِرسامُ ([4])

ويشيد المتنبّي في خاتمة قصيدته بشعره وذلك من خلال قوله : إنّ من الشّعر مـا يكـون عن دراية و فضل ومعرفة " يقصد شعره " , ومنه ما يكون هذيان يجلب العلّة والمرض " يقصد شعر غيره مستوحياً قول الرّسول – صلّى الله عليـه وسـلّم – " **إنّ مـن الـشّعر لحكمـة** " ([5]).

ويمدح أبا العشائر في قوله :

ثاقِبُ الرَّأيِ ثابِتُ الحِلمِ لا يَقــ   ـدِرُ مرْءٌ لَهُ عَلى إقْلاقِ

---

[1]) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الكاتب , ولد سنة 186 هـ كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات , وقد ولي ديوان الرسائل , وكان شاعراً بليغاً مترسلاً , وله ديوان رسائل .ينظر الكتبي , ***فوات الوفيات*** 1 / 367 .

[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 37 .

[3]) ابن أبي شيبة , ***مصنف ابن أبي شيبة*** 13 / 475 .

[4]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 101 .

[5]) ابن حنبل , ***المسند*** 3 / 456 و 5 / 125 .

يا بَني الحارثِ بنِ لُقمانَ لا تَعـــ دَمْكُمُ في الوَغى مُتونُ العِتاقِ

بَعَثوا الرُّعبَ في قُلوبِ الأَعادي فَكَأنَّ القِتالَ قَبلَ التّلاقي ([1])

يصوّر المتنبّي شجاعة أبي العشائر وقومه وما يسبّبه ذكرهم لأعدائهم من هلــع وخــوف ورعب في قلوبهم قبل النّزال , فلشدّة خوفهم منهم كــأنّهم قاتلوهم قبــل أن يلتقــوا بهــم متناصّاً مع قوله – صلّى الله عليه وسلّم - : " **ونُصرت بالرعب مــسيرة شــهر** " ([2]) , فكأنّ الممدوح قد خصّ بهذه الصّفة تماماً كالنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم - .

ويوظّف الحديث النّبويّ الشّريف في قوله :

وُقِيَ الأميرُ هوى العُيونِ فإنَّهُ ما لا يزولُ ببَأْسِهِ وسَخائِهِ

يستَأْسِرُ البَطَلَ الكَمِيَّ بِنَظْرَةٍ ويَحولُ بَيْنَ فُؤادِهِ وعَزائِهِ ([3])

إذ يدعو المتنبّي لممدوحه السّلامة من العشق الّذي لايستطيع أن يدفعه بالبــأس والمــال , فهو يستأسر البطل من النّظرة الأولى , فلا يبقى له خلاص ولا صبر ولاسمع ولا بصر . مستوحياً الحديث النّبويّ الشّريف " **حبّك الشّيء يعمي ويصمّ** " ([4]).

ويمدح طاهر بن الحسين في قوله :

إِذا عَلَــوِيٌّ لَــم يَكُــن مِثــلَ طــاهِرٍ فَمــا هُــوَ إِلا حُجَّــةٌ لِلنَّواصِــبِ ([5])

ويبيّن المتنبّي لممدوحه أنّ العلويّ إذا لم يكن تقيّاً ورعاً مثله , فسيكون حجّة للأعداء على علي – رضي الله عنه- مستدلاً بقول الرّسول – عليه الصّلاة والــسّلام : " **الولــد ســرّ أبيــه** " ([6]) .

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 366 .

[2]) البخاري , ***صحيح البخاري*** / 624 والعجلوني , ***كشف الخفاء ومزيل الإلباس*** 2 / 338 .

[3]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 7 .

[4]) ابن حنبل , ***المسند*** 5 /194 و 6 / 450 الأزدي , ***سنن أبي داود*** 5 / 346 .

[5]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 156 .

[6])الصالحي , ***الشذرة في الأحاديث المشتهرة*** 2 / 236 السيوطي , ***الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة*** /413 والعجلوني , ***كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس*** 2 / 238 .

ويستثمر المتنبّي الحديث النّبويّ الشّريف في التّعبير عن وجهة نظره في بعض القــضايا الّتي تتعلق بحياة الإنسان في قوله :

وَما خَضَّبَ النّاسُ البَياضَ لأَنَّهُ قَبيحٌ وَلَكِن أَحسَنُ الشّعرِ فاحِمُهُ ([1])

فيعدّ المتنبّي الشّيب حسناً , فليس يخضب البياض لأنّه مستقبح , ولكن لأنّ السّواد أحــسن منه , فالخاضب إنّما يطلب الأحسن من لوني الشّعر . وهو في هذا المعنى يستوحي قــول الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم - : " **إنّ أحسن ما اختضبتم به لهــذا الــسّواد أرغــب لنسائكم فيكم , وأهيب لكم في صدور عدوّكم** " ([2]).

ويحذّر المتنبّي من مخالطة اللّئام في قوله :

لُعِنَتْ مُقارَنَةُ اللَّئيمِ فَإِنَّها ضَيْفٌ يَجُرُّ مِنَ النّدامَةِ ضَيْفَنا ([3])

إنّ مخالطة اللّئيم ومعاشرته مذمومة , وتجرّ لصاحبها النّدامة , لأنّ نتائجها غير محمــودة العواقب , فهي كضيف يليه ضيف من النّدامة , مستوحياً قول النّبــيّ – عليــه الــصّلاة والسّلام - : " **إنّما مثل الجليس الصّالح والجليس السّوء كحامل المسك ونافخ الكير , فحامل المسك إمّا أن يحذيك , وإما أن تبتاع منه , وإمّا أن تجد منه ريحاً طيّبة , ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك وإمّا أن تجد منه ريحاً خبيثة** " ([4]) .

أمّا في مجال العلاقات الإنسانيّة , فإنّ المتنبّي يدعو إلى أخــذ الحيطــة والحــذر , وذلك من خلال قوله :

يَستَخبِرونَ فَلا أُعطيهِمُ خَبَري وَما يَطيشُ لَهُم سَهمٌ مِنَ الظِّنَنِ

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 334 .
[2]) القزويني , ***سنن ابن ماجة*** 2 / 1197 .
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 207 .
[4]) النيسابوري , ***صحيح مسلم*** 16 / 178 .

وَخَلَّةٍ في جَليسٍ أَتَّقيهِ بِها كَيما يُرى أَنَّنا مِثلانِ في الوَهَنِ ([1])

يسأل النّاس المتنبّي عن حاله وأخباره , فلا يخبرهم بشيء , ويكتم عنهم أمره خوفاً من غائلتهم , فهو يخفي نفسه وفضله خوفاً من الحسد مستنداً في ذلك إلى قول الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم- : " **استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان , فإنّ كلّ ذي نعمة محسود** " ([2]) . وكأنّ المتنبّي يسقط ما في نفسه نتيجة ما لاقاه من نفي وحرمان , وخيبة آماله وطموحاته , وكأنّه يعظ نفسه وغيره بأن يتمثّل هذا الحديث , لأنّ السّر إذا باح من صاحبه شاع ([3]).

ويشيد المتنبّي بأفعال سيف الدّولة العظيمة في قوله :

رَفَعَتْ بِكَ العَرَبُ العِمادَ وَصَيَّرَت قِمَمَ المُلوكِ مَواقِدَ النّيرانِ

أَنسابُ فَخرِهِمِ إِلَيكَ وَإِنَّما أَنسابُ أَصلِهِمِ إِلى عَدنانِ ([4])

إنّ العرب ارتفعت بسيف الدّولة وشرفت به , وأخضعوا الملوك به , فهم في الفخر والشّرف ينتسبون إلى سيف الدّولة , مع أنّهم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان مستنداً في ذلك إلى قوله – صلّى الله عليه وسلّم - : " **كذب النّسابون ما فوق عدنان** " ([5]).

ويقول على لسان بعض بني تنوخ مفتخراً ومعتزّاً بنسبه :

وَمَجدي يَدُلُّ بَني خِنْدِفٍ عَلى أَنَّ كُلَّ كَريمٍ يَمانِ ([6])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 212 .
[2]) البهيقي , ***شعب الإيمان*** 5 / 276 .
[3]) جوخان , إبراهيم عقله عبد الرحمن , ***التناص في شعر المتنبي***/ 185 , رسالة دكتوراه , جامعة اليرموك, إربد – الأردن , 2006 م .
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 184 – 185 .
[5])المتقي , ***كنز العمال في سنن الأقوال والأفضال*** 7 / 149 .
[6]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 188.

فكرم ممدوحه وشرفه يدلّ على أنّ كلّ كريم من قبائل اليمن لأنّه منهم , وذلك لأن أهــل اليمن يتميزون عن غيرهم بالحكمة والإيمان , وطيبة القلب والكرم مستوحياً قول الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – " **الإيمان يمان , وأجد ريح الرحمن من قبل الــيمن والحكمــة يمانية , وأهل اليمن ألين قلوباً ...** " ([1]).

ويوظّف المتنبّي ألفاظاً من الحديث النّبويّ الشّريف في قوله :

أَنتَ أَعلى مَحَلَّةً أَنْ تُهَنّى   بِمَكانٍ في الأَرضِ أَو في السّماءِ

وَلَكَ النّاسُ وَالبِلادُ وَما يَســـ   رَحُ بَينَ الغَبراءِ وَالخَضراءِ ([2])

و المتنبّي في هذين البيتين يمدح كافور الإخشيدي ويهنّئه ببناء دار , فيقول له أنّــه أعلــى قدراً من أن يهنّأ بمكان , وهو يملك ما بين الخضراء والغبراء , ويلاحظ أنّه أخذ بعــض ألفاظه من قول الرّسول -عليه الصّلاة والسّلام - " **ما أقلّت الغبراء ,ولا أظلّت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر** "([3]) .

ويستلهم المتنبّي لفظة من الحديث الشّريف ويوظّفها في شعره كقوله :

شَديدُ البُعدِ مِن شُربِ الشَّمولِ   تُرُنْجُ الهِندِ أَو طَلْعُ النّخيلِ

وَلَكِن كُلُّ شَيءٍ فيهِ طيبٌ   لَدَيكَ مِنَ الدَّقيقِ إِلى الجَليلِ

وَمَيدانُ الفَصاحَةِ وَالقَوافي   وَمُمْتَحَنُ الفَوارِسِ وَالخُيولِ ([4])

يصوّر المتنبّي مجلس ممدوحه سيف الدّولة , فهو ليس كمجالس الآخرين الّتي تعقد لشرب الخمر , ولكنّها مجالس يفوح منها الطّيب والحديث الحسن , حيث يتسابق الموجودون فيها

---

[1])البخاري , صحيح البخاري / 257 والنيسابوري , ***صحيح مسلم*** 1 /52 والبهيقي , ***شعب الإيمان*** 6 / 268 .

[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 33 .

[3]) ابن حنبل , ***المسند*** 2 / 63 .

[4]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 90 – 91 .

في النّثر والنّظم , والحديث عن الخيل والفرسان . و المتنبّي استعار كلمة ترنج من الحديث النّبوي لرسم صورة هذا المجلس : " **ومثل المؤمن الّذي يقرأ القرآن مثل الأُتْرُجَّة : ريحها طيّب وطعمها طيّب** " ([1]) .

وهكذا يلاحظ أن أبا تمّام والمتنبّي قد تواصلا مع الحديث النّبوي الشّريف , وذلك للتّعبير عن حالاتهما الشّعوريّة ورؤاهما المماثلة لمعاني هذه الأحاديث دون تكلّف في معظم المواقف رغم حرص أبي تمّام على استقصاء كل ما يتعلّق بالتّراث الدّيني , ولكنّه استقصاء فرضته عليه عقليّته الّتي ازدحمت بالثّقافات المختلفة , فصدرت عنها في المواقف الّتي تحتملها وتتناسب معها , حيث تقل الكلفة إذا ورد الحديث في مكانه الطّبيعي الّذي اجتهد أبو تمّام في تحديده . أمّا المتنبّي فقد كان يقتبس الحديث النّبويّ الشّريف للتّعبير عن الحالات الشّعورية المماثلة لهذه الأحاديث .

التّواصل بالكتاب المقدّس في شعر أبي تمّام

توظيف قصص أهل الكتاب

وظّف أبو تمّام في شعره بعض قصص أهل الكتاب , ومن الأمثلة على ذلك استيحاؤه قصّة سدوم في قوله :

فَإن أَكُ قَد حَلَلتُ بِدارِ هُونٍ   صَبَوتُ بِها فَقَدْ يَصبو الحَليمُ

أَلومُكَ لا أَلومُ سِواكَ دَهراً   قَضى لي بِالَّذي يَقضي سَدُومُ ([2])

---

[1]) مسلم , ***صحيح مسلم*** *6* / 83 والسيوطي ,***الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير*** 3 / 122 .

2) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 538 .

فهو يشكو الدّهر , ويصف سوء مطلبه بنيسابور , لأنّه وجد فيها خيبــة الأمــل واليــأس والغربة وضيق العيش , فأخذ يلوم الدّهر الجائر الّذي قضى له بالذّهاب إلى هذه المدينــة , لأنّ حكمه كان كحكم قاضي سدوم ([1]).

كما يتواصل مع يوشع بن نون ([2]) في قوله :

فَرُدَّت عَلَينا الشَّمسُ وَاللَّيلُ راغِمٌ بِشَمسٍ لَهُم مِن جانِبِ الخِدرِ تَطلُعُ

نَضا ضَوءُها صِبغَ الدُجُنَّةِ فَانطَوى لِبَهجَتِها ثَوبُ السَّماءِ المُجَزَّعُ

فَوَاللّهِ ما أَدري أَأَحلامُ نائِمٍ أَلَمَّت بِنا أَم كانَ في الرَّكبِ يوشَعُ ([3])

إذ يصوّر أبو تمّام محبوبته وهي تخرج من خدرها , حيث أضاءت ظلمة اللّيل , فاحتــار فيما حدث . فأخذ يتساءل : أكان هذا حلماً أم كان معه في الرّكب يوشع ؟ وهــذا المعنــى محمول على ما يحكيه أهل الكتاب من أنّ الشّمس ردّت ليوشع بن نون لينتهي مــن قتــال الجبّارين قبل دخول السّبت .

توظيف ألفاظ من الكتاب المقدّس

وقد وردت في ديوان أبي تمّام بعض ألفاظ أهل الكتاب نتيجة اتّصال العرب بــالرّوم عن طريق الحروب الصّليبيّة , ولكنّها قليلة , ومن الأمثلة على ذلك :

خَلَقَ اللّهُ لِحيَةً لَكَ لَو تُحــ ــلَقُ لَم يُدرَ ما غَلاءُ المُسوحِ !

---

[1]) سدوم " إحدى مدائن لوط – عليه السلام - , تميز قضاتها بالظلم , والقرية : سدوم التي قيل فيها : أجور من قاضي سدوم) كَانُواْ ظَالِمِينَ ينظر ***العهد القديم*** / 333 والزمخشري , ***الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*** - 3 / 456 .

[2]) هو يوشع بن نون بن أفراثيم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم الخليل – عليهم السلام – وأهل الكتاب يقولون يوشع بن عم هود وقد ذكره الله تعالى في القرآن دون أن يصرح باسمه في قصة الخضر في قوله :﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ** ﴾ الكهف 60 و﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ﴾ الكهف 62 . وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب , لأنه مصرح به في التوراة ينظر ابن كثير , ***قصص الأنبياء*** 326 و***العهد القديم*** , الإصحاح الرابع / 341 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 320 .

أَحلى وَأَعذَبُ مِن سَيبٍ تَجودُ بِهِ   وَلَن تَجودَ بِهِ يا كَلبُ يا كَلِبُ (1)

حيث وظّف أبو تمّام لفظة المسوح في هجائه موسى بن إبراهيم الرّافقي , وذلـــك ليـــشبّه لحيته بمسوح الرّهبان .

ووظّف أيضاً كلمة الصّلب في قوله :

النّارُ وَالعارُ وَالمَكروهُ وَالعَطَبُ   وَالقَتلُ وَالصَّلبُ وَالمُرّانُ وَالخَشَبُ (2)

ليبيّن أنّ النّار والعار وإصابته بمكروه والقتل والصّلب أفضل وأعذب من عطاء عيّاش بن لهيعة .

وقوله :

لَو بَيَّنَتْ قَطُّ أَمراً قَبلَ مَوقِعِهِ   لَم تُخفِ ما حَلَّ بِالأَوثانِ وَالصُّلُبِ (3)

فهو هنا قرن الأوثان والصّلب على صعيد واحد هو صعيد التّرادف , وبذلك يكون قد عدّ الصليبيين وإن حملوا شارات الصّليب على الظّاهر , إنّما هم مشركون , كما هـــم عبـــدة الأوثان من أهل مكة قبل مجيء الإسلام .

ووظّف عبارة روح القدس في قوله :

أَبو عَلِيٍّ أَخلاقُهُ زَهَرٌ   غِبَّ سَماءٍ وَروحُهُ قُدُسُ (4)

ليصور نضارة ممدوحه وطهارة روحه.

وقوله :

فَإِنَّ موسى وَصَلّى عَلى روحِهِ الرَّبُّ صَلاةً كَثيرَةَ القُدُسِ

---

1) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 333 .
2) نفسه 4 / 313 .
3) نفسه1 / 45 .
4) نفسه2 / 230 .

صارَ نَبِيّاً وَعُظْمُ بُغيَتِهِ   في جَذوَةٍ لِلصِلاءِ أَو قَبَسِ (1)

تأوّل أبو تمّام لهذا الممدوح شرفاً عظيماً في وفادته على الخليفة تماماً مثل موسى – عليه الصّلاة والسّلام – حينما طلب جذوة من نار فأوتي النّبوة بإذن الله .

ووظّف لفظة البطريق في قوله :

يَستَغيثُ البِطريقَ جَهلاً وَهَل تَط   ـلُبُ إِلا مُبَطرِقَ البِطريقِ (2)

ليصوّر شجاعة ممدوحه أبي سعيد في الحرب من خلال استغاثة البطريق الّذي لا يعني بالنّسبة لممدوحه شيئاً .

التّواصل بالكتاب المقدّس في شعر المتنبّي

توظيف قصص أهل الكتاب

شغلت المأثورات المسيحيّة جانباً واضحاً في شعر المتنبّي , ولعل السّبب في ذلك يرجع إلى الحروب الصّليبية المستمرّة بين سيف الدّولة والبيزنطيّين . ومن ذلك إشارة المتنبّي إلى حادثة صلب عيسى – عليه السّلام - , ومن الجدير بالذّكر أنّ هذه القصّة قد وردت في القرآن الكريم , ولكنّه هنا وظّفها من منطلق وجهة النّظر المسيحيّة للاستهزاء بمعتقدات الصّليبيّين , فيقول :

وَقَد زَعَموا أَنَّهُ إِن يَعُدْ   يَعُدْ مَعَهُ المَلِكُ المُعتَصِبْ

وَيَستَنصِرانِ الَّذي يَعبُدانِ   وَعِندَهُما أَنَّهُ قَد صُلِبْ

ويَدفَعُ ما نالَهُ عَنهُما   فَيا لَلرِّجالِ لِهَذا العَجَب (3)

---

1) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 241 .

2) نفسه2 / 437 .

3) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 104 .

فيسخر المتنبّي من عقيدة الملك وقائده متعجّباً , لأنّهما يـسألان المـسيح النّـصر علـى المسلمين , ودفع الهلاك , رغم أنّهما يعتقدان أنّ المسيح قد صلبه اليهود وقتلوه , فكيـف يقدر أن يدفع الهلاك عنهما , وهو لم يستطع دفعه عن نفسه ! وهذا الاعتقاد فـي نهايـة المسيح أوجزه القرآن بقوله :﴿ **وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ ([1]) وأشار إليها الكتاب المقدّس : " **أما المـسيحيّة فلم تبدأ إلا بعد أن رفض , كملك اليهود وصلب , وصنع الخلاص لجميع البشر** " ([2]).

ووظّف أيضاً قصّة عازر الّذي أحياه عيسى -عليه السّلام - في قوله :

كَفَلَ الثَناءُ لَهُ بِرَدِّ حَياتِهِ لَمّا اِنطَوى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ

وَكَأَنَّما عيسى اِبنُ مَريَمَ ذِكرُهُ وَكَأَنَّ عازَرَ شَخصُهُ المَقبورُ ([3])

وذلك ليبيّن أنّ ثناء النّاس على هذا المرثي , وذكرهم إياه بالحسنى بعد موته , كفيل بـردّ الحياة له , فإن من بقي ذكره طيّباً في النّاس كمن لم يمت , لأنّ ذكر النّاس له يحييه لهـم كما أحيا عيسى بن مريم عازر بعد موته مستوحياً هذه القصّة من الإنجيل : " **وقال لعازر هلم خارجاً , فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل فقـال لهم يسوع حلّوه ودعوه يذهب** "([4]).

ويتواصل مع عازر مرّة أخرى في قوله :

أَو كانَ صادَفَ رَأسَ عازَرَ سَيفُهُ في يَومِ مَعرَكَةٍ لَأَعيا عيسى ([5])

---

[1]) النساء 157 .
[2]) بنكرتن , بنيامين , ***تفسير إنجيل متى*** / 98 .
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 131 – 132 .
[4]) ***العهد الجديد*** / 350 .
[5]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 198 .

ويبالغ المتنبّي في وصف شجاعة ممدوحه محمّد بن زريق الطرطوسيّ , وحسن استخدامه السّيف في الحرب , فلو قتل بسيفه عازر , لشقّ على عيسى - عليه السّلام -إحياؤه بعد موته.

أما الحواريون فقد ذكرهم في قصيدته الّتي قالها عقب هزيمة مني بها سيف الدّولة بالقرب من ثغر الحدث :

وَلَو رَآهُ حَوارِيّوهُمُ لَبَنوا عَلى مَحَبَّتِهِ الشَرعَ الَّذي شَرَعوا ([1])

فهويمدح سيف الدّولة ويذكر الوقعة الّتي نكب فيها المسلمون بالقرب من بحيرة الحدث ويشيد بعدل سيف الدّولة , فلو رأى حواريو المسيح -عليه السّلام - المتّصفون باجتماعهم على الحقّ والعدل عدل سيف الدّولة وكرمه , لبنوا شريعة الرّوم على محبّته , وألزموا الرّوم على الدّخول في طاعته . فالمتنبّي هنا يلمّح إلى أنّ سيف الدّولة أحقّ من سواه بالنّصر .

توظيف ألفاظ أهل الكتاب

ويتّضح تأثّر المتنبّي بألفاظ أهل الكتاب نتيجة اختلاطه بالرّوم في حروبه مع سيف الدّولة الحمداني . ومن الأمثلة على تأثّره بألفاظ أهل الكتاب قوله :

يا أَيُّها المَلَكُ المُصَفّى جَوهَراً مِن ذاتِ ذي المَلَكوتِ أَسمى مَن سَما

نورٌ تَظاهَرَ فيكَ لاهوتِيَّةً فَتَكادُ تَعلَمُ عِلمَ ما لَن يُعلَما ([2])

فالمتنبّي عدّ ممدوحه في هذين البيتين جوهراً مصفّى من ذات الله تعالى , فقد ظهر فيه نور إلهي يكاد يعلم به الغيب الّذي لا يعلمه إلاّ الله – سبحانه وتعالى – , لأنّه صاحب

---

1) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 225 .
2) نفسه 4 / 30 -31 .

ذهن صاف . ويكثر استخدام لفظ ملكوت في الإنجيل ومن الأمثلة على ذلك : "**لم يقل لـــه يوحنا المعمدان أن ملكوت السّماء قد حضر** " ([1]) , وهي كلمة لاهوتيّة عبرانيّـــة وتعنـــي الله. وقيل إنّ هذا الممدوح كان " نصرانياً فأسلم , ويريد أن يكالمه من حيث هو , ويريـــه فيه بهاء ربه , ويصفه بشيء فيه للكلام محال على طريقته "([2]).

ويوظّف المتنبّي لفظة الصّليب في عدّة مواضع نحو قوله :

سَبَقتَ إِلَيهِم مَناياهُمُ وَمَنفَعَةُ الغَوثِ قَبلَ العَطَبْ

فَخَرّوا لِخالِقِهِم سُجَّداً وَلَو لَم تُغِث سَجَدوا لِلصُلُبْ ([3])

فقد أغاث سيف الدّولة أهل الثّغور قبل أن يظفر بهم الرّوم , فخرّوا لله ســجّداً شــاكرين , لأنّه أنقذهم من السّجود للصّليب خوفاً من الرّوم .

وقوله :

حَتّى أَقامَ عَلى أَرباضِ خَرشَنَةٍ تَشقى بِهِ الرّومُ وَالصُّلبانُ وَالبِيَعُ ([4])

فقد نزل سيف الدّولة إلى أرض خرشنة , فشقيت به الروم , لأنه قتلهم وحرق صـــلبانهم , وهجروا كنائسهم .

ويوظّف لفظة الرّهبان في قوله يصف أسداً :

في وَحدَةِ الرُهبانِ إِلاّ أَنَّهُ لا يَعرِفُ التّحريمَ وَالتّحليلا ([5])

ليبيّن المتنبّي أنّ هذا الأسد منفرد في غيله انفراد الرّهبان فـــي صـــوامعهم , غيـــر أنّـــه لايعرف حراماً ولا حلالاً .

---

[1]) بنيامين , بنكرتن , ***تفسير إنجيل متى*** / 39 .
[2]) الصقلي المغربي ,أبو علي الحسين بن عبيد الله , ***التكملة وشرح الأبيات المشكلة من ديوان أبي الطيب المتنبي*** / 50 .
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 102 – 103 .
[4]) نفسه 2 / 224 .
[5]) نفسه 3 / 239 .

ووظّف عدّة ألفاظ وهي "المسوح والدّير والتّرهب "في تصويره ما حلّ بالدّمستق فـــي حربه مع سيف الدّولة :

فَأَصبَحَ يَجتابُ المُسوحَ مَخافَةً وَقَد كانَ يَجتابُ الدِّلاصَ المُسَرَّدا

وَيَمشي بِهِ العُكّازُ في الدَيرِ تائِباً وَما كانَ يَرضى مَشيَ أَشقَرَ أَجرَدا

فَلَو كانَ يُنجي مِن عَلِيٍّ تَرَهُّبٌ تَرَهَّبَتِ الأَملاكُ مَثنى وَمَوْحَدا ([1])

حيث صوّر المتنبّي هزيمة الدّمستق أمام سيف الدّولة وخذلانه , إذ ولّى هارباً منهزمـــاً , وقد خلع دروع الحرب , ليلبس عوضاً عنها مسوح الرّهبان . فلحقـــه الـــضّعف نتيجـــة الهزيمة , فأصبح يجوب الدّير على عكاز . وكان المتنبّي على صواب فـــي تقيـــيم هـــذا الفعل, فهو من أفعال الهزيمة الّذي لايتّصل بالإخلاص الدّيني المـــسيحيّ , والحقيقـــة أنّ البيزنطيّين يعدّون لجوء القائد في الحرب أو في السّياسة إلى الأديـــرة والاعتـــزال فيهـــا وصمة عار تلحق به ([2]).

يلاحظ قلة تأثّر أبي تمّام والمتنبّي بتراث أهل الكتاب إذا ما قورن بالتّراث الـــدّيني الإسلامي , وربما يعود ذلك إلى أن القرآن الكريم كان المصدر الأوّل في ذلـــك العـــصر للثّقافة , لتميّزه بالبلاغة والفصاحة والبيان . وكذلك فإنّ أبا تمّام والمتنبّي يعيشان في ظـــلّ دولة ذات طابع إسلامي , ويمدحان حكّاماً يتّخذون الشّريعة الإسلاميّة دستوراً لـــدولتهم . وهم في الوقت نفسه في صراع مستمر مع الصّليبيين .

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 284 – 285 .

[2]) الجعافرة , ماجد ياسين , ***قراءات في الشعر العباسي*** / 65.

الفصل الثاني

التّراث الأدبيّ في شعر أبي تمام والمتنبّي

التّراث الأدبيّ في شعر أبي تمام والمتنبّي

يعدّ استيحاء الموروث الشَعريّ أو التّأثر به من أقدم الظّواهر في الأدب العربيّ ؛ ولم يغفل الشّاعرعن أهميّة هذا الموروث , ولا يوجد شاعر لم يفد من شعر غيـره الّـذي يمثّل لديه حياة أخرى , وعالماً يزخر بالتّجربة والفكر . فيستمدّ منه الصّور والمعاني الّتي يوردها في شعره . والحفظ سبب قويّ في تأثّر الشّاعر بغيره مـن الـشّعراء , حيـث إنّ ذاكرته تقوم بالتّذكّر التّلقائيّ اللاواعي , وأحياناً يتعمّد التّذكر أو استدعاء المعـاني الّتـي يحتاج إليها خياله حينما تستبهم عليه مسالك الإبداع .

التّراث الأدبيّ في شعر أبي تمّام

تدلّ أخبار أبي تمّام على أنّه أطال النّظر في الموروث الأدبي عامّة والشّعريّ خاصّة, ويبدو أن تعمّقه بالموروث وحرصه على النّهل منه , جعله يؤلّف كتباً موضوعاتها اختيار المجموعات الشّعرية ذات القيمة الأدبيّة العالية , وهي :

كتاب الاختيار من أسفارالقبائل , وكتاب الاختيارات من شعر الشّعراء , وكتاب الفحول وكتاب الحماسة ,ومختارات من الشّعراء المحدثين , ونقائض جرير والأخطـل , وقـد وصل إلينا منها الحماسة والنّقائض ([1]).

وتدل هذه المؤلفات دلالة واضحة على صحبة أبي تمّام للشّعر والشّعراء , فنتيجـة صـلته الشّديدة بالموروث الشّعري كانت تستوقفه المعاني والصّور والأخيلة , وكان يعمل فيها ذهنـه , ثم يستدرك عليها بما يراه إضافةً أو عمقاً أو تصحيحاً . ولعل هذا ما دفع نقاد عصره في البحث عن سرقاته .

---

[1]) النديم , ***الفهرست*** 4 / 190 وابن خلكان , ***وفيات الأعيان*** 2 / 12 .

وقد وظّف أبو تمّام الموروث الأدبيّ في شعره بصورة جليّة , ولا غرو في ذلك , فقد قيل قديماً عنه : " ... وإنّه ما فاته كبير شيء من شعر جاهليّ ولا إسلاميّ ولا محدث إلا وقرأه وطالع فيه " ([1]) .

استدعاء نصوص بعض الشّعراء

استدعى أبو تمّام نصوص بعض الشّعراء من خلال ذكر أسمائهم أو سماتهم أو الإشارة إلى قصائدهم أو بعض مواقفهم ومن ذلك تواصله مع امرئ القيس في قوله :

مِنَ المُعطَياتِ الحُسْنَ وَالمُؤتَياتِهِ مُجَلبَبَةً أَو فاضِلاً لَم تُجَلْبَبِ

لَوَ اَنَّ اِمرَأَ القَيسِ بنَ حُجْرٍ بَدَت لَهُ لَما قالَ مُرّا بي عَلى أُمِّ جُندُبِ .([2])

فقد أراد أبو تمام أن يبيّن شدة جمال محبوبته وفتنتها في وقفة طللية , فتواصل مع امرئ القيس في قصيدته المشهورة التي نافر بها علقمة الفحل , فقال إنّها تفوق محبوبة امرئ القيس جمالاً , فلو أنّ امرأ القيس رآها , لما قال بيته المشهور الّذي يدلّ على مكانة أمّ جندب في نفسه :

خَليلَيَّ مُرّا بي عَلى أُمِّ جُندُبِ نُقَضِّ لُباناتِ الفُؤادِ المُعَذَّبِ ([3]).

ويتواصل أبو تمام مع المرقّش الأكبر([4]) , في غزله بمحبوبته في إشارته إلى فتنتها , حتى إن المرقّش لو رآها لصدّته عن التّعلق بصاحبته أسماء بنت عوف بن مالك , فيقول :

فَأُقسِمُ لَو تَبدو لِعَينِ مُرَقِّشٍ لأَذهَلتَ عَن أَسماءَ حَقّاً مُرَقِّشا ([5]).

ويستدعي أيضاً مطلع معلقة طرفة بن العبد في قوله :

---

[1]) الآمدي , ***الموازنة*** / 56 .

[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 149 .

[3]) امرؤ القيس , ***الديوان*** / 64 .

[4]) المرقش الأكبر(? - 72 ق. هـ) عوف (وقيل عمرو) بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس من بني بكر بن وائل. شاعر جاهلي من المتيمين الشّجعان عشق ابنة عم له اسمها (أسماء) وقال فيها شعراً كثيراً، يحسن الكتابة وشعره من الطبقة الأولى . ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 / 205 والأصفهاني , ***الأغاني*** 6/ 93 .

[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 227/4 .

زُرْتَ الخليفَـــةَ زَوْرَةً مَيْمونَـــةً   مَذْكورَةً قَطَعَتْ رَجاءَ الحُسَّدِ

يَتـــنَفَّسونَ فَـــتَنْثَنـــي لَهَواتـــُهُمْ   مِنْ جَمْرَةِ الحَسَدِ الّتي لمْ تَبْرُدِ

نَفَسوكَ فَالتَمَسوا نَداكَ فَحاولوا   جَبَلاً يَزِلُّ صَفيحُهُ بالمَصْعَــدَ

دَرَسْتَ صَفائِحُ كَيْدِهـــِمْ فَكَأنَّمـــا   أَذْكَرْنَ أَطْلالاً بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ([1]).

حيث استدعى أبو تمّام مطلع معلقة طرفة في نهاية قصيدته التي يمدح بها أبا سعيد الثّغري, ليبيـــن أن زيارة ممدوحه للخليفة , قطعت رجاء الحساد الّذين حاكوا له المكائد , فبـــاءت محـــاولاتهم فـــي الإيقاع بينه وبين الخليفة بالفشل ودرست صفائح كيدهم , فأصبحت أطلالاً مثل أطلال محبوبة طرفة ببرقة ثهمد . فأبو تمّام في هذه الأبيات لم يوظّف مطلع معلقة طرفة بدلالته الأصليّة كما يلاحظ .

ويفيد أبو تمام من شعراء العصر الأمويّ إفادة واضحة , فتأثر بالرّاعـــي النّميري ([2]) فـــي وصفه للنّاقة , إذ يقول :

بِنْتُ الفَضاءِ مَتى تَخِد بِكَ لا تَدَعْ   في الصَدْرِ مِنْكَ عَلى الفَلاةِ غَليلا

أَوَ ما تَراهـــا ما تَراهـــا هـــِزَّةً   تَشأى العُيونَ تَعَجْرُفـــاً وَذَميـــلا

لَو كانَ كَلَّفَهـــا عُبَيـــْدٌ حاجَـــةً   يَوماً لأُنْسِـــيَ شَدْقَماً وَجَديـــلا ([3])

حينما يصف أبو تمّام رحلته على ناقته في عبورها الصّحراء , يستدعي أبيـــات الرّاعـــي النّميـــري الملقّب بـــ "راعي الإبل ", لأنّه كان يحسن وصفها من خلال إشارته إلى أبياته الّتي يخاطـــب فيهـــا ابنته خليدة , ويصف مطاياه , ويشبهها بفحلين من الإبل هما شدقم وجديل :

أَخُلَيدَ إِنَّ أَباكِ ضافَ وِسادَهُ   هَمّـــانِ باتا جَنبَـــةً وَدَخيـــلا

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 140/2 .

[2]) الراعي النُمَيري (؟ - 90 هـ) هو عُبَيد بن حُصين بن معاوية بن جندل ، ولقب بالراعي لكثرة وصفه الإبل . وقيل: كان راعَي إبلٍ من أهل بادية البصرة.عاصر جريراً والفرزدق .وســـماه بعـــض الـــرواة حصين بن معاوية.ينظرابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 / 404 .وابن سلام , ***طبقات فحـــول الـــشعراء*** 502/ .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 /68 – 69 .

طَرَقا فَتلكَ هَماهِمي أَقريهِما   قُلُصاً لَواقِحُ كَالقِسِيِّ وَحــولا

شُمَّ الكَواهِلِ جُنَّحاً أَعضادُها   صُهباً تُناسِبُ شَدقَماً وَجَديلا (1)

إن ناقة أبي تمّام سريعة , وتتحمّل المشاق و المتاعب , حتى إنّ عبيداً لو امتطاها , لاحتقــر هــذين الفحلين من الإبل , فهدف أبي تمّام من هذا الاستدعاء , بيان أصالة ناقته وسرعتها وتحمّلها مــشاق السّفر في سبيل الوصول إلى الممدوح .

ويصف أبو تمام بطولته , حيث يقول:

تَوَجَّعُ أَن رَأَت جِسمي نَحيفاً   كَأَنَّ المَجدَ يُدرَكُ بِالصِّراعِ

فَتى النَّكَباتِ مَن يَأوي إِذا ما   قَطَفْنَ بِهِ إِلى خُلُقٍ وَساعِ

يُثيرُ عَجاجَــةً في كـُـلِّ ثَغــرٍ   يَهيمُ بِهِ عَدِيُّ بنُ الرِّقاعِ (2)

فهو يوظّف في هذه الأبيات قول عديّ بن الرّقاع (3) الذي ذكر فيه الغبار في وصــفه لحمــار وأتان يتعاوران الرّكض :

يَتَعاوَرانِ منَ الغُبارِ مُلاءَةً   غَبراءَ مُحكمةً عما نَسَجاها

تَطوي إِذا عَلَوا مَكاناً ناشِزاً   وَإِذا السَنابِكُ أَسهَلَت نَشَراها (4)

ويواجه أبو تمّام النّكبات والشّدائد , ومن عادته إثارة العجاجات والقساطل في الحروب الّتي يــستهام بذكرها عديّ بن الرّقاع , فيدفع عنه النّكبات بقوة قلبه أو يموت فيها ميتة حميدة , فاســتدعاء أبــي تمام بيت عديّ بن الرّقاع الّذي يصف فيه العجاجة , أغناه عن وصفها في خوضه المعارك.

ويستحضر أبو تمّام بعض أشعار الفرزدق في قوله :

---

1) القرشي , ***جمهرة أشعار العرب*** / 172 .

2) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 336 – 337 .

3) عدي بن الرقاع العاملي(? - 95 هـ) شاعر كبير، من أهل دمشق.كان معاصراً لجرير، مهاجيــاً له، مقدماً عند بني أمية، مدّاحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبد الملك. مات في دمشق ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 603/2 والأصفهاني , ***الأغاني***9 /228 .

4) ابن قدامة , ***نقد الشعر***/132 – 133 .

صَفْراءُ صُفْرَةَ صِحَّةٍ قَد رَكَّبَتْ   جُثْمانَهُ في ثَوبِ سُقْمٍ أَصْفَرِ

قَتَلَتــْهُ سِرّاً ثُمَّ قالــَت جَهْــرَةً   قَوْلَ الفَرَزْدَقِ لا بِظَبْيٍ أَعْفَرِ([1])

فهو في أبياته يستوحي قول الفرزدق :

أَمِسكينُ أَبكى اللّهُ عَينَيــكَ إِنَّمــا   جَرى في ضَلالٍ دَمْعُها إِذْ تَحَدَّرا

أَتَبكي اِمرَأً مِن أَهلِ مَيسانَ كافِراً   كَكِسرى عَلى عِدّانِهِ أَوْ كَقَيصَرا

أَقــولُ لــَهُ لَمــّا أَتانــي نَعِيُّــهُ   بِهِ لا بِظَبْيٍ بِالصَّرِيمَةِ أَعْفَرا([2])

فأبو تمّام يصرّح في عجز بيته الثّاني , بأنّه استمدّ هذا المثل من قول الفــرزق فــي مسكيــن الدارمـــيّ ([3]) و الشّماتة بموت زياد بن أبيه الّذي كان مسكين قد رثاه . وعبارة "لا بظبي أعفر" ترد كمثل وتقال عادة في حالة الشّماتة ([4]).

فقد وظف أبو تمّام قول الفرزدق في مقدمة غزلية , رابطًا بين موقف محبوبته الشّامت , إذ شـــمتت بما آلت إليه حاله عندما هجرته , وموقف الفرزدق الشّامت بموت زياد , فأبو تمّام يعدّ نفسه قتــيلاً كزياد , ومحبوبته تمثّل دور الفرزدق الشّامت .

و يتواصل مع ذي الرُّمه ([5]) , فيقول :

ما رَبْعُ مَيَّةَ مَعموراً يُطيفُ بِهِ   غَيْلانُ أَبْهى رُبىً مِنْ رَبْعِها الخَرِبِ

ولا الخُدودُ وَقَدْ أُدْمَين مِنْ خَجَلٍ   أَشْهى إلى ناظِرٍ مِنْ خَدِّها التَّرِبِ([1])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4/ 450 451 .

[2]) الفرزدق , ***الديوان*** 1 / 201 .

[3]) مسكين الدارمي (09 هـ) هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عدس بن دارم .شاعر عراقي له أخبار مع معاوية، وكان بينه وبين الفرزدق وعبد الرحمن بن حسان وشائج مودة وهجاء. ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 /536 والبغدادي , ***خزانة الأدب*** 1 / 467 وابن سلام , ***طبقات فحول الشعراء*** 3 / 6 .

[4]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 136 .

[5]) ذو الرُمَّة (117 هـ) غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر. من فحول الطبقة الثانية في عصره, وكان شديد القصر دميماً، يضرب لونه إلى السواد، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين وكان مقيماً بالبادية، يختلف إلى اليمامة والبصرة كثيراً، امتاز بإجادة التشبيه.ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 / 515 - 527

وهو يصف الخراب والدمار الذي حل بمدينة عموريّة حينما فتحها المعتصم **من** خلال **الإ**شارة إلـــى ربع ميّة الّذي أكثر ذو الرّمة من وصف حسنه , ليبيّن حسنه في عيون المسلمين, فهو في عيـــونهم أبهى من ربع ميّة في عيون ذي الرّمة , فهو هنا قرن صورة الخراب والدّمار بصورة مـــن صـــور الجمال مستعينا فيها بوصف المرأة وجمالها. و قد جاء الطّباق معموراً وخرب في ســبيل تجميــل القبيح . وهو في هذين البيتين يستدعي قول ذي الرّمة :

إِلى لَوائِحَ مِن أَطلالِ أَحوِيَةٍ كَأَنَّهـا خِلَـلٌ مَوْشِيَّـةٌ قُشُـبُ

دِيارُ مَيَّةَ إِذ مَيٌّ تُساعِفُنـا وَلا يَرى مِثلَها عُجمٌ وَلا عَرَبُ ([2])

ويقول إيليّا الحاوي في تعليقه على هذين البيتين : " ولكنّه لم يـدع الأشـياء جاريـة علـى رسلها , بل إنّه استلّ النّقيض من النّقيض , وعرف الغبطة فيما يكون باعثاً للحـزن , وما يشفع بهذين البيتين الغنائيّة العذبة التي تندى منهما بما يوحي بالصّدق والمعاناة الفعليّـة . والإيقاع هنا فاقد الجلبة التي استولت عليه منذ المطلع. والشّعراء المعاصرون يعمـدون إلـى ذلك , بل إنّهم يتعمّدونه لأنّ من الأشخاص من يحملون خاصة النّموذج الّـذي ينتمـون إليـه ..... للنصر وجه بهيّ تجريديّ ووجه واقعيّ , هو وجه الخراب والتّدمير, وأصل الفـرح أن يُستدرّ للبناء والعمران , لقد وصل الشّاعر في النّهاية إلى غايته , وهي أن يعثر على صلات ممكنة بين الخراب والفرح " ([3]).

أما لبيد بن أبي ربيعة ومسعود بن عمرو الأزديّ أخو ذي الرّمة , فيتواصل أبو تمّام معهما في مقدمة قصيدته , إذ يقول:

مالي بِرَبعٍ مِنهُمُ مَعهودُ إِلاّ الأَسى وَعَزيمَةُ المَجلود

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 56 – 57 .
[2]) ذو الرمة , ***الديوان*** / 3.
[3]) أبو تمام – ***فنه ونفسيته من خلال شعره*** / 119 .

إِن كانَ مَسعودٌ سَقى أَطلالَهُم   سَبَلَ الشُؤونِ فَلَستُ مِن مَسعودِ

ظَعَنوا فَكانَ بُكايَ حَولاً بَعدَهُم   ثُمَّ ارعَوَيتُ وَذاكَ حُكمُ لَبيدِ([1])

إذ يفضّل أبو تمّام الصّبر وإيثار التّعزي والجلادة على فراق محبوبته , فهو لن يبكي طـويلاً كمـا فعل مسعود بن عمرو الأزديّ أخو ذي الرّمة الّذي قضى أيّامه في البكاء علـى الأطـلال , وإنّمـا يكتفي بالمدّة الّتي حدّدها لبيد في وصيّته لابنتيه :

تَمَنّى ابنَتايَ أَن يَعيشَ أَبوهُما   وَهَل أَنا إِلاّ مِن رَبيعَةَ أَو مُضَرْ

فَقوما فَقولا بِالَّذي قَد عَلِمتُما   وَلا تَخْمِشا وَجهاً وَلا تَحلِقا شَعَرْ

إِلى الحَولِ ثُمَّ اسمُ السّلامِ عَلَيْكُما   وَمَن يَبكِ حَوْلاً كامِلاً فَقَدْ اعتَذَرْ([2])

استيحاء معاني الشّعراء وألفاظهم

استوحى أبو تمّام معاني من تقدّمه من الشّعراء من مختلف العصور , ومن الأمثلة على ذلك قوله :

وَقَد قالَ إِمّا أَنْ أُغادِرَ بَعْدَها   عَظيماً وَإِمّا أَنْ أُغادَرَ أَعظُما([3])

فيبيّن أبو تمّام هيبة ممدوحه في قلوب أصحابه وأوليائه , وبذلهم الوسع فيما يكسبهم حمده, فيذكر استماتتهم في القتال , ومنهم بشر الّذي قال للممدوح : إما أن أهلك فأكون قد أبليـت العذر عندك , أو أكون عظيماً عندك , مستوحياً قول امرئ القيس :

فَقُلتُ لَهُ لا تَبكِ عَيْنُكَ إِنَّما   نُحاوِلُ مُلكاً أَو نَموتَ فَنُعذَرا([4])

فامرؤ القيس يسعى لاستعادة ملك أبيه , وهو من أجل ذلك تستوي عنده الحياة والموت, فقد ضمّن أبو تمّام بيت امرئ القيس وأعاد صياغته بتشكيل لغويّ جديد . فقول أبي تمّام

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 386 – 387 .
[2]) ابن ربيعة العامري, لبيد , ***الديوان***/ 74 – 75 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 240 .
[4]) امرؤ القيس , ***الديوان*** / 95 .

" إِمّا أَنْ أُغادَرَ بَعْدَهاعَظيماً وَإِمّا أَنْ أُغادَرَ أَعظُما" يماثل معنى قول امرئ القيس " إِنَّما نُحاوِلُ مُلكاً أَو نَموتَ فَنُعذَرا " , فبشر وامرؤ القيس تتساوى عندهما الحياة والموت من أجل تحقيق هدف كل منهما .

ويتواصل مع عروة بن الورد , فيقول :

رُبَّ خَفْضٍ تَحْتَ السُّرى وَغَناءٍ مِنْ عَناءٍ وَنَضْرَةٍ مِن شُحوبِ ([1])

فيرى أبو تمّام أنّ الدّعة ربّما تكون نتيجة التّعب , ويأتي الغناء من عناء , والنّضرة من شحوب, مستوحياً قول عروة بن الورد في مخاطبته زوجته حين لامته على كثرة تطوافه :

تَقولُ سُلَيمى لَو أَقَمْتَ لِسرِّنا وَلَم تَدرِ أَنّي لِلمُقامِ أُطَوِّفُ([2])

فالشاعران هنا متّفقان على المعنى وهو: أنّ الرّاحة لا تأتي الا نتيجة الجهد والتّعب , وهذا يؤكد أنّ قدرة الشّاعر على الإبداع والتّجديد لا تمنعانه من الإفادة من التّراث .

ويتواصل أبو تمّام مع لقيط بن يعمر ([3]), حيث يقول :

طَلَبُ المَجْدِ يورِثُ المَرْءَ خَبْلاً وَهُموماً تُقَضْقِضُ الحَيْزوما

فَتَراهُ وَهْوَ الخَلِيُّ شَجِيّاً وَتَراهُ وَهْوَ الصَّحيحُ سَقيما ([4])

فيرى أبو تمّام أنّ الكرم يتطلّب جهداً عظيماً , كما أن طلب المجد يتطلّب تضحيات عظيمة , فالكريم لا يكون كريماً إلاّ بعد تعب وجهد , مستوحياً معناه من قول لقيط بن يعمر :

لا يُطْعَمُ النَّومَ إِلاّ رَيْثَ يَبْعَثُهُ هَمٌّ يَكادُ سَنَاهُ يَقصمُ الضِّلَعا ([5])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 119 .

[2]) ابن الورد , عروة , ***الديوان*** /51 .

[3]) لقيطِ بن يَعمُر الإيادي.(? - 249 ق. هـ) شاعر جاهلي فحل، من أهل الحيرة، كان يحسن الفارسية واتصل بكسرى سابور (ذي الأكتاف)، فكان من كتّابه والمطلعين على أسرار دولته ومن مقدمي مترجميه. ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 195/1 .

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 227 – 228.

[5]) الإيادي , لقيط بن يعمر , ***الديوان*** 85 .

فعبارة أبي تمّام :" طَلَبُ المَجْدِ يورِثُ المَرْءَ خَبْلاً " معناها يماثل " لا يُطْعَمُ النَّومَ إلاّ رَيْثَ يَبْعَثُـهُ همّ ُ" , وعبارة أبي تمّام :" وَهُموماً تُقَضقِضُ الحَيَزوما" معناها يماثل عبارة لقيط " هَـمٌّ يَكـادُ سَنَاهُ يَقصِمُ الضِّلَعا " , فقد ضمّن نصّه معاني قول لقيط بعد أن حوّره , وأعاد صياغته بسياق لغويّ جديد.

ويمدح المعتصم لفتحه مدينة عمّوريّة , فيقول :

السَّيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ([1])

فأبو تمّام يكذّب تنبؤات المنجّمين بهزيمة المعتصم , فيجعل الميزان للقوّة مستوحياً قول الكميت ابن ثعلبة :

ولا تكثروا فيها الضّجاج فإنّهُ محا السّيفُ ما قال ابن دارة ([2])أجمَعا([3])

فدارة هجا بعض بني فزارة , فقتله رجل منهم , فبذلك محا العارالّذي ألحقه هجاؤه بهم تماماً كالسّيف الّذي كذّب تنبّؤات المنجّمين في فتح المعتصم عمّوريّة .

ويتواصل مع الفرزدق في قوله :

نَجمانِ شاءَ اللَّهُ أَلاّ يَطْلُعا إِلاّ ارتِدادَ الطَّرْفِ حَتّى يَأفِلا

إِنَّ الفَجيعَةَ بِالرِّياضِ نَواضِراً لأَجَلُّ مِنها بِالرِّياضِ ذَوابِلا

لَو يُنسَآنِ لَكانَ هَذا غارِباً لِلمَكرُماتِ وَكانَ هَذا كاهِلا

لَهفي عَلى تِلكَ الشّواهِدِ فيهِما لَو أُمهِلَتْ حَتّى تَكونَ شَمائِلا

إِنَّ الهِلالَ إِذا رَأَيتَ نُمُوَّهُ أَيقَنتَ أَن سَيَكونُ بَدراً كامِلا ([4])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 40 .

[2]) ابن دارة هو سالم بن دارة أحد بني عبد الله بن غطفان. ودارة أمه ينظر الميداني , ***مجمع الأمثـال***3 / 227 .

[3]) نفسه 3 /227 .

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 114 – 115 .

حيث يرثي أبو تمّام ابنيّ عبد الله بن طاهر متمنّياً أن يكون الأجل قد أمهلهما , لأنّهما يتمتعـــان بصفات تجعله يتوقع أن يكون لهما شأن عظيم , وهو في هذا المعنى يستوحي قول الفرزدق :

وجَفْنِ سِلاحٍ قَدْ رُزِئْتُ فلمْ أَنُحْ عَلَيْهِ ولمْ أَبْعَثْ عليهِ البَواكِيا

وفي جَوْفِهِ من دَارِمٍ ذُو حِفيظَةٍ لو أنَّ المنايا أَنْسَأَتْهُ لَيالِيا([1])

فقد اشترك الشّاعران في المعنى ولكنّهما اختلفا في التّركيب السّياقي , حيث أعاد أبو تمّام هـذا المعنى بعد أن حوّره بسياق جديد فيه زيادة على المعنى الأصلي .

استيحاء صور الشّعراء

واستوحى أبو تمّام صور الشّعراء القدماء , ومن الأمثلـة علـى ذلـك اسـتيحاؤه تصوير الشّعراء السّابقين الحروب , وبخاصّة تحليق الطّير فوق الجيوش المحاربة بحثـاً عن دماء القتلى وأجسادهم , ومنهم النّابغة الذّبياني , حيث قال :

إِذا ماغَزَوْا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوقَهُمْ عَصائِبُ طَيرٍ تَهتَدي بِعَصائِبِ ([2])

وقول أبي نواس :

تَتَأَيّا الطَيرُ غُدوَتَهُ ثِقَةً بِالشّبعِ مِن جَزَرِه ([3])

وقول مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطّيرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بِها فَهُنَّ يَتبَعْنَهُ في كُلِّ مُرْتَحَلِ ([4])

يتّضح من الأبيات السّابقة أنّ هؤلاء الشّعراء قد اشتركوا جميعاً بألفاظ معيّنة , كما يلاحظ توافقهم في المعنى والصّورة . ولا تفاضل فيما بينهم إلاّ من جهة حسن السّبك أو الإيجـاز في اللّفظ وتكثيف المعنى . واستوحى أبو تمّام هذه الصّور ولم يقنع بتجديد مسلم :

---

[1]) الصولي , ***أخبار أبي تمام*** / 220 لم أجده في الديوان .
[2]) ***الديوان*** / 10 .
[3]) ***الديوان*** / 311 .
[4]) ***الديوان*** / 12 .

وَقَد ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أَعلامِهِ ضُحىً   بِعِقْبانِ طَيْرٍ في الدِّماءِ نَواهِلِ

أَقامَتْ مَعَ الرّاياتِ حَتّى كَأَنَّها   مِنَ الجَيْشِ إلاّ أَنَّها لَم تُقاتِلِ([1])

فظلّ يحوّر فيها ويجدد ويعدّل , ويضيف إليها ألواناً من عقله, وألواناً من فنّه , حتّى أخرجها إخراجاً جديداً واضعاً عليها لمساته وقد أخضعها لمذهبه الفنّي , فجعل أعلام الجيش عقباناً , وحدد زمان هذه الصّورة بوقت الضّحى حين تخرج هذه الطّيور ساعية وراء رزقها , فتحلّق فوق الجيش , فتظلّله كأنّها رايات تخفق فوقه , ثم جعلها تنهل من دماء القتلى وتلازم الجيش وتختلط به وكأنّها أصبحت جزءاً منه , أو جنداً من جنوده , ولكنّها غريبة لا تقاتل معه .

ويقول في مدح المعتصم :

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتّى لَو أَنَّهُ   ثَناها لِقَبْضٍ لَم تُجِبْهُ أَنامِلُه([2])

ويصوّر أبو تمّام تأصّل عادة الكرم في نفس ممدوحه , مستوحياً صورة مسلم بن الوليد , إذ يقول :

لا يَستَطيعُ يَزيدٌ مِن طَبيعَتِهِ   عَنِ المَنِيَّةِ وَالمَعْروفِ إِحْجاما([3])

ولقد تفوق أبو تمّام هنا على مسلم بن الوليد , حيث اعتمد في تصويره على الضدّين " دعاها – لم تجبه " فضلا عن الحركة الّتي تسم صورة العطاء بينما تبدو السّمة التّقريرية واضحة في بيت مسلم .

ويصوّر أبو تمّام عجز الشّعر والنّثر عن وصف فتح عمّوريّة والإحاطة به لعظمته , فيقول :

فَتحُ الفُتوحِ تَعالى أَنْ يُحيطَ بِهِ   نَظْمٌ مِنَ الشّعرِ أَو نَثْرٌ مِنَ الخُطَبِ([4])

فهو يكاد يلتقي مع أشجع السّلميّ في تصويره عظمة ممدوحه المثال :

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 82 .

[2]) نفسه 3 / 29 .

[3])ابن الوليد , مسلم , ***الديوان*** /65 .

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 /45 .

وَما تَرَكَ المدّاحُ فيكَ مَقالَةً وَلا قالَ إلاّ دَونَ ما فيكَ قائِلُ([1])

وهذا ما يؤكّد أنّ صور أبي تمّام ولغته كانت في مجملها امتداداً لصور القدماء ولغتهم إلاّ أنه جدّد في بعضها وابتدع الآخر تبعاً لمعطيات عصره وثقافته .

توظيف قصص الشّعراء ومواقفهم

وظّف أبو تمّام بعض قصص من تقدّمه من الشّعراء , ومنهم عبيد بن الأبرص الّذي ورد على النّعمان بن المنذر في يوم بؤسه فقتله ([2]) , فيقول :

لَمّا أَظَلَّتْني غَمامُكَ أَصْبَحَتْ تِلْكَ الشُّهودُ عَلَيَّ وهيَ شُهودي

مِن بَعْدِ أَنْ ظَنّوا بأَنْ سَيَكونُ لي يَوْمٌ بِبَغْيِهِم كَيَوْمِ عَبيدِ ([3])

وهذان البيتان من قصيدة يمدح بها ابن أبي دؤاد , ويعتذر إليه مستشفعاً بخالد بن يزيد في تهمة ألصقت به مفادها: أنّه هجا مضر ونال منها , وذلك في معرض حديثه عن تفويت شماتة أعدائه به حينما أصغى ممدوحه إلى قوله في دفاعه عن نفسه , ممّا خيب أملهم ورجاءهم في أن يموت مقتولاً كما حدث لعبيد بن الأبرص .

ويستثمر أيضاً قصّة النّعمان مع النّابغة في مدح ابن أبي دؤاد , فيقول :

تَثَبّتْ إنَّ قَوْلاً كانَ زوراً أَتى النُّعْمانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيادِ ([4])

وَأَرَّثَ بَيْنَ حَيِّ بَني جُلاحٍ سَنا حَرْبٍ وَحَيِّ بَني مَصادِ ([5])

---

[1]) السلمي , أشجع , ***الديوان*** /248 .

[2]) ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 /259 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 396/1 .

[4]) زياد بن معاوية : هوالنابغَة الذبياني(? - 18 ق. هـ) ، كان حظياً عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب منه النعمان، ففر وغاب زمناً. ثم رضي عنه النعمان فعاد إليه ينظر ***الشعر والشعراء*** 1 /156 وابن سلام , ***طبقات فحول الشعراء***/56 .

[5]) أبو تمام, ***الديوان*** 1 / 378 .

فهو في هذين البيتين يستنكر أن يكون قد ذكره بسوء , ويدعو الممدوح أن يتثبّت من التّهمة التي ألصقت به , وذلك من خلال تمثّله بموقفٍ مشابه , وهو موقف النّابغة الذّبياني الّذي وُشي به عند النّعمان , فنظم اعتذارياته المشهورة , فبانت براءته وقُبل عذره .

وتواصل أبو تمّام مع عدد من الشّعراء المخضرمين ومنهم الأعشى , وذلك من خلال الإشارة إلى موقفه من المنافرة التي كانت بين عامر([1]) وعلقمة ([2]) , ليدلل على شجاعة ممدوحه , فيقول:

إِنْ كانَ بالوَرَعِ ابتنى القَوْمُ العُلى　　أَو بِالتُّقى صارالشَّريفُ شَريفا

فَعَلامَ قُدِّمَ وهْوَ زان عامرٌ　　وَأُميطَ عَلْقَمَةٌ وَ كانَ عَفيفا ؟! ([3])

وهو يمدح في هذه القصيدة الّتي أخذ منها البيتان أبا سعيد محمّد بن يوسف الثّغري , ويعرض بإنسان ولي الثّغور مكانه , وكان ناسكاً فهزم , ليؤكّد على أنّه ليس كلّ ناسك شجاعاً و يصلح لقيادة الجيوش , وتحقيق النّصر , فلو كان العلى والشّرف يكسبان بالورع , لما قدّم الأعشى عامر بن الطّفيل – وكان زانياً – على علقمة بن علاثة - وكان عفيفاً - حينما تنافرا إليه , فالأعشى قدمه لكونه الأشجع , والأجمع لخصال الكرم والشّرف .

ومن مواقف الشّعراء المشهورة الّتي وظّفها في شعره : حزن متمّم بن نويرة ([1]) على أخيه مالك , وحزن لبيد بن ربيعة العامريّ على أخيه أربد , ثم سلوّ كلّ منهما عن مصابه رغم ما ألمّ به من حزن :

---

[1]) عامر بن الطفيل بن مالك (0 7 ق. هـ - 11 هـ)، من بني عامر بن صعصعة.فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. أدرك الإسلام شيخاً فوفد على الرسول- صلى الله عليه وسلم - يريد الغدر به،فدعاه إلى الإسلام فاشترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة وأن يجعله ولي الأمر من بعده، فرده، فعاد حانقاً . ينظر ,البغدادي , ***خزانة الأدب***1 / 473 وابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 322/1 .

[2]) علقمة بن علاثة بن عوف الكلابي العامري (؟ -20 هـ / ؟- 640 م) صحابي , كان في الجاهلية من أشراف قومه. وفد على قيصر , ونافر عامر بن الطفيل , ثم أسلم . ينظر ابن حجر, ***الإصابة*** 2 /1288 والبغدادي , ***خزانة الأدب*** 3 / 492 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 /388 .

طامِنْ حَشاكَ أَبا الحُبابِ فَإِنَّها نُوَبٌ تَروحُ عَلى الأَنامِ وَتَغتَدي

فَلَقَدْ أَفاقَ مُتَمِّــمٌ عَن مالـِكٍ وَسَلا لَبيــدٌ قَبْلــَهُ عَــنْ أَرْبَــدِ ([2])

وقد وظّف أبو تمّام هذه المواقف في رثائه حجوة بن محمد الأزدي وأخاه قرم فـي تعزيتـة لذويـه بغرض التّخفيف عنهم في مصابهم .

واستثمر أبو تمّام قصّة نصيب مع بناته ([3]) ووظّفها في حديثه عن قصائده الّتي ستكسد إن لم يتداركها الممدوح بالقبول , فيقول :

وَلَو عَضَلْتَ عَنِ الأَكْفاءِ أَيِّمَهـا وَلَـم يَكُنْ لَكَ في أَطْهارِهـا أَرَبُ

كانَتْ بَناتِ نُصَيبٍ حينَ ضَنَّ بِها عَنِ المَوالي وَلَم تَحْفِل بِها العَرَبُ ([4])

ويوظّف مواقف لشعراء من عصور مختلفة في نصّ واحد , ومن ذلك قوله :

أَمَواقِفَ الفِتْيانِ تَطْوي لَم تَزُرْ شَرَفاً وَلَم تَنْدُب لَهُنَّ صَعيدا

أَذكَرتَنا المَلِكَ المُضَلَّلَ في الهَوى وَالأَعشَيَين وَطَرْفَةً وَلَبيدا

حَلّوا بِها عُقَدَ النَّسيبِ وَنَمنَموا مِن وَشْيِها حُلَلاً لَها وَقَصيدا ([5]).

لقد تذكر أبو تمّام امرأ القيس وطرفة بن العبد من الشّعراء الجاهليّين , والأعشيين ولبيد من الشّعراء المخضرمين في وقوفه على الأطلال الّتي بكاها في أول القصيدة , وكأنّما كان يساوره أن يترك هذا

---

[1]) مُتَمِّم بن نويرة اليربوعي : (? - 30 هـ) شاعر فحل، صحابي، من أشـراف قومـه، اشـتهر فـي الجاهلية والإسلام، وكان قصيراً أعور، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك .سكن المدينة في أيام عمـر بـن الخطاب وتزوج بها امرأة لم ترض أخلاقه لشدة حزنه على أخيه. ينظرابن حجر , ***الإصابة*** 3 / 1774 والأصفهاني , ***الأغاني*** 15 /303 .

[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 62/4 – 63 .

[3]) نُصيب بن رباح .(? - 108 هـ) مولى عبد العزيز بن مروان، مقدم في النسيب والمدائح، كان عبـداً أسوداً من سكان البادية , له شهرة ذائعة. وكانت له بنات، من لونه، امتنع عن تزويجهن للموالي ولـم يتزوجهن العرب، فقيل له: ما حال بناتك؟ فقال: صببت عليهن من جلدي فكسدن علي! قـال الثعـالبي: وصرن مثلاً للبنت يضن بها أبوها فلا يرضى من يخطبها ولا يرغب فيها من يرضاه لها. ينظـر ابـن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 /398 والأصفهاني , ***الأغاني*** 6 / 88 .

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 253/1 .

[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 407 – 408 .

البكاء , ويقلع عن هذه السّنة , ولكنّه لم يستجب لما خالجه , فبكاها , وتساءل بعد ذلك مندهشاً مـــن هذا الّذي خطر له , وهو الّذي قد أبدع في وصفها والوقوف عندها إبداعًا ذكّره بهـــؤلاء الـــشّعراء الّذين أشار إليهم , حيث زيّنوا بهذه الوقفات على الأطلال عقود نسيبهم , وحرّكت أشجانهم فأوحـــت لهم بالنّسيب .

توظيف شخصيّات الشّعراء

ووظف أبو تمّام شخصيات من تقدّمه من الشّعراء, ومن ذلك قوله :

عَــفٌّ الإِزارِ تَنالُ جارَةُ بَيْتـــِهِ   أَرْفادَهُ وَ تُجَــنَّبُ الأَرْفاثا

عَمْروُ بنُ كلثومِ بنِ مالك الّذي   تَرَكَ العُلا لِبـــَني أَبيهِ تُراثا

أَلــقى عليه نجارَهُ فَأتـــى بـــهِ   يَقْظانَ لا وَرَعاً وَلا مُلْتاثا ([1]).

ويعدّد أبو تمّام مآثر ممدوحه مالك بن طوق مستلهما شخصيّة عمرو بن كلثوم الّذي يعــد أسطورة في القوّة والبأس والنّبل قائل المعلقة المأثورة في الفخر , ليدلّل على شرف هـــذا الممدوح وعراقة نسبه وشجاعته الّذين ورثهم عن جده عمرو بن كلثـــوم فـــلا يجـــبن ولا يبطئ , فعمرو بن كلثوم هنا رمز إلى المعالي وخلودها , وهذه القيم مستفادة مـــن واقـــع العربي المتخايل عادة بنسبه وشجاعته .

ويوظف أبو تمّام زهير بن أبي سلمى , وممدوحه هرم بن سنان في عتابه لمحمد بن ســـعيد كاتب الحسن بن سهل , إذ يقول :

لَمْ تُسْقَ بعْدَ الهَوى ماءً على ظَمَأ   كَمـــاءِ قافِيَـــةٍ يَسْقيكَهـــا فَهِـــمُ

مِنْ كُلِّ بَيْتٍ يَكادُ المَيـــْتُ يَفْهَمـــُه   حُسْناً وَيَحْسُدُهُ القِرْطاسُ وَ القَلَمُ

مالي وَ مالَكَ شِبْهٌ حيـــنَ أُنْشِـــدُهُ   إلاّ زُهيْرٌ وَقَدْ أَ صْغى لَهُ هَرِمُ ([1]).

---

[1]) نفسه 1/ 318- 319 .

ليقيم شبهاً في علاقته بهذا الممدوح مع علاقة زهير بن أبي سلمى بهرم بن سنان, فهو يريد من خلال هذا التّشبيه أن ينبّه إلى أنّه رائد مذهب فنيّ جديد مثلما كان زهير صاحب منهج في حولياته, يستحق اهتمام الممدوح , ويستكثر عطاء ممدوحه ليكون جزلاً مثل عطاء هرم بن سنان لزهير .

كما يوظف أبو تمّام زهير بن أبي سلمى في المدح , فإنه يوظفه في الهجاء , ومن ذلك قوله هاجياً أحد أدعياء الشّعر :

وَما لَكَ بِالغَريبِ يَدٌ وَلَكِنْ　　　تَعاطيكَ الغَريبَ هُوَ الغَريبُ

فَلَو نُبِشَ المَقابِرُ عَن زُهَيرٍ　　　لَصَرَّحَ بِالعَويلِ وَبِالنَّحيبِ

مَتى كانَتْ قَوافيهِ عِيالاً　　　عَلى تَفْسيرِ بُقراطِ الطَّبيبِ ([2]).

ويتواصل مع شخصية الحطيئة في قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التّغلبيّ , ويستبطئه لتأخّره عنه بإرسال ما كان يأمله , حيث يقول :

لَم آتِها مِن أَيْ وَجْهٍ جِئتُها　　　إِلا حَسِبْتُ بُيوتَها أَجْداثا

بَلَدُ الفِلاحَةِ لَو أَتاها جَرْوَلٌ　　　أَعني الحُطَيئَةَ لاغتَدى حَرّاثا

تَصْدا بِها الأَفْهامُ بَعدَ صِقالِها　　　وَتَرُدُّ ذُكْرانَ العُقولِ إِناثا([3])

ففي هذه الأبيات يستعطف أبوتمّام الممدوح من خلال إشارته إلى ضيق مجالات الحياة في قريته , وقلة أهل الفضل فيها , حتّى إنّ شاعراً كبيراً مثل الحطيئة لو ولد فيها لما وجد مجالاً لتحقيق عبقريته وشاعريته إلاّ العمل بالفلاحة . وبخاصة أنّ من فيها لا يفهم الشّعر , فلا تشجيع على الإبداع فيها , فالعقول القويّة الجبّارة تتحول إلى ضعيفة عاجزة , لأنّها تمتنع عن ممارسة ما

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 490 .
[2]) نفسه 4 / 315 .
[3]) نفسه1 / 322 .

تستطيعه , فتوجّه إلى ممارسات صغيرة لا تلبث أن تصغر معها وتضعف , مما دفع أبا تمّام إلـــى الاغتراب , ممّا يبيّن أثر المكان والبيئة والثّقافة في شخصيّة الإنسان .

وفي مجال الفخر بشعره يستحضر جريرا , حيث يقول :

وَبَقيتُ لَولا أَنَّني في طَيِّئٍ عَلَمٌ لَقالَ النّاسُ أَنتَ جَريرُ ([1])

فهو يشبّه نفسه بجرير الّذي عُقد له لواء السّبق في الشّعر في العصر الأمويّ .

ويتواصل مع الفرزدق والأخطل في خاتمة قصيدته الّتي مدح بهـــا أحمـــد بـــن أبـــي دؤاد الإيـــاديّ , فيقول :

إِن يَعْجَبِ الأَقوامُ أَنّي عِندَكُمْ مِنْ دونِ ذي رَحِمٍ بِها مُتَوَصِّلِ

فَبَنو أُمَيَّةٍ الفَرَزدَقُ صِنوُهُمْ نَسَباً وَكانَ وِدادُهُم في الأَخْطَلِ ([2])

ويعجب بعض الشّعراء من مكانة أبي تمّام لدى الممدوح رغم أنّه من طيء وممدوحه مـــن إيـــاد , فيبيّن لهم أنّ هذا الأمر لاغرابة فيه , فبنو أمية كانوا يقربون الأخطل وهو مـــن ربيعـــة , وتركـــوا الفرزدق وهو مضريّ مثلهم .

ومن عادة أبي تمام في نهاية أغلب قصائده إطراء شعره والإشادة به , ومن ذلك قوله فـــي مدحة له:

خُذْها فَما نالَها بِنَقْصٍ مَوْتُ جَريرٍ وَلا البَعيثِ

وَكُنْ كَريماً تَجِدْ كَريماً في مَدْحِهِ يا أَبا المُغيثِ ([3])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 360 .

[2]) نفسه 3 /51 – 52 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 328/1 .

فهو ذكر كلاً من جرير والبعيث ([1]), ليبيّن لممدوحة أنّ منزلته لا تقل عن منزلة هذين الشّاعرين الكبيرين في الشّعر , ويستحقّ العطاء الجزيل عليها .

ويوظّف عروة بن حزام ([2]) والمرقّش الأكبر , ليرفع من شأن شعره , ويحطّ من شأن شاعريّة غريمه :

بُدِّلتَ بَعدَ تَأَنُّسٍ بِتَوَحُّشِ   وَأَعَرتَ سَمعَكَ مَن يُبَلِّغُ أَو يَشي

وَزَعَمتَ أَنّي ذاهِلٌ فَمَنِ الَّذي   يُدْعى خَليفَةَ عُروَةٍ وَمُرَقِّشِ ([3])

ويوظف كثيّرا في مدحه لأبي سعيد محمّد بن يوسف الثّغري , حيث يقول :

لَو يُفاجا رُكْنُ النَّسيبِ كَثيرٌ   بِمَعانيهِ خالَهُنَّ نَسيبا ([4])

ولقد عرف أبو تمّام بنزعته العقليّة , فهو يسعى دوما للعثور على أحوال التّوحد والتّوافق عبر التّفارق والتّفرق , حيث يعثر على صلة بين فن المدح والنّسيب , فيجعل المديح والغزل باباً واحداً في أبي سعيد الثّغري , ذاك أنّ مدحه يجدي لذّة ولا يكون عنتاً وتكلّفا , فهو حين يمدحه يغتبط ويلتذّ , وكأنه ينظم غزلاً. ويمضي في استنفاذ أحوال المعنى , فيقول لو أنّ كثيراً وقع على هذا المدح لخاله غزلاً, لا مدحاً.

وهكذا راح أبو تمّام يصول ويجول بين الأخبار القديمة ويقلّب الدّواوين , ولم يستأثر بجيل معيّن , ولا عصر محدّد بل امتدّت جولته إلى كلّ العصور الأدبيّة السّابقة له , والمدارس الشّعريّة

---

[1]) البعيث المجاشعي(? - 134 هـ) خداش بن بشر بن خالد، أبو زيد التميمي.خطيب، شاعر، من أهل البصرة.وكانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت نحو أربعين سنة. ينظر خزانة الأدب , ***البغدادي*** 1 / 310 وابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 / 488 .

[2]) عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة (? - 30 هـ /) شاعر من متيّمي العرب، كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) فخطبها، فطلبت أمها مهراً لا قدرة له عليه فرحل إلى عم له في اليمن، وعاد فإذا هي قد تزوجت . ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 2 /607 والأصفهاني , الأغاني 4 / 174

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 /382 .

[4]) نفسه 1/ 161 .

المختلفة ينهل من أخبارها ويتحاور مع شعرائها وأدبائها . فأفاد منهم فنّه وأثــراه وبخاصّــة حــين مزجه بفكر عصره وثقافته الجديدة .

أشخاص ضربت بهم الأمثال بصفات معيّنة

يتواصل أبو تمّام مع أشخاص عرفوا بسمات معيّنة ضــربت فــيهم الأمثــال أو اشــتهروا بقصص معيّنة ومن ذلك , تشبيهه ممدوحه الحسن بن وهب بمجموعــة مــن رجــال الــشّعر والأدب , فيقول :

وَإِذا الرِّجالُ تَساجَلوا في مَشهَدٍ فَمُريحُ رَأيٍ مِنهُمُ أَو مُعْزِبُ

وَإِذا رَأَيــتُكَ وَالــكَــلامُ لآلِــئٌ تُومٌ فَبِكْرٌ فــي النِّظــامِ وَثَيِّــبُ

فَكَأَنَّ قُسّاً ([1]) **في عُكاظِ يَخْطُبُ وَكَأَنَّ لَيْلى الأَخيَلِيَّةَ** ([2]) **تَنْدُبُ**

وَكَثِيرَ عَزَّةَ يَومَ بَينٍ يَنْسُبُ وَابنَ المُقَفَّعِ في اليَتيمَةِ يُسْهِبُ ([3])

فممدوح أبي تمّام يتميّز بالفصاحة والبلاغة والحكمة والزّهد , فإذا ما اختلف الرّجال بالــرّأي , فإنّه يأتي بالرّأي المصيب المؤثّر بالنّفس, فإذا تكلّم ظننته قسّ بن ساعدة, الّذي كان يُحكم له بالسّبق فــي خطابته , فيقال "**أبلغ من قسّ** " ([4]) , وليلى الأخيلية الّتي كان يحكم لها توبة بن الحمير السّبق فــي مراثيها , وكثيّرعزّة الّذي يحرز السّبق في النّسيب , وابن المقفّع في كتابه اليتيمة المنقطع النّظير.

ويوظّف في مدحه أحمد بن أبي دؤاد الإيادي قسّ بن ساعدة , فيقول :

---

[1]) قس بن ساعدة (? - 23 ق. هـ / ? - 600 م).خطيب العرب وشــاعرها وحليمهــا وحكيمهــا فــي عصره، كان أسقف نجران يقال أنه أول من علا على شرفٍ وخطب عليه، وأول من قال: أما بعد، وكان مؤمناً بالله والبعث . ينظر الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 169 .

[2]) ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد بن كعب الأخيلية (? - 80 هـ / ? - 700 م) من بني عامر بن صعصعة. شاعرة فصيحة ذكية جميلة. اشتهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير. وطبقتها فــي الــشعرتلي طبقة الخنساء..ينظر ابن قتيبة ,***الشعر والشعراء*** *1* /439 والبكري , ***سمط اللآلي*** /119 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 1/ 134 .

[4]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 /169 .

وَأَجَلَّ مِن قُسٍّ إِذا اِستَنْطَقْتَهُ   رَأْياً وَأَلْطَفَ في الأُمورِ وَأَجْزَلِ ([1])

فأبو تمّام يمدح هذا الممدوح بعدة صفات منها الفصاحة , والبلاغة , والرّأي السّديد , وحسن الإدارة , حتّى إنّه جعله يتفوّق على قسّ بن ساعدة في هذه الأمور .

ويوظّف أيضاً سحبان بن وائل([2]) وباقلاً([3]) في مدحة , فيقول :

جازوا خَلائِقَ قَد تَيَقَّنَتِ العُلى   كُلَّ التَيَقُّنِ أَنَّهُنَّ نُجومُها

لَو أَنَّ باقِلاً المُفَهَّهِ يَنبَري   في مَدْحِها سَهُلَتْ عَلَيهِ حُزومُها

وَلَوْ أَنَّ سَحبانَ المُفَوَّهَ يَنتَحي   في ذَمِّها لَم يَدْرِ كَيفَ يَذيمُها ([4])

فهو حين يمدح عدداً من الشّخصيات التي تحتل مكاناً مرموقاً , يعدّد مآثرهم الّتي يعجز سحبان بن وائل المشهور بالفصاحة والبلاغة عن الإحاطة بها, كما أنّها تنطق باقلا المشهور بالعيّ فيعدّدها .

ويوظف مجموعة من الأشخاص ضربت فيهم الأمثال في مجالات مختلفة , وذلك في قوله:

قُلْ لابنِ طَوْقٍ رَحى سَعْدٍ إِذا خَبَطَتْ   نَوائِبُ الدَّهْرِ أَعْلاها وَأَسفَلَها

أَصبَحْتَ حاتِمَها جوداً وَأَحْنَفَها   حِلْماً وَكَيِّسَها عِلْماً وَدَغْفَلَها ([5])

فالممدوح كما يرى أبو تمّام عماد قومه , وعظيم الشّأن فيهم فهو يحتلّ منزلة ككلّ من زيد بن الكيّس النّمري ودغفل الذّهلي الشّيباني عالمي العرب بالأنساب حتى قيل عنهما في الأمثال "**أفصح من العضين** " ([6]) , والأحنف بن قيس سيّد تميم الّذي ضرب به المثل بالحلم , فيقال "**أحلم من الأحنف** "([1]) .وحاتم الطّائي الّذي ضرب به المثل في الجود والكرم. فيقال " **أجود من حاتم** "([2]).

---

1) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 49 .

2) سحبان بن وائل: قيل في الأمثال "أنطق من سحبان " ينظر **مجمع الأمثال** 3 /348

3) باقل : هو رجل من ربيعة , بلغ من عيه أنه اشترى ظبياً بأحد عشردرهماً , فمر بقوم فقالوا له :بكم اشتريت الظبي؟ فمد يده ودلع لسانه يريد أحد عشر , فشرد الظبي وكان تحت إبطه . فقيل : " أعيا من باقل" ينظر **مجمع الأمثال** 2 / 320 .

4) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 274 – 275 .

5) نفسه 3 / 47.

6) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 / 388 .

وفي وصف رحلة له إلى ممدوحه , فإنّه يوظّف حلم الأحنف بن قيس مرة أخرى , فيقــول :

أَمَّتكَ وَالشَيطانُ يَرهَبُ ظِلَّها　　　فَأَتَتكَ وَهْيَ تَفوقُ حِلمَ الأَحنَفِ (3)

إذ يصف السّفينة التي أقلته إلى ممدوحه , فهي عظيمة وسريعة المرور, فإذا ما هبت الرّيح , فإنّهــا تضطرب حتى يرهب ظلّها الشّيطان , فإذا ما سكنت الرّيح, وتعقّبتها الصبّا , جرت السّفينة معهــا بلين ورفق يفوقان حلم الأحنف .

وحينما يشيد بشاعريّة صديقه الشّاعر عليّ بن الجهم , فإنّه يبالغ فــي الإطــراء علـــى شاعريّته , فيجعله يفوق خالد بن صفوان بلاغة وفصاحة , حتى إنّ السّامع يخال أنّ خالداً تعلــم منه بلاغته وفصاحته , فيقول :

أَو قَدَّمَتكَ السنُّ خِلتُ بِأَنَّهُ　　　مِن لَفظِكَ اشتُقَّت بَلاغَةُ خالِدِ (4)

وعندما يمدح أحمد بن المعتصم , فإنه يتواصل مع كلّ من عمرو بن معدي كرب والقاضي إياس بن معاوية وحاتم الطائي , فيقول :

إِقدامَ عَمرٍو في سَماحَةِ حاتِمٍ　　　في حِلمِ أَحنَفَ في ذَكاءِ إِياسِ (5)

فهو يصف ممدوحه بالشّجاعة والذّكاء والحلم والسّماحة , فهو في شجاعته مساوٍ لعمر بــن معــدي كرب (6) ,وفي سماحته مساوٍ لحاتم الطّائي, وفي حلمه مساو للأحنف بن قيس , وفي ذكائه مساوٍ

للقاضي إياس بن معاوية , حيث يقال "**أزكى من إياس** " (1).

---

1)الأحنف بن قيس اسمه صخر, وكنيته :أبو بحرمن بني تميم الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 337 . والزمخشري , ***المستقصى من أمثال العرب*** 1 / 273 .

2) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 282 .

3) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 398 .

4) نفسه 1/ 403 .

5) نفسه 2 / 249 .

6) عمرو بن معدي كرب الزَبيدي(ق. هــ - 21 هــ / 547 – 642 م) .فارس اليمن، شهد اليرموك،وذهبت فيها إحدى عينيه , وشهد القادسية.وكان عصيّ النفس، أبيّها، فيه قسوة الجاهلية،وأخبار شجاعته كثيرة وعرف بــسيفه الصمـــصامة . ينظرابن حجر , ***الإصابة*** 2 / 1360 , والبغدادي , ***خزانة الأدب*** 3 / 467 .

ويوظّف من علماء اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي , ليعرض بغباء مهجوه عيّاش بن لهيعة فيقول :

فَلَو نُشِرَ الخَليلُ لَهُ لَعَفَّتْ رَزاياهُ عَلى فِطَنِ الخَليلِ ([2])

ويوظف مسيلمة الكذاب في هجائه موسى بن إبراهيم الرافقي , فيقول :

نَبَذوا بِكَذّابٍ مُسَيلَمَةً فَقَد وَهِموا وَجاروا بَل أَنا الكَذّابُ

هَتَّكتُ ديني فَاِستَتَرتُ بِتَوبَةٍ فَأَنا المُقِرُّ بِذَنبِهِ التَوّابُ ([3])

فيشير أبو تمام إلى مسيلمة الكذّاب ([4]) , ليبين ندمه على مدح موسى , فهو يؤنب نفسه حتى إنه يستحق أن يلقب بلقب دون الكذّاب , وأن ينبذ أكثر مما نبذ مسيلمة , فمدحه له بمثابة هتكه لستر الدّين.

وحينما دحر جيش المعتصم بابك الخرّميّ , واضطرّ إلى الفرار استوحى قصّة أبي سمّال الأسديّ المشهور بقسمه حينما ضلت ناقته , حيث قال : " أيمنك إن لم تردّها عليّ لا عبدتك " فوجدها وقد نشب حبلها في شجرة , فقال :" علم ربي أنّها مني إصري ! " ([5]) , فيقول :

وَكَذاكَ ما تَنْجَرُّ أَذْيالُ الوَغى إلاّ غَداةَ تَشَمُّرِ الأَذيالِ

لَمّا رَآهُمْ بابَكٌ دونَ المُنى هَجَرَ الغَوايَةَ بَعدَ طولِ وِصالِ

تَخِذَ الفِرارَ أَخاً وَأَيقَنَ أَنَّهُ صِرِّيُّ عَزْمٍ مِنْ أَبي سَمّالِ ([6])

---

[1]) وهو إياس بن معاوية بن قرّة المزني , كان قاضياً فائقاً زكناً , تولّى قضاء البصرة سنة لعمر بن عبد العزيز الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 /82 .

[2]) أبو تمام , ***الديوان***4 /416 .

[3]) نفسه 4 /312 .

[4]) يقال "أكذب من مسيلمة " الميداني , ***مجمع الأمثال*** 3 / 65 .

[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 /136 و"إنها مني لصري "يقوله الرّجل يعزم على الأمر عزيمة مؤكدة لا يثنيه عنها شيء الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 /84 .

[6]) أبوتمام, ***الديوان*** 3 /136.

فوظّف أبو تمّام هذه القصّة , ليشبّه عزم بابك الخرّميّ حينما لم يستطع مواجهـة جـيش المعتـصم وعانده , واضطّر إلى الفرار وأصر عليه , بأنّه دون عزم أبي سمّال وأنّ الّذي حدث له مـن فعلـه الّذي أصرّ عليه .

ويوظّف عمرو الزّاهد ليعرّض بشخصين أفّاكين , حظيا بمنزلة عالية عند ممدوحه محمّـد ابن يوسف , فيقول :

شَخصانِ أَفّاكانِ قيلُهُما الخَنا حَلاّ لَدَيْكَ مَحَلَّ عَمْرِو الزّاهدِ ([1])

فتوظيفه شخصيّة عمرو الزّاهد هدفه الحطّ من منزلة هذين الشّخصين اللّذين احتلا منزلة مرموقة لا يستحقّانها عند الممدوح , وتشبيهه نفسه به ليسترعي انتباه الممدوح إلى أنّه أحقّ بهذه المنزلة منهما.

ومن الزّهاد أيضا يوظف أويس القرنيّ ([2]) الّذي لم يكن يلبس إلا الخشن الدّون , وذلك في قوله :

مِنْ شُنُعِ الخِلْعَةِ الغَريبَةِ إنَّ المَجْدَ مَجْدُ الرِّياشِ في شُنُعِهْ

لَو أَنَّها جُلِّلَتْ أُوَيْساً لَقَدْ اَسرَعَتِ الكِبرِياءُ في وَرَعِهْ ([3])

فيصف أبو تمّام جمال الخلعة الّتي أهداها إليه ممدوحه , فلو لبّسها أويساً وهو من هو في الزّهـد , لتداخله الكبر ولترك زهده .

أما البراض ([1]) الّذي اشتهر بين النّاس بفتكه , حتّى قيل : "**أفتك من البراض** " ([2]) , فقـد وظفه أبو تمّام في مدح أحمد بن أبي دؤاد , فيقول :

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2/ 151 .

[2]) أويس القرني (؟- 37 هـ) أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بـن ناجية ابن مراد: أحد النساك العباد المقدمين، من سادات التابعين.ينظر الجرجاني , ***الكامل فـي ضـعفاء الرجال*** 1 / 412 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 /346.

صَلَتانٌ أَعداؤُهُ حَيثُ حَلّوا   في حَديثٍ مِن عَزمِهِ مُستَفاضِ

كُلَّ يَومٍ لَهُ بِصَرفِ اللَّيالي   فَتكَةٌ مِثلُ فَتكَةِ البَرّاضِ ([3])

فقد ذكر أبو تمّام البراض ليضرب مثلا على صولة ممدوحه على صروف الزّمان وفتكه بها .

ووظف أيضاً أشهر دليلين وهما الدُّعميص ([4]) ورافع ([5]) في قوله :

يُجاوِزُ الخَفضَ وَأَفياءَهُ   إِلى السُّرى وَالسَّفَرِ الشّاسِعِ

أَدَلُّ بِالقَفرِ وَأَهدى لَهُ   مِنَ الدُّعَيميصِ وَمِن رافِعِ ([6])

وحين يمدح أبو تمّام نوح بن عمرو , فإنّه يشير إلى هدايته , وإلى معرفته بالصّحراء معرفة تفوق معرفة أشهر دليلين عرفتهما العرب وهما الدّعميص حيث يقال "**أدلّ من دعيميص الرّمل** "([7]).

توظيف الأمثال في شعر أبي تمّام

تعدّ الأمثال , لوناً من ألوان الأدب , وفناً من فنونه الرائعة في حسن التصوير, وبلاغة التّأثير, وإيجاز التّعبير, وصدق الحديث عن الأحداث , ودقة الرّسم لما يجري على مسرح الحياة في العصور المختلفة ([8]).

وهي بمثابة تخطيط بياني لفن القول الموجز الذي يهدف إلى سرعة التذكير, وعمق التفكير, دون زلزلة أو خلخلة أو اضطراب . وقد أصبحت الأمثال وسيلة من وسائل القياس بين المعاني

---

[1]) البراض بن قيس الكناني قتل عروة الرحال في غير حب فجر ذلك حرب الفجار التي كانت بين قيس وكنانة وشهدتها قريش ورئيسهاحرب بن أمية , ويقال إن النبي _صلى الله عليه وسلم – حضرها وهو ابن عشرين سنة ينظر أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 312 و الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 / 385 .

[2]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 / 385 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 2/ 311 – 312.

[4]) الدعميص الملقب بدعموص الرمل هو عبد أسود داهية من الأدلاء , وما كان يدخل بادية وبار غيره . ينظرابن الأثير , ***البداية والنهاية*** 2 /419 .

[5]) رافع :هو رافع بن عميرة بن جابر دليل خالد بن الوليد من العراق إلى الشام على السماوة . ينظر ابن حزم , ***جمهرة أنساب العرب*** /402 .

[6]) أبو تمام , ***الديوان*** 2/ 356.

[7]) الميداني ,***مجمع الأمثال*** 1 /416 .

[8]) ينظر خفاجي , محمد عبد المنعم , ***دراسات في النقد الأدبي*** / 119 .

, ومصدراً من مصادر الرّبط بين الماضي والحاضر, تصل بين الأشباه والنّظائر فـــي مختلــف الأزمـــنة , ولهذا يلجأ إليها الأدباء والشّعراء فيستمدون من أضوائها , وينسجون على منوالهـــا, ويزيّنون بها آدابهم وأشعارهم , ويشعلون مصابيحها كي تضيء أمامهم معالم الطّريق .والأمثال المنقولة عن العرب لون فريد من ألوان الأدب عرفته العربيّة مذ كانت , وألفه بنوها مذ دخلـــوا أبواب الحياة . والدّارس لتلك الأمثال يحسّ أنّها صور شاعرة رسمت معالم واضحة لكثير مـــن الأحداث السّياسية والاجتماعيّة الموروثة ([1]).

ويستوحي أبو تمّام أمثالاً عربيّة قديمة , وحكمًا مأثورة , ويربطها بالنّص , ويحكم لحمتهـــا بهدف تعضيد الفكرة ومؤازرتها , ومن ذلك إيراده المثل القائل : "**ويل الـــشّجي مـــن الخلـــيّ** " ([2]) حيث يقول :

أَيا وَيْلَ الشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ وَبالي الرَّبعِ مِن إِحدى بَلِيِّ ([3])

وهو يوظّف هذا المثل في وقفة طلليّة , مبينا اللّوم والتعنيف اللّذين يتعرض لهما بسبب حزنه علـــى فراق محبوبته وشوقه إليها , ليدلل على أن هؤلاء اللّوام لايشعرون بحاله , فمن لايعـــاني لا يـــشعر بحال من يعاني .

ويوظّف أيضاً المثل المشهور : " **اتّسع الخرق على الرّاقع**" ([4]) وذلك في هجائـــه عبـــد الله الكاتب , فيقول :

يـــا عَمْـــرُو قـُـلْ لِـــلقَمَرِ الطّالِــــعِ اتَّسَعَ الخَرْقُ عَلى الرّاقِعِ

يا فِتْنَـــةَ النّاظِـــرِ قَدْ صِرْتَ فـــي فِعْـــلِكَ هَـــذا فِتْنَـــةَ السّامِـــعِ

ما كانَ في المَخْدَعِ مِنْ أَمرِكُمْ فَإِنَّهُ في المَسْجِدِ الجامِعِ ([1])

---

[1]) ينظر خفاجي , محمد عبد المنعم , ***دراسات في النقد الأدبي*** / 119 – 122 .

[2]) الميداني , **مجمع الأمثال** 3 / 363 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 351 .

[4]) الزمخشري , ***المستقصى من أمثال العرب 1*** / 35 .

حيث يستعين أبو تمّام بهذا المثل , ليبيّن أعمال المهجوّ المشينة الّتي ذاعت وانتشرت في كلّ مكـــان حتّى في الجوامع , فلم يعد أمامه مجال كي يسترها أو يبرّرها .

وحينما يصف إيقاع ممدوحه محمد بن يوسف بالخرّميّة , فإنّه يستثمر المثل القائل : " **آخر البزّ على القعود**" ([2]) في قوله :

وَهِرْجاماً بَطَشْتَ بِهِ فَقُلْنـــا خِيارُ البَزِّ كانَ عَلى القَــعودِ ([3])

وهذا المثل ضربه لفساد أحوال بابك الخرّمي , فأراد أنّ هرجاماً كان أشرف من بابك , فبطش بـــه الممدوح , فانقطعت بقتله مادّة الأعداء, فضربه مثلاً لخيار البزّ.

واستوحى المثل القائل "**كالمستغيث من الرّمضاء بالنار**" ([4]) , في قوله متغزّلاً :

بِعَقلِيَ هَذا صِرْتُ أُحدوثَةَ الرَّكبِ وَقَد كُنتُ في سَلْمٍ فَأَصبَحتُ في حَرْبِ

لَعَمرٌو مَعَ الرَمضاءِ وَالنارُ تَلتَظي أَرَقُّ وَأَحفــى مِنــكَ فــي ساعَـــةِ الكـــَرْبِ ([5])

فأبو تمّام أورد هذا المثل , ليدلل على قسوة محبوبه عليه .

كما وظّف المثل القائل " **أنج سعد فقد هلك سعيد** " ([6]) في قوله مادحا نصر بن منصور ابن بسام([7]) :

بِسَيْبِ أَبي العَبّاسِ بُدِّلَ أَزْلُنا بِخَفضٍ وَصِرْنا بَعدَ جَزْرٍ إِلى مَــدِّ

غَنِيْتُ بِهِ عَمَّن سِواهُ وَحُوِّلَتْ عِجافُ رِكابي عَن سُعَيْدٍ إِلى سَعْدِ ([8])

---

1) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 386 .
2) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 120 .
3) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 40 .
4) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 3 / 30 .
5) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 170.
6) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 3 /322 .
7) نصر بن منصور بن بسام قدم دمشق وكان المعتصم بها وكان الفضل بن مروان وزير المعتصم يتخوفه أن يلي وزارة المعتصم ينظر ابن عساكر, ***تاريخ مدينة دمشق*** - 62 / 49 .
8) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 64-65 .

حيث استثمر هذا المثل ليشير إلى تبدّل حاله عند هذا الممدوح , إذ تحوّل بعد هلكة إلى نجاة , مما جعله يترك مدح سواه منصرفاً إلى مدحه .

وسعيد هنا رمز للهلاك والموت وسعد رمز للخير والعطاء , والأمثال على هذه الصورة تعكس الانفعالات النّفسية لقائلها ورؤيته الفنيّة , وهو هنا أحدث في المثل تحويراً يتلاءم مع موقفه النفسيّ الشّعوريّ مستغلاً التّضاد بين سعيد وسعيد فيما يرمزان إليه .

كما يستوحي المثل القائل : " **طارت به عنقاء مغرب**" ([1]) , وعنقاء مغرب طائر خرافيّ ضخم, يضرب به المثل في الإغراب والبعد , وذلك في مدح الحسن بن وهب الّذي أهدى إليه غلاماً , حيث يقول :

حَمْـدٌ حُبِيـتَ بِـهِ وَأَجْـرٌ حَلَّقَـت　　　مِنْ دونِهِ عَنْقاءُ لَيْلٍ مُغْرِبُ ([2])

ويقول أبو تمّام إن هذا الغلام جلب إليك الحمد والشّكر , لما أهديته إليّ , ولكن ليس لك في إهدائه أجر , لأنّك أهديته إليّ لأسومه الحرام , فكأنّ أجره طارت به عنقاء مغرب .

وفي مدح أبي تمّام المعتصم , يذكر فتح الخرّمية ويشيد بالمعتصم , يوظّف المثل القائل : " **آخر الدّواء الكي** " أو "**لكلّ داء دواء**"([3]) :

فَرَماهُ بِالأَفْشينِ بِالنَّجمِ الَّذي　　　صَدَعَ الدُّجى صَدْعَ الرِّداءِ البالي

لاقاهُ بِالكاوي العَنيفِ بِدائِهِ　　　لَمّا رَآهُ لَمْ يُفِقْ بِالطّالي ([4])

فقد استمدّ أبو تمّام هذه الصّورة من البيئة , فالمصاب بالجرب يداوى بالطّلاء والمرهم , فإن لم يُجد ذلك , فإنّه يداوى بآخرالدّواء وهوالكيّ - كما ورد في المثل -, والأفشين ([1]) كان عامل الكيّ أي الدواء الّذي قضى على بابك الّذي كان بمثابة المرض بالنسبة للدّولة العبّاسيّة .

---

[1]) الزمخشري , ***المستقصى من أمثال العرب*** 2/ 150 والميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 /233 .

[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 1/ 136 .

[3]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 3 /197 .

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 134 -135 .

ويوظّف المثل القائل: "**أجور من قاضي سدوم** " ([2]) -وهذا المثل ضرب في قاضٍ من سدوم اشتهر بظلمه- , وذلك حين يصف سوء مطلبه في نيسابور , فيشكو الدّهر :

فَإِنْ أَكُ قَد حَلَلتُ بِدارِ هونٍ صَبَوْتُ بِها فَقَد يَصْبو الحَليمُ

أَلومُكَ لا أَلومُ سِواكَ دَهْراً قَضى لي بِالَّذي يَقضي سَدومُ ([3])

يعدّ أبو تمّام نفسه بأنّه صبا, لأنه ترك وطنه وذهب إلى نيسابور, فيلوم الدّهر الّذي اضطرّه أن يذهب إلى نيسابور , حيث كان حكمه جائراً كحكم قاضي سدوم .

وفي قصيدة فتح عمّوريّة يتواصل أبو تمّام مع المثل القائل " **أعدى من الجرب** " ([4]) , وذلك في قوله :

لَمّا رَأَتْ أُخْتَها بِالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كانَ الخَرابُ لَها أَعْدى مِنَ الجَرَبِ ([5])

فوظّف هذا المثل , ليدلّل على أنّ فتح المعتصم لمدينة أنقرة كان سبباً في فتحه مدينة عمّوريّة , إذ إن فتحه لها كان بمثابة العدوى السّريعة .

ويوظّف المثل " **منك أنفك وإن كان أجدع** " ([6]) , وهذا المثل يضرب لمن يلزمك خيره وشره , حيث يقول :

لَهُ مَنْظَرٌ في العَيْنِ أَبيَضُ ناصِعٌ وَلَكِنَّهُ فِي القَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ

---

[1]) الأفشين : أمير فارسي اسمه خيذر بن كاوس , أصبح قائداً مشهوراً في خلافة المعتصم , حيث تولى قيادة الحملة العسكرية ضد فتنة الخرمية , وكان له دور فعال في حملة المعتصم على عمورية سنة 223 هـ , ولكن الأفشين لم يلبث أن حرض مازيار على العصيان في طبرستان حقداً على نفوذ عبد الله بن طاهر هناك , وبعد قمع عصيان مازيار اتهم الأفشين باشتراكه معه في الفتنة , وعقدت له محاكمة تاريخية مشهورة حبس بعدها في سامراء حتى أمر المعتصم بقطع قوته فمات جوعاً سنة 226 هـ ينظر الطبري , تاريخ الطبري - ***تاريخ الأمم والملوك*** - 5 / 210 - 268 والأتابكي , ***النجوم الزاهرة*** 2/ 240.

[2]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 /293 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 538 .

[4]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2/ 324.

[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 52.

[6]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 3 / 259 .

وَنَحنُ نُزَجّيهِ عَلى الكُرْهِ وَالرَّضا وَأَنفُ الفَتى مِنْ وَجهِهِ وَهْوَ أَجدَعُ ([1])

ووظّف أبو تمّام المثل السّابق عند وصفه الشّيب , حيث يقول: إنّا راضون به , لأنّه لابدّ منـــه وإن كنّا نبغضه , مثل الأنف الأجدع , يعلم الفتى أنّه من وجهه ولا حيلة له إلاّ الرّضا به .

ويوظّف المثل القائل "**قد يقدم العير من ذعر على الأسد** "([2]), ذلك أن العير إذا شمّ رائحـــة الأسد وثب عليه فزعاً , وقد جاء بهذا المثل حين هجا أحد الشّعراء :

لا تَنتَسِبْ قَد حَوَيتَ الفَخْرَ مُجتَمِعاً وَالذِّكرَ إِذ صِرْتَ مَنْسوباً إِلى حَسَدي

أَطَلْتَ رَوْعَكَ حَتّى صِرْتَ لي غَرَضاً قَد يُقْدِمُ العَيْرُ مِن ذُعْرٍ عَلى الأَسَدِ([3])

إن هذا الشّاعر كان يحسد أبا تمّام ويهجوه , ليحطّ من منزلته الشّعريه , لشعوره أنّه يتفوّق عليـــه, فاستوحى أبو تمّام هذا المثل ليشير إلى ضآلة هذا الشّاعر ورفعة شأنه , فالشّاعر بمثابة العير بـــين الشّعراء وأبو تمّام بمثابة الأسد .

وقد يكتفي أبو تمّام أحياناً بالإشارة إلى المثل من خلال ذكر بعض ألفاظه الموحية به ومـــن ذلك إشارته للمثل القائل" **لليدين والفم** " ([4]) الذي يضرب عند الشّماتة بسقوط إنـــسان , فقـــد أورد بعضه وحرف بعضه, ولكن ما جاء به كان موحيا بالمثل كله, فيقول :

وَأَيّامِ الكُلابِ غَداةَ هَزَّتْ مُراريَيْنِ فيها مُتْرَفَيْنِ

أَخٌ تَرَكَتْ أَسِنَّتُهُ أَخاهُ تَليلاً لِلجَبينِ وَلِليَدَيْنِ ([5])

لقد أورد هذا المثل في قصيدة يمدح بها إسحق بن إبراهيم , عندما وصف بطولته في حربه التي أنست ما سبقها من وقعات , حتّى إنّها أنست النّاس أيام الكلاب , وبخاصّة الّتـــي كانـــت بـــين

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 /324 .
[2]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 /442 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 351 .
[4]) الزمخشري , ***المستقصى من أمثال العرب*** 2/ 293 ***والميداني مجمع الأمثال*** 3 /122.
[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 302.

شرحبيل وسلمة أولاد الحارث بن عمرو آكل المرار اللّذين تنازعا على الملك بعد مــوت أبيهمــا , وجعل كلّ واحد في رأس أخيه مئة بعير , فلما جد القتال قتل أبو حنش التّغلبي شرحبيل . ([1]) ممّــا أدى إلى شماتة أعدائهما بهما , فجاءت إشارة أبي تمّام إلى هذا المثل , لبيان شماتة الأعداء بهــذين الأخوين .

وقد يوظف أحياناً أقوالاً تذهب مذاهب الأمثال "([2]) كــ " ضــربة لازم "([3]) , وذلــك فــي رثائه لهاشم بن عبد الملك الخزاعي :

أَهاشِمُ صارَ الدَّمعُ ضَربَةَ لازِمٍ وَما كانَ لَولا أَنتَ ضَربَةَ لازِمِ ([4])

فقد وظّف هذا المثل ليبيّن فداحة المصاب بفقد هاشم , فهاشم شخص عزيز وصاحب فضائل وعالي المنزلة , مما يجعل من حوله يبكونه رغماً عنهم , وما كان ذلك ليكون لولا أن المفقود هو هاشم .

ويوظّف المثل نفسه في مدحه لمالك بن طوق , وتعزيته بأخيه القاسم بن طوق , فيقول :

وَهَلْ مِنْ حَكيمٍ ضَيَّعَ الصَّبرَ بَعدَما رَأى الحُكَماءُ الصَّبرَ ضَربَةَ لازِمِ ([5])

وظّف هذا المثل ليحضّ مالك على الصّبر على مصابه , ويحكّم عقله في هذا الموقــف العــصيب , لئلا يضيع الأجر الّذي وعد الله به الصّابرين .

ويوظّف أبو تمّام بعض الأمثال بطريقة إيحائية , كقوله :

الصَّبرُ أَجمَلُ وَالقَضاءُ مُسَلَّطٌ فَارْضَوا بِهِ وَالشَّرُّ فيهِ خِيارُ([6])

---

[1]) نفسه 3 / 302 .

[2]) غضبة , عبد الرحمن , ***استلهام التراث في شعر أبي تمام*** /265, مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية , جامعة قطر , السنة3 , العدد 3 ,1991 م .

[3]) ابن العماد , ***شذرات الذهب*** 3 / 236 وابن عساكر , ***تاريخ مدينة دمشق*** 48 / 289.

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 132 .

[5]) نفسه 3 / 259 .

[6]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 172.

فهو لا يقصد هنا الدّلالة المباشرة للأمثال الثّلاث " **الــصّبر أجمـــــل** " و " **الــشّــر فيــه خيـــار** "([1]) و " **بعض الشّر أهون من بعض** " ([2]) وإنما هو يستغلّ ناتج هذه الأمثال فـــي تكثيف معنى هذا البيت , وفحوى هذا النّاتج : التّهوين من وقع المصيبة في حالـــة وقـــوع الشّر بين المتفاوتين سواء أكان ذلك مستخلصاً من واقع الأمثال كتراث للعقل الجمعي , أم مستخلصاً من استعمالاتها في البناء الشّعري ([3]) كما في البيت الّذي قاله طرفة حين أمـــر النّعمان بقتله :

أَبا مُنذِرٍ أَفنَيْتَ فَاستَبقِ بَعضَنا   حَنانَيكَ بَعضُ الشَّرِّ أَهوَنَ مِن بَعضِ ([4])

فوظّف أبو تمّام هذه الأمثال الثّلاثة للتّهوين من وقـــع المـــصيبة الّتـــي أصـــابت جـــيش " منويـــل " حين أتاه فلول جيشه وشذاذ عسكره يشكون إليه ما حلّ بهم من انقلاب الزّمان وسوء تأثير الأيام.

التّراث الأدبي في شعر المتنبّي

لقد أدرك المتنبّي أهميّة الشّعر العربيّ القديم , الّذي يحمل فـــي طيّاتـــه تجـــارب شعريّة غنيّة يمكن إسقاطها على واقعه الشّعري , فحاول توظيف تلك النّمـــاذج الـــشّعرية المعبّرة عن أحاسيسه ومشاعره وأهدافه , فوجد في الشّعر الجـــاهليّ والإســـلاميّ علـــى مختلف مراحله وعصوره تجارب متشابهة بتجربته الشّعرية يتلمسّها ويتمثّلهـــا , فحاكاهـــا محاوراً ومقتبساً ومستلهماً لتحقيق ما يصبو إليه من أهداف يسعى لتحقيقها ([5]) .

---

[1]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 413.

[2]) نفسه 1 / 92 .

[3]) السعدني , مصطفى , ***قراءة المعنى الشعري*** – رؤية حديثة لقضية قديمة في ضوء شرح مشكلات ديوان أبي تمام للمرزوقي / 64 .

[4]) ابن العبد , طرفة , ***الديوان*** / 172 .

[5]) جوخان , إبراهيم عقله عبد الرحمن , ***التناص في شعر المتنبي*** / 45 , رسالة دكتـــوراه , جامعـــة اليرموك , إربد – الأردن , 2006 م .

استيحاء معاني الشّعراء

استحضر المتنبّي كثيراً من النّصوص الشّعرية القديمة تتسق ورؤيته , فأظهر براعة في تعامله معها من خلال طبعها بطابعه الخاصّ , وتحميلها شحنات دلاليّة خاصّـــة تعبّـــر عن رؤاه الشّعرية , ومن الأمثلة على ذلك تواصله مع تأبّط شرّاً في قوله :

ذَلَّ مَنْ يَغبِطُ الذَّليلَ بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الحِمامُ ([1])

فالموت في العزّ كما يرى المتنبّي أخفّ من العيش في الذّل , وهو في هذا المعنى متـــأثر بقول تأبّط شّراً :

هُما خُطّتا إِمّا إِسارٌ وَمِنَّةٌ وَإِمّا دَمٌ وَالقَتلُ بِالحُرِّ أَجدَرُ([2])

فالفكرة هنا مشتركة بين الشّاعرين رغم أنّ لكلّ شاعر موقفاً منفرداً , فتأبّط شـــرّاً شـــاعر صعلوك وضع روحه على كفّه , قررّ أن يجابه الأعداء فإمّا أن يبقوه حياً , وإمّا أن يهـــدر دمه ويقتل , والقتل بالحرّ الّذي يأبى الذّل والعبوديّة أجدر . أمّا المتنبّي فهو يتحدّث عن الإنسان الذّليل وحقير النّفس الّذي لاتهمّه كرامته وعزّة نفسه , وفي بيته دعـــوة صـــريحة ليأخذ الإنسان مكانه الطّبيعي في الحياة , بحيث لا يتيح لأيّة قوّة أن تـــنقص مـــن قـــدره وإنسانيّته .

ويتواصل المتنبّي أيضاً مع امرئ القيس , فيقول :

تَهْوي بِمُنْجَرِدٍ لَيْسَت مَذاهِبُهُ لِلُبْسِ ثَوْبٍ وَمَأكولٍ وَمَشْروبِ ([3])

فيفخر المتنبّي بنفسه وعلوّ همّته وشموخه , و هو دائماً يسعى إلى تحقيق المجد , ويتطلـــع إلى معالي الأمور , ويترفّع عن دناياها مستوحياً معنى امرئ القيس في قوله :

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 93 .
[2]) تأبط شرا , ***الديوان*** /31 .
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 174.

فَلَوْ أَنَّ ما أَسْعى لأَدنى مَعيشَةٍ كَفاني - وَلَمْ أَطلُبْ - قَليلٌ مِنَ المالِ

ولَكِنَّما أَسْعى لِمَجدٍ مُؤَثَّلٍ وَقَد يُدرِكُ المَجدَ المُؤَثَّلَ أَمثالي ([1])

فامرؤ القيس يسعى إلى تحقيق المعالي من خلال تحقيق هدف سام , وهو استعادة ملك أبيه المسلوب , غير ملتفت إلى دنايا الأمور . فقول امرئ القيس " فلو أنّ ما أسعى لأدنى معيشة كفاني " تفيد معنى قول المتنبي " تهوي بمنجرد ليست مذاهبه للبس ثوب ..." إضافة إلى تشابه فكرة كل منهما , وهي الفخر والاعتزاز بالنّفس , والترفّع عن الدّنايا من الأمور , وكل منهما قد غلب على أمره , فامرؤ القيس فاقد ملك أبيه والمتنبي يمدح من لا تطيقه نفسه .

ويستمر المتنبّي في التّواصل مع نصوص امرئ القيس , حيث يشاطره قيمه ومبادئه, وبخاصة الّتي تكمن في التّضحية بالنّفس من أجل تحقيق المعالي من الأمور , وعدم الاكتراث بالحياة في سبيل تحقيقها في قوله :

وَمَن يَبْغِ ما أَبْغي مِنَ المَجْدِ وَالعُلا تَساوى المَحايِي عِنْدَهُ وَالمَقاتِلُ ([2])

فهو يرى أنّ الّذي يطلب ما يطلبه من المجد والشّرف والرّتب العالية يستوي عنده الحياة والقتل , لأنّ تحقيق الأهداف السّامية فيها المخاوف الّتي قد تكلّفه فقد حياته , لذلك فقد وطّن نفسه على الهلاك بصبر دون مبالاة مستوحياً معنى قول امرئ القيس :

فَقُلتُ لَهُ لا تَبكِ عَينُكَ إِنَّما نُحاوِلُ مُلكاً أَو نَموتَ فَنُعذَرا ([3])

فامرؤ القيس من أجل تحقيق هدفه الّذي يكمن في استعادة ملك أبيه المسلوب يستوي عنده الحياة والموت , فهما من أجل تحقيق المجد يعلمان ما يواجههما من مخاطر .

---

1) امرؤ القيس , ***الديوان*** / 145 .
2) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 177.
3)امرؤ القيس , ***الديوان*** / 95.

ويتواصل المتنبّي مع حاتم الطّائي عندما يرسم صـــورة مـــن صـــور شـــجاعته وإقدامه في الحروب , فيقول :

لِكُلِّ امرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوَّدا وَعاداتُ سَيْفِ الدَولَةِ الطَّعنُ في العِدا ([1])

فكلّ إنسان يعمل بعادته حسبما تربّى عليه , وعادة سيف الدّولة غزو الأعداء وقتلهم بسيفه وطعنهم برمحه , مستوحياً قول حاتم الطّائي :

ذَريني وَحالي إِن مالَك وافِرٌ وَكُلُّ امرِئٍ جارٍ عَلى ما تَعَوَّدا ([2])

فالمتنبي ضمّن بيته عجز بيت حاتم ناقلاً معنى تأصّل الكرم في النّفس , إلى تأصل الإقدام والشّجاعة وقتل العدا بصياغة جديدة مولداً منه معنى جديداً يتمثّل في وصـــف الـــشّجاعة والإقدام في الحرب .

ويتابع المتنبّي التّواصل مع حاتم الطّائي في قوله :

هُمُ لأموالِهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ وَالعارُ يَبْقى وَالجُرْحُ يَلتَئِمُ

مَن طَلَبَ المَجْدَ فَليَكُنْ كَعَليـْ ـــيٍ يَهَبُ الأَلْفَ وَهوَ يَبْتَسِمُ ([3])

فيصف المتنبّي اللّئام بأنّهم عبيد لأموالهم وخدم لها , لأنّهم يتعبون في الحـــصول عليهـــا , فيجمعونها ويحافظون عليها , وكأنّها ليست لهم , فربما أصابها حادث في حـــال حيـــاتهم يحول دون أن ينتفعوا بها , أو تصير للورثة , فلا يكسبون الحمد في الـــدّنيا , ولا الأجـــر والثّواب في الآخرة , بهذا يوصف اللّئيم المكثر , مستوحياً قول حاتم الطّائي :

إِذا كانَ بَعضُ المالِ رَبّاً لأهلِهِ فَإِنّي بِحَمْدِ اللَهِ مالي مُعَبَّدُ ([4])

---

[1]) المتنبي , *الديوان* 1 / 281.
[2]) الطائي , حاتم , *الديوان* / 40.
[3]) المتنبي , *الديوان* 4 / 60.
[4]) الطائي , حاتم , *الديوان* / 34.

فالمتنبّي أخذ من معاني حاتم بما يلائم تجربته , طابعاً إيّاها بطابعه الخاصّ , ليعبّر عما يجول في نفسه متّفقاً مع حاتم في نظرته إلى المال , وفي طرق إنفاقه .

كما أفاد المتنبّي من شعر عمرو بن كلثوم في تصويره شجاعة ممدوحه وإقدامه , فيقول :

إلى فَتىً يُصدرُ الرِّماحَ وَقَدْ أَنهَلَها في القُلوبِ مَوردُها

لَهُ أَيادٍ إلَيَّ سابِقَةٌ أُعَدُّ مِنها وَلا أُعَدِّدُها ([1])

يصف المتنبّي ممدوحه بالإقدام والشّجاعة والكرم , فهو يصيب برماحه قلوب أعدائه , وذو فضل عليه , مستوحياً قول عمرو بن كلثوم :

بِأَنّا نوردُ الرّاياتِ بيضاً وَنُصدرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينا

وَأَيّامٍ لَنا غُرٍّ طِوالٍ عَصَيْنا المَلْكَ فيها أَن نَدينا

وَسَيِّدِ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَّجُوهُ بِتاجِ المُلْكِ يَحْمي المُحْجَرينا ([2])

فعمرو بن كلثوم هنا يعتزّ بشجاعة قومه وإقدامهم في الحروب , وقد ضمّن المتنبّي في عجز بيته الأول معنى عمرو بن كلثوم " بأنا نورد الرّايات بيضاً ونصدرهنّ حمراً ", كما ضمّن في نصّه " له أياد سابقة " قول عمرو بن كلثوم " وسيد معشر قد توّجوه " , ليبين كرم ممدوحه بألفاظ مختلفة , كما أن الشّاعرين مجبولان على الفخر والاعتزاز بشجاعتهما .

ويتواصل المتنبي مع نصوص عنترة العبسيّ في قوله :

دونَ الحَلاوَةِ في الزَّمانِ مَرارَةٌ لا تُخْتَطى إلاّ عَلى أَهوالِهِ ([3])

---

[1]) ***المتنبي , الديوان*** 1 / 303 – 305 .

[2]) ابن كلثوم ,عمرو , ***الديوان*** / 71.

[3]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 65.

فبيّن المتنبّي أنّ الإنسان لا يصل إلى حلاوة الزّمان إلا بعد أن يتذوّق مرارته ولا تتجاوز تلك المرارة إلا بارتكاب الأهوال , وهو يستوحي معناه من قول عنترة العبسيّ :

وَلَقَد شَفى نَفسي وَأَذْهَبَ سُقمَها   قيلُ الفَوارِسِ وَيكَ عَنتَرَ أَقدِمِ

وَالخَيْلُ تَقتَحِمُ الخَبارَ عَوابِساً   مِن بَينِ شَيظَمَةٍ وَآخَرَ شَيْظَمِ [1]

فالمرارة هي الطّريق إلى الحلاوة عند المتنبّي كما أن اقتحام الخبار في الجو العابس خيولاً وفرساناً وطبيعة معركة هي الطريق إلى شفاء نفس عنترة , وشفاء النّفس هنا هو شفاء معنويّ , وليس داء مبرحاً أو مرضاً عضالاً , إنّما هو انفراج نفس الشّاعر وانفراج أساريره , لأنه تعوّد أن يمّر بهذه المنعطفات الخطيرة والأحداق المثيرة . وهي صورة مستوعبة من مشاهد الحياة وصورها .

ومعنى المتنبّي غاية في الرّوعة وحسن السّبك , لتلاؤم الألفاظ مع الموقف العام وعمق التّجربة وشمولها , فهي لا تقتصر على فترة زمنيّة محددّة , أو حادثة بعينها لتكون محصورة في إطار محدّد , وموقف ثابت , بينما عنترة يعبّر عن تجربة شخصيّة قويّة المبنى , والمعنى ضيّق الإطار محدود المساحة إلا أنّ الصورة واضحة المعالم سريعة الحركة كثيفة الظّلال , مرئية مسموعة متحركة , يسمع فيها قول الفوارس , ويرى اقتحام الخيول وحركتها , وأقدامها تسيح في التّراب قي موقف جليل وهمة عالية , وإرادة لا مبالية في الحروب .

ويتواصل المتنبّي مع زهير بن أبي سلمى حينما يصوّر كرم ممدوحه وشجاعته , فيقول :

تَهَلَّلَ قَبلَ تَسْليمي عَلَيْهِ   وَأَلْقى مالَهُ قَبلَ الوِسادِ [1]

---

[1]) ابن شداد , عنترة , ***الديوان*** /30 .

يصف المتنبّي استبـــشار ممدوحه عليّ بن إبراهيم التنوخي برؤيتـــه قبل سلامـــه عليـــه, وقد تلألأ وجهه إضافة إلى كرمه , حتّى إنّه يبذل ماله قبل جمعه وحفظه مستوحياً معنـــاه من قول زهير بن أبي سلمى في رسم صورة ممدوحه في حرصه على العطـــاء , حيـــث يسرّ ويفرح بمن يسأله فيوصله ويعطيه كما جاء في قوله :

تَراهُ إِذا ما جِئتَهُ مُتَهَلِّلاً   كَأَنَّكَ تُعطيهِ الَّذي أَنتَ سائِلُه ([2])

ويتواصل المتنبّي مع خدّاش بن زهير([3]) فيقول :

وَمَن رَكِبَ الثَّورَ بَعدَ الجَوا   دِ أَنكَرَ أَظلافَهُ وَالغَبَب ([4])

وقد جعل المتنبّي الجواد مثلاً لسيف الدّولة والثّور لمن لقي بعده من الملوك , فهم أشبه ما يكونون بالحيوانات قليلة الشّأن الّتي لا تصلح للرّكوب وهو في هذا متأثّر بقـــول خـــداش ابن زهير :

وَلا أَكونُ كَمَن أَلقى رِحالَتَهُ   عَلى الحِمارِ وَخَلّى صَهوَةَ الفَرَسِ([5])

ولكن قول خدّاش فيه معنى التّخصيص لأنّه يتحدّث عن نفسه بوضوح , فهو لا يرضـــى لنفسه أن يكون كمن تخلّى عن صهوة الجواد ليلقي رحله علـــى الحمـــار , بينمـــا معنـــى المتنبّي يفيد التعميم وفي هذا المعنى ما لايليق بسيف الدّولة وعلوّ منزلته , ويبـــيّن مـــدى غرور المتنبّي .

ويتواصل المتنبّي مع أميّة بن أبي الصّلت ([1]) في مدحه لكافور, فيقول:

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** *1 / 358 .*

[2]) ابن أبي سلمى , زهير, ***الديوان*** / 142 .

[3]) (? - 6 هـــ) خداش بن زهير العامري، من بني عامر بن صعصعة. شاعر جاهلي من أشراف بني عامر وشجعانهم ، يغلب على شعره الفخر والحماسة. يقال أن قريش قتلت أباه في حـــرب الفجـــار، فكان يكثر من هجوها. وقيل أدرك حنيناً، وشهدها مع المشركين.ينظر ابن سلام , ***طبقات فحول الشعراء*** / 143 و ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 2 / 631 .

[4]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 98 .

[5]) نفسه 1 / 98 .

وَفي النّفسِ حاجاتٌ وَفيكَ فَطانَةٌ سُكوتي بَيانٌ عِندَها وَخِطابُ ([2])

قيصف المتنبّي كافوراً بالفطنة والذّكاء والسّخاء , ممّا يمكّنه من معرفة ما في نفس المتنبّي من رغبات وحاجات , وسكوت المتنبي يقوم مقام البيان عنها , فالمتنبّي كان يطمع بولاية , وسكوته أبين من الإفصاح عنها , وهو هنا يتمثل في معناه قول أميّة ابن أبي الصّلت الّذي يصف ممدوحه بالذّكاء والفطنة والجود من خلال الثّناء عليه دون أن يتعرّض لسؤاله في قوله :

أَأَذكُرُ حاجَتي أَمْ قَد كَفاني حَياؤُكَ إِنَّ شيمَتَكَ الحَياءُ

إِذا أَثنى عَلَيكَ المَرءُ يَوماً كَفاهُ مِن تَعَرُّضِهِ الثَناءُ ([3])

ويصف المتنبّي شجاعة ممدوحه عليّ بن مكرم وشدّة بأسه بقوله :

شَديدُ الخُنْزُوانَةِ لا يُبالي أَصابَ إِذا تَنَمَّرَ أَم أُصيبا ([4])

يصف المتنبّي ممدوحه عليّ بن مكرم , فهو يتميّز بكبريائه وعزّة نفسه , فإذا ما غضب على عدوه تنمّر وأقبل عليه غير مبال بالحياة أو الموت فالأمر عنده سيّان مستوحياً قول العبّاس بن مرداس ([5]) حينما وصف إقدامه وشجاعته وعدم مبالاته في ساحة الوغى :

أَشُدَّ عَلى الكَتيبَةِ لا أُبالي أَحتَفي كانَ فيها أَم سِواها ([6])

ويمدح المتنبّي المغيث بن عليّ العجليّ بقوله :

---

[1]) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي. (? - 5 هـ), شاعر جاهلي، حكيم، من أهل الطائف. وكان مطلعاً على الكتب القديمة، يلبس المسوح تعبداً وهو ممن حرموا على أنفسهم الخمر وشعره من الطبقة الأولى .ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 / 450 والأصفهاني ***الأغاني*** 4 / 96 .

[2]) المتنبي , ***الديوان*** *1 / 198.*

[3]) ابن أبي الصلت , *أمية* , ***الديوان*** */ 19.*

[4]) المتنبي , *الديوان* 1 / 139.

[5]) العباس بن مرداس بن أبي عامر السُلمي(? - 18 هـ) من مُضَر، أبو الهيثم.شاعر فارس، من سادات قومه، أمُّه الخنساء الشاعرة.وكان بدوياً قحاً، ومات في خلافة عمر.ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء***1 / 291 والأصفهاني , ***الأغاني*** 4 / 192.

[6]) ابن وكيع , ***المنصف*** , 608 .

وَدَهرٌ ناسُهُ ناسٌ صِغارٌ وَإِن كانَت لَهُم جُثَثٌ ضِخامُ ([1])

يرى المتنبّي أنّ ممدوحه متفرّد بالقدر والهمّة في دهره , فهذا الدّهر أهله صغار القدر والهمم , ضخام الأجسام , وهو هنا يتمثل قول حسّان بن ثابت حينما هجا قوم واصفاً إياهم بضخامة الأجسام , وقلة العقول :

لا بَأسَ بِالقَوْمِ مِن طولٍ وَلا عِظَمٍ جِسْمُ البِغالِ وَأَحْلامُ العَصافيرِ ([2])

فالمعنى واحد لدى الشّاعرين ولكنّ السّياق مختلف , فقد استخدم المتنبّي أسلوب المفارقة في نصه , من خلال تبطينه المدح بالهجاء , واستخدم كل منهما أسلوب التّضاد .

ويتواصل المتنبي مع الأعور الشّنيّ ([3]) في قوله :

وَأَسرَعُ مَفْعولٍ فَعَلْتَ تَغَيُّراً تَكَلُّفُ شَيءٍ في طِباعِكَ ضِدُّهُ ([4])

ويرى المتنبّي أنّ الدّنيا لاتديم مودتها لأنّها بنيت على التّغير والتنقّل , فإن فعلت ذلك كانت كمن تكلّف شيئاً ضدّ طباعه , فيتركه ويعود إلى طبعه وهو يستمدّ معناه من قول الأعور الشّنّيّ :

ومنْ يقْتَرفْ خلْقاً سوى خُلْق نفْسِهِ يَدَعْه وتَغْلبه علَيْه الطَّبائعُ

وأدْوَمُ أخْلاقِ الفتى ما نَشا بِهِ وأَقْصَرُ أفْعالِ الرِّجالِ البَدائِعُ([5])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 70 .

[2]) ابن ثابت , حسان , ***الديوان*** / 122.

[3]) الأعور الشني (? – 50 هـ)أبو منقذ بن منقذ من بني شن من عبد القيس.شاعر مشهور يخشى هجاؤه، اشترك في وقعة الجمل في صف علي بن أبي طالب.ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 1 / 624 .

[4]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 19.

[5]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 19.

فالشّاعران يستندان إلى التّجارب السّابقة الّتي تعبّر عن القيم الاجتماعيّة السّائدة في المجتمع , فكلّ إنسان راجع إلى أصله وطبعه مهما تكلّف من صفات وادّعاها لنفسه فالتّطبع لا يخفي الطّبع .

ويتواصل المتنبّي مع قيس بن الملوّح , فيقول :

مُنَعَّمَةٌ مُمَنَّعَةٌ رَداحٌ يُكَلِّفُ لَفظُها الطَّيرَ الوُقوعا ([1])

فيصف المتنبّي محبوبته بعدّة صفات , فهي امرأة رداح أي ضخمة العجيزة , وعذبة الكلام , حتّى إنّ الطّير إذا سمع لفظها وقع وسقط لحسنه , وهو في هذا البيت يستلهم قول قيس بن الملوّح :

وَأَدنَيتِني حَتّى إِذا ما فَتَنْتِني بِقَولٍ يَحِلُّ العُصْمَ سَهلَ الأَباطِحِ ([2])

ولكنّ قيس جعل عذوبة حديث المحبوبة سبباً في نزول العصم من مكانها في الجبال.

ويتواصل المتنبّي مع قيس بن ذريح ([3]) حينما يصف شعوره اتجاه محبوبته , فيقول :

الحُبُّ ما مَنَعَ الكَلامَ الأَلسُنا وَأَلَذُّ شَكوى عاشِقٍ ما أَعلَنا ([4])

فالحبّ غايته أن يمنع لسان المحب عن الكلام , فالمحبّ عندما يرى محبوبته لا يستطيع أن يعبّر عمّا في قلبه من أحاسيس ومشاعر , فيبهت ويخرس لجلال الموقف وعظمته في نفسه , وهو هنا يتمثّل صورته ومعناه من قول قيس بن ذريح :

فَما هِيَ إِلاّ أَنْ أَراها فُجاءَةً فَأُبْهَتُ حَتّى ما أَكادُ أُجيبُ ([1])

---

[1]) نفسه2 / 250.

[2]) مجنون ليلى , ***الديوان*** / 64.

[3]) قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني.(? - 68 هـ) , شاعر من العشاق المتيمين، اشتهر بحب لبنى بنت الحباب الكعبية، وهو من شعراء العصر الأموي، ومن سكان المدينة. ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء***2 /613 والأصفهاني , ***الأغاني*** 9 / 210 .

[4]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 195.

ولكنّ المتنبّي نقل معنى قيس بن ذريح من الغزل إلى الاعتذار إلى بدر بن عمّار لتخلّفــه عنه .

ويوضّح المتنبّي رؤيته من الحبّ , وموقفه من العذال والوشاة , فيقول :

كُفّي أَراني وَيْكِ لَومَكِ أَلوَما   هَمٌّ أَقامَ عَلى فُؤادٍ أَنجَما ([2])

ويؤكّد المتنبّي أنّ لوم العذال أشدّ عليه , وأبلغ تأثيراً من همّه النّاتج عن فراق المحبــوب له, مستوحياً رؤية عمر بن أبي ربيعة للوشاة ورفضه تدخّلهم :

تَقولُ وَتُظهِرُ وَجداً بِنا   وَوَجدي وَإِن أَظهَرَتْ أَوجَدُ ([3])

فلا يطيق عمر بن أبي ربيعة وجد الوشاة , لأنّ هدفهم الإيقاع بــين المحبّــين , فوجــدهم وحزنهم غير صادق , ولا يضاهي وجد المحبّين على محبوباتهم .

ويتواصل المتنبّي مع سديف بن ميمون ([4]), فيقول :

وَالذُّلُّ يُظْهِرُ في الذَّليلِ مَوَدَّةً   وَأَوَدُّ مِنْهُ لِمَنْ يَوَدُّ الأَرْقَمُ ([5])

فيرى المتنبّي أنّ الذّليل يظهر المودّة لمن أذلّه لأنّه لا يقدر على مجابهتــه ولا الامتنــاع عنده, فيتودّد إليه . ولكن تودّده مزيّف حتّى إنّ الأفعى تكون أقرب إلى المصافاة منــه إذا أظهر الودّ , مستوحياً قول سديف بن ميمون :

ذلّها أظْهَر المودَّةَ منْها   وبها منْكمُ كحزِّ المَواسي ([6])

---

[1]) ابن ذريح , قيس , ***الديوان*** / 116.

[2]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 27.

[3]) ابن أبي ربيعة , عمر , ***الديوان*** / 150.

[4]) سديف بن ميمون : مولى بني العباس وشاعرهم , ويقال إنه لامرأة من خزاعة , وكان زوجها من اللهبيين , فنسب إلى ولاء اللهبيين ينظر ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء*** 2 /749 والأصفهاني , ***الأغاني*** 4 / 241.

[5]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 130.

[6]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 130.

ولكن سديف يجعل الذّل نتيجة الضّعف والعجز , لأنّ ما حصل من الضّر والإيلام يــشبه حدّ المواسي , فإظهار المودّة بسبب الذّل العارض , ذلّ مقنع كما أنّ المــودّة المــصاحبة لهذا الذّل غير صادقة . أما الذّل في بيت المتنبّي فإنّه يخفي وراءه حقداً شــديداً , ولؤمــاً خبيثاً رغم المودّة الّتي يظهرها الإنسان , فهي مودّة مبطنّة بطبقة من السّم . ومــن هنــا يتبين أنّ بيت سديف فيه ضعف واستسلام للأمر الواقع إلا أنّ الآثار الّتي خلفهــا القهــر بالنّفس لم تمح ما ترسّب فيها من الحقد . أما بيت المتنبّي فالذّل متأصّــل بــصاحبه لأنّــه ممزوج باللّؤم ومختلط بالخسّة الّتي لا يرجى لصاحبها الصّلاح بحيث يستبعد فيهــا هــذه المودّة , فالأفعى المعروفة بغدرها بما تنفثه من سمومها أكثر ودّاً من هذا الذّليل .

ويتواصل المتنبّي مع صالح عبد القدّوس ([1]) , فيقول :

وَمِنَ العَداوَةِ ما يَنالُكَ نَفعُهُ وَمِنَ الصَداقَةِ ما يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ ([2])

فيرى المتنبّي أنّ عداوة السّاقط تدلّ على مباينة طبعه فتنفع , وصداقته تدلّ على مناســبته فتضر ّ, وهو في هذا المعنى متأثّر بقول صالح بن عبد القدّوس :

عَدوُّك ذو العَقْلِ خَيْرٌ من الــ صَّديق الوامِقِ الأحْمَقِ ([3])

فبيت المتنبّي يخلو من التعقيد المعنويّ , فإدخاله حرف الجر "من" في شطري البيت يفيد التبعيض , ولكنّ معنى صالح بن عبد القدّوس فيه تعميم .

ويتواصل المتنبّي مع منصور النّمري ([4]) في قوله :

---

[1]) صالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي، (? - 160 هـ) شاعر حكيم، كان متكلماً يعظ الناس في البصرة .ينظر ابن المعتز , ***طبقات الشعراء*** / 89 والأصفهاني , ***الأغاني*** 4 / 113.

[2])المتنبي , ***الديوان*** 4 / 130.

[3]) نفسه 4 / 130.

[4]) منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمري , من بني النمر بن قاسط شاعر من أهل الجزيرة الفراتية , مدح الخليفة هارون الرشيد .ينظر ابن قتيبة , **الشعر والشعراء** 2 /847 ابن المعتز , ***طبقات الشعراء***/ 241.

لَولا المَشَقَّةُ سادَ النّاسُ كُلُّهُمُ الجودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدامُ قَتّالُ ([1])

فيؤكّد المتنبّي أن السّيادة مشقّة , ولولا ذلك لأصبح النّاس كلّهم سادة , ثم يبيّن المشقّة الّتي في السّيادة , فقال : من جاد فقد افتقر , ومن أقدم على الحرب قتل , ولا سيادة دون الجود والشّجاعة , وهو في هذا المعنى متأثّر بقول منصور النّمري :

الجودُ أَخْشَنُ مسّاً يا بَني مَطَرٍ مِنْ أَنْ تَبُزَّكُمو كَفٌّ مُسْتَلِبِ

ما أَعْلَمَ النّاسَ أَنَّ الجودَ مكسَبَةٌ لِلْمَجدِ لَكِنَّهُ يأتي على النَّشَبِ ([2])

يتحدث الشّاعران في هذه الأبيات عن بعض القيم الاجتماعيّة السّائدة في عصرهما , فمنصور النّمري يرى في بيته الثّاني أنّ الجود طريق المجد , والمجد يأتي على كلّ ما يمتلكه الإنسان من أموال , لأنّه قد يهلكها بسبب جوده وهو في طريقه إلى المجد . أما المتنبّي فبيته يتضمّن حكمتين الأولى هي الجهد والثّانية المشقّة في السّيادة وهي بذل المال والرّوح .

ويتواصل المتنبّي مع أبي تمّام , فيقول:

كَم ثَراءٍ فَرَّجْتَ بِالرُّمحِ عَنْهُ كانَ مِن بُخْلِ أَهْلِهِ في وَثاقِ ([3])

جعل المتنبّي الثّراء أسيراً , وكان في وثاق من بخل أهله فحرّره الممدوح وأطلق سراحه ليذهب في الطّرق المشروعة , فالمال في يد اللّئيم قبيح لأنّه يضنّ به عن حقوقه , وهو في هذا المعنى متأثّر بقول أبي تمّام :

كَم **نِعْمَةٍ لِلَّهِ كانَتْ عِنْدَهُ فَكَأَنَّها في غُرْبَةٍ وَإِسارِ**([4])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 287.
[2]) نفسه 3 / 287.
[3]) نفسه 2 / 370.
[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 198.

ويصف أبو تمّام شخصيّة ذات ثراء , ويصوّر النّعمة الّتي بين يديها تــصويراً رائعــاً , فهو يشبهها مرة بأنّها غريبة بين يديه , وأخرى بأنّها أسيرة , والأسر غربة , فهو هنا قــد أسقط على النّعمة صفة الإنسانيّة , وجعلها تشعر بالغربة والأسر , لأنّها مقيّدة بين يديــه , فالمال خلق للتّداول والحركة لا للأسر .

ويقول المتنبّي في قصيدة مدح فيها سيف الدّولة :

وَشَرٌّ ما قَنَصَتْهُ راحَتي قَنصٌ　　　شُهبُ البُزاةِ سَواءٌ فيهِ وَالرَّخَمُ([1])

يساوي سيف الدّولة في عطائه بين المتنبّي وخساس الشّعراء في أخذ العطاء , ولــذلك لا يعده صاحب فضل عليه وهو في هذا البيت متأثّر بقول أبي تمّام :

لَنْ يَكْرُمَ الظَّفَرُ المُعْطى وَإِنْ أُخِذَتْ　　　بِهِ الرَّغائِبُ حَتّى يَكْرُمَ الطَّلَبُ ([2])

فبيت أبي تمّام فيه معنى الشّمول , بينما بيت المتنبّي فيه معنى الفردية والذّاتية , وإن كان لكلّ منهما مناسبته الخاصّة , الّتي لا تخرج عن إطار العلاقــة بالممــدوح والهبــات والعطايا الّتي يجب أن تتلاءم مع مكانة كلّ منهما , إلا أنّ بيت أبي تمّام فيه معنى الرّفعــة والسموّ , لأنّه يرفع من قدر الطّلب , فإذا لم يكن الطّلب سامياً , فلا قيمة للعطاء ولو كثــر وإضافة إلى ذاتية المتنبّي في بيته إلا أنّه لا يخلو من التجريح للخساس من الشّعراء الّذين لا قيمة لهم , وهم يحظون بما يحظى به المتنبّي من العطاء , وهذا مما يعده المتنبّي الشّر بعينه .

ويقول المتنبّي مخاطباً سيف الدّولة:

وَمِنَ الخَيرِ بُطْءُ سَيْبِكَ عَنّي　　　أَسْرَعُ السُّحْبِ في المَسيرِ الجَهامُ ([3])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 373.
[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 245.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 100.

فتأخّر وصول عطاء الممدوح إلى المتنبّي , كان بسبب تأخّر زيارته إيّاه , وهذا يدلّ على كثرة ذلك العطاء , كالسّحاب إنّما يسرع منه ما كان جهاماً لا ماء فيه , أمّا ما يكون فيه ماء فإنه ثقيل المشي وهو في هذا المعنى متأثّر بقول أبي تمّام :

هُوَ الصُّنْعُ إنْ يَعْجَلْ فَنَفْعٌ وَإن يَرِثْ فَلِلرَّيْثُ في بَعضِ المَواطِنِ أَسْرَعُ ([1])

غير أنّ الشّاعرين هنا يختلفان في عرض فكرة العطاء , فالإسراع في الصّنع عند أبي تمّام أمر نافع , إلاّ أنّ التّأخر فيه أكثر فائدة في بعض المواطن . ولكنّ المتنبّي كان أكثر تحديداً وبلاغة , لأنّه يفلسف هذا البطء لصالحه , فالعطاء إذا تأخّر في الوصول إلى الشّاعر من الممدوح كانت فرجة الأمل أمامه أرحب وأوسع , وهو هنا يوظّف مظاهر الطّبيعة لاستخلاص الحكمة من تأخّر العطاء , فالجهام وهو السّحاب الّذي لا ماء فيه أكثر السّحب سرعة , ولمّا كانت هذه السّرعة لا تأتي إلا بالعدم فالشّاعر في غنى عنها .

ويتواصل المتنبّي مع البحتريّ في قوله :

وَكُلُّ امرِئٍ يولي الجَميلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبُ ([2])

فالمتنبّي أحبّ الممدوح وآثره على أهله لما أسدى له من الجميل , فطابت له الإقامة بساحته لما لقي فيها من العزّ , وقد استمدّ معناه من عجز بيت البحتريّ :

وَأَحَبُّ آفاقِ البِلادِ إلى الفَتى أَرضٌ يَنالُ بِها كَريمَ المَطْلَبِ ([3])

فالبحتريّ يربط حبّ الإنسان بالأرض إذا ما توفّرت له الحياة الكريمة عليها , وتحقّقت آماله وطموحاته فيها , بينما المتنبّي وسع معناه ليشمل الإنسان والمكان فالأرض تكسب قيمتها من الإنسان الّذي يعيش عليها . وبذلك يكون نصّ المتنبّي أشمل وأدقّ .

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 332 .
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 183.
[3]) البحتري , ***الديوان*** 1 / 141.

استيحاء ألفاظ الشعراء ومعانيهم

استوحى المتنبي ألفاظ الشّعراء ومعانيهم ومن الأمثلة على ذلك قوله :

وَلِّ السّلاطينَ مَن تَوَلّاها   وَالجَأ إِلَيْهِ تَكُن حُدَيّاها ([1])

إن المتنبّي ترك الملوك والسّلاطين منصرفاً إلى عضد الدّولة , مؤكّداً أنّه باستناده إليه يسامي الملوك و ويصبح مثلهم , مستوحياً قول عمرو بن كلثوم الّذي يفخر فيه بشجاعة قومه وقوة بأسهم مضمّناً نصه لفظة " حديّا " الّتي تعني التّحدي والمباراة والغلبة :

حُدَيّا النّاسِ كُلِّهِمُ جَميعاً   مُقارَعَةً بَنيهِمْ عَنْ بَنينا ([2])

ويمدح المتنبي سيف الدّولة في مواجهته الرّوم , فيقول :

فَحُبُّ الجَبانِ النَّفسَ أَورَدَهُ التُّقى   وَحُبُّ الشُّجاعِ النَّفسَ أَورَدَهُ الحَرْبا ([3])

ويؤكّد المتنبّي أنّ الجبان يتّقي الحرب ويتجنّب القتال , حبّاً لنفسه وخوفاً عليها , والشّجاع يخوض الحرب دفاعاً عن نفسه , فهو يرد الحرب إما لبلاء حسن يمجّد ذكره في حياته , وإما لقتل يبقى له ذكراً يقوم مقام حياته , مستوحياً قول الخنساء لفظاً ومعنىً بصياغة وبناء جديدين في رثائها أخيها معاوية :

نُهينُ النُفوسَ وَهَوْنُ النُّفوسِ   يَومَ الكَريهَةِ أَبقى لَها ([4])

ويتواصل المتنبّي مع شعر الحطيئة , فيقول :

وَما ماضي الشَّبابِ بِمُستَرَدٍّ   وَلا يَومٌ يَمُرُّ بِمُستَعادِ([5])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 280.
[2]) ابن كلثوم , عمرو , ***الديوان*** /77.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 65.
[4]) الخنساء , ***الديوان*** / 121.
[5]) المتنبي , ***الديوان*** 1 /356.

يحثّ المتنبّي ممدوحه على طلب المعالي , لأنّ أيام الشّباب إذا مضت لا تسترد , وعلى الإنسان أن يستثمر شبابه في تحقيق المعالي , وهو يستوحي هذه الحكمة لفظاً ومعنى من قول الحطيئة :

إِذا ذَهَبَ الشَّبابُ فَبانَ مِنْهُ　　فَلَيْسَ لِما مَضى مِنْهُ لِقاءُ ([1])

ويتواصل المتنبّي مع حسّان بن ثابت في مدحه محمد بن عبيد الله العلويّ , فيقول :

لِعلمِها أَنَّها تَصيرُ دَماً　　وَأَنَّهُ في الرِّقابِ يُغمِدُها ([2])

يصف المتنبّي ممدوحه بالشّجاعة وقوّة البأس , فيجعل رقاب أعدائه أغماداً لسيوفه , مستمداً بعض ألفاظه ومعناه وقافيته وصورته من قول حسّان بن ثابت :

ونحنُ إذا ما نَضيْنا السيُوفَ　　جَعَلنا الجَماجمَ أَغمادها ([3])

فحسّان يفخر بشجاعة قومه وإقدامهم في الحرب , فإذا ما استلوا سيوفهم جعلوا جماجم أعدائهم أغماداً لها . فالصّورتان اتخذتا جسم الإنسان محوراً لهما , فالرّقاب والجماجم موضع مقتل الإنسان .

ويتواصل المتنبّي مع رؤية جميل بثينة في الحبّ , فيقول :

رامِياتٍ بِأَسْهُمٍ ريشُها الهُدْ　　بُ تَشُقُّ القُلوبَ قَبْلَ الجُلودِ ([4])

حيْث يرى المتنبّي أن الحبّ يضرّ بصاحبه , إذ يترك في نفسه أثراً سلبيّاً , وذلك من خلال تذكر المحبوبة والتّأمل فيها مما يزيد من تأجج الحبّ في نفس الشّاعر , فتجلب له العذاب والألم والموت . فهو يؤكّد أن سهام عيون المحبوبة تنفذ إلى القلوب فتشقّها قبل أن تشقّ الجلود ناقلا وجهة نظر جميل بثينة في الحبّ , حيث يقول :

---

[1]) الحطيئة , ***الديوان*** / 59.

[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 309.

[3]) الجرجاني , ***الوساطة بين المتنبي وخصومه*** / 376 لم أجده في الديوان.

[4]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 314.

رَمَتْني بِسَهْمٍ ريشُهُ الكُحلُ لَم يَضِر   ظَواهِرَ جِلدي فَهوَ في القَلبِ جارِحي ([1])

ويتواصل المتنبّي مع جميل بثينة في رثاء محمد بن اسحق التّنوخيّ , فيقول :

وَقَنَعْتُ بِاللُّقيا وَأَوَّلِ نَظْرَةٍ   إِنَّ القَليلَ مِنَ الحَبيبِ كَثيرُ ([2])

إنّ المتنبّي يقنع بالقليل , وأول نظرة ينظرها مضمناً نصّه قول جميل الّذي يبيّن فيـــه أن المحبّ الصّادق يغنيه القليل من محبوبته , وإن كان على حقيقة الأمر لا يرضى لمحبوبته هذا العطاء :

وإنّي لَيُرضيني قليلُ نَوالِكم   وإن كنْتُ لا أرْضى لكُمْ بقَليلِ ([3])

ويلاحظ هنا أنّ المتنبّي نقل رؤية جميل من موقف الحبّ إلى موقف الرّثاء لفظاً ومعنى .

ويتواصل المتنبّي مع الفرزدق , فيقول :

وَما الحُسْنُ في وَجْهِ الفَتى شَرَفاً لَهُ   إِذا لَمْ يَكُنْ في فِعْلِهِ وَالخَلائِقِ ([4])

فيرى المتنبّي أنّ الحسن في وجه الفتى ليس شرفاً له , إذا لم يصاحبه خلق وفعل حسن , وهو هنا يستوحي قول الفرزدق لفظاً ومعنىً :

وَلاخَيْرَ في حُسْنِ الجُسومِ وَطولِها   إذا لم تَزِن حُسنَ الجُسومِ عُقولُ ([5])

ويتواصل المتنبّي مع ذي الرّمة , فيقول :

يَعلَمنَ حينَ تُحَيّي حُسْنَ مَبْسَمِها   وَلَيسَ يَعْلَمُ إِلاّ اللّهُ بِالشَّنَبِ ([6])

---

1) جميل بثينة , ***الديوان*** / 23.

2) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 134.

3) نفسه 2 / 134 .

4) نفسه 2 / 320.

5) نفسه 2 / 320 .

6) المتنبي , ***الديوان 1*** / 89.

حيث يكشف المتنبّي عن مظاهر الجمال المثالية عند محبوبته , فيــصف حــسن مبــسمها مضمّناً نصّه عجز بيت ذي الرّمة الّذي يصف فيه مظاهر الجمال لدي محبوبتــه , حيــث يقول :

لَمياءُ في شَفَتَيها حُوَّةٌ لَعَسٌ وَفي اللِّثاتِ وَفي أَنيابِها شَنَبُ ([1])

ويلاحظ أن المتنبّي قد أعاد بناء قول ذي الرّمة , عاكساً معناه , فهو لم يعرف عذوبة ريق المحبوبة وبرد أنيابها .

ويتابع تواصله مع شعر ذي الرمة , فيقول :

قِفا قَليلاً بِها عَلَيَّ فَلا أَقَلَّ مِن نَظرَةٍ أُزَوِّدُها ([2])

يطلب المتنبّي إلى حاديّ عير المحبوبة أن يتوقفا قليلاً , ليتعلّ بنظرة منها , فالنّظرة منهــا تغني , وهو هنا يعيد رؤية ذي الرّمة في الكشف عن أبعاد الحــبّ , وتــصوير أحــوال المحبين عند الفراق , حيث يقول :

فَإِن لَم يَكُن إلاّ تَعَلُّلَ ساعَةٍ قَليلاً فَإِنّي نافِعٌ لي قَليلُها ([3])

ويتواصل المتنبّي مع بشّار بن برد في تصوير المعركة , فيقول :

يَزورُ الأَعادي في سَماءِ عَجاجَةٍ أَسِنَّتُهُ في جانِبَيْها الكَواكِبُ ([4])

يصوّر المتنبّي الأسنّة لما ارتفعت في الهواء وسط العجاجة , فبدت العجاجة سماء والأسنّة في جانبيها كالكواكب , مستوحياً قول بشّار :

كَأَنَّ مُثارَ النَّقعِ فَوقَ رُؤُسِهِمْ وَأَسيافَنا لَيلٌ تَهاوى كَواكِبُهْ ([5])

---

1) ذو الرّمة , ***الديوان*** /5.
2) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 296.
3) ذو الرمة , ***الديوان*** / 550.
4) المتنبي , ***الديوان*** 1/ 107.
5) ابن برد , بشار , ***الديوان*** / 146.

الّذي صوّر فيه وقع السّيوف على الأعداء وسط الغبار , فهي لـشدّة لمعانهـا وحركتهـا كواكب تتساقط في ليل مظلم .

ويمدح المتنبّي عليّ بن محمد الأنطاكيّ في قوله :

وَما زِلتُ حَتّى قادَني الشَّوقُ نَحوَهُ يُسايِرُني في كُلِّ رَكبٍ لَهُ ذِكرُ

وَأَستَكْبِرُ الأَخبارَ قَبلَ لِقائِهِ فَلَمّا اِلتَقَيْنا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبْرُ

أَزالَتْ بِكَ الأَيّامُ عَتْبي كَأَنَّما بَنوها لَها ذَنْبٌ وَأَنتَ لَها عُذْرُ([1])

انتشر ذكر ممدوح المتنبّي بين النّاس , فأصبح يستعظم كلّ ما يسمعه عنه ويستكبره حتـى زاره وخبره , فوجده أعظم ممّا كان يسمعه عنه متأثّراً بقول بشّاربن برد:

وَإِنّي لَقادَتني إِلَيهِ مَوَدَّتي وَرَغبَتُهُ في الشُّكرِ يَحويهِ وَالحَمدِ

وَصَغَّرَ في عَيني اِختِبارُ خِصالِهِ مَحاسِنَ أَخبارٍ أَتَتني عَلى البُعدِ ([2])

ويتابع المتنبّي تواصله مع بشّار في موقفه من التّعلق بالنّساء , فيقول :

وَمَنْ خَبَرَ الغَواني فَالغَواني ضِياءٌ في بَواطِنِه ظَلامُ ([3])

ويؤكّد المتنبّي أنّ الغواني ضياء في الظّاهر , ظلام في الباطن , لأنّهنّ يتعبن مـن يميـل إليهن , ويقع في حبهنّ مستقياً وجهة نظر بشّار عندما هجا النّساء في قوله :

إِنَّ النِّساءَ مُضيئاتٌ ظَواهِرُها لَكِن بَواطِنُها ظُلْمٌ وَإِظلامُ

كَالدَّهرِ في صَرفِهِ سِقمٌ وَعافِيَةٌ وَكَالزَّمانِ لَهُ بُؤسٌ وَإِنعامُ ([4])

ويتواصل المتنبّي مع العبّاس بن الأحنف في قوله :

تَذَلَّل لَها وَاِخضَع عَلى القُربِ وَالنَوى فَما عاشِقٌ مَن لا يَذِلُّ وَيَخضَعُ ([1])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 155 , 159.

[2]) ابن برد , بشار , ***الديوان*** /443.

[3]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 72.

[4]) ابن برد , بشار , ***الديوان*** / 606.

يجعل المتنبّي السّلطة للمحبوبة في العلاقة الّتي ينبغي أن تكون بين المحبّين , حيث التذلّل والخضوع والانقياد للمحبوبة , مستوحياً قول العبّاس بن الأحنف في رسم طبيعة العلاقـة بين المحبّين :

تَحَمَّل عَظيمَ الذَّنبِ مِمَّن تَحِبُّهُ   وَإِن كُنتَ مَظلوماً فَقُل أَنا ظالِمُ ([2])

ويتواصل المتنبّي مع مسلم بن الوليد في وصفه شجاعة ممدوحه , فيقول :

تَمُرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلمى هَزيمَةً   وَوَجْهُكَ وَضّاحٌ وَثَغرُكَ باسِمُ ([3])

فيصوّر المتنبي شجاعة سيف الدّولة في مقارعته لأعدائه وقوة بأسه وهيبته , ولا يكتـرث لما يراه حوله من الأهوال , واثقاً بالنّصر , وهو هنا يستمد هذا المعنى من قول مسلم بـن الوليد عندما وصف شجاعة ممدوحه يزيد بن مزيد الشّيباني ([4]) ووثوقه بالنّصر خـلاف أبطال أعدائه الّذين تلوّنت وجوههم من الخوف , حيث يقول :

يَفْتَرُّ عِنْدَ افِترارِ الحَرْبِ مُبتَسِماً   إِذا تَغَيَّرَ وَجْهُ الفارِسِ البَطَلِ ([5])

ويتواصل المتنبّي مع أبي العتاهية , فيقول :

وَمَن يُنْفِقِ السّاعاتِ في جَمعِ مالِهِ   مَخافَةَ فَقرٍ فَالَّذي فَعَلَ الفَقْرُ ([6])

ويؤكّد المتننبّي أنّ الإنسان الّذي يقضي عمره في جمع المال ولم ينفقه خوفاً من الفقـر , قد قضى عمره بالفقر , بل ما فعل هو الفقر بعينه , مستوحياً قول أبي العتاهـية:

يا جامِعَ المالِ وَالأَيّامُ تَخدَعُهُ   خَوفاً مِنَ الفَقرِ هَذا الفَقرُ وَالعَدَمُ

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 238.
[2]) ابن الأحنف , العباس , ***الديوان*** /243.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 387.
[4]) (ت 185 هـ) , أمير من القادة الشّجعان , كان والياً بأرمينية وأذربيجان , وأخبار شجاعته وكرمه كثيرة . ينظر ابن خلكان , ***وفيات الأعيان*** 2 / 283.
[5])ابن الوليد , مسلم , ***الديوان*** /9.
[6]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 150.

أَسَأتَ ظَنَّكَ بِاللَهِ الَّذي خَضَعَت لَهُ الرِّقابُ فَشابَت قَلبَكَ الظُّلَمُ ([1])

ويتابع المتنبّي التّواصل مع شعر أبي العتاهية , حيث يقول :

وَإِذا ما خَلا الجَبانُ بِأَرضٍ طَلَبَ الطَعنَ وَحدَهُ وَالنِّزالا ([2])

يمدح المتنبّي سيف الدّولة معرّضاً بالرّوم بقوله : إنّ الجبان إذا كان منفــرداً بعيــداً عــن الأقران , يطلب الطّعان والمنازلة , فإذا شعر بقوّة مقاتله , رجع إلى طبعه وفــرّ , وهــذا شأن الرّوم مع سيف الدّولة , فهم شجعان ما لم يروه , مستوحياً قول أبي العتاهية :

وَإِذا الجَبانُ رَأى الأَسِنَّةَ شُرَّعاً عافَ الثَّباتَ فَإِن تَفَرَّدَ أَقدَما ([3])

ويتواصل المتنبّي مع أبي تمّام في قوله:

إِذا أَتَتِ الإِساءَةُ مِن لَئيمٍ وَلَم أُلُمِ المُسيءَ فَمَن أَلومُ ([4])

يتساءل المتنبّي إذا أساء إليه وضيع لئيم ولم يوجه اللّوم إليه فإلى من يوجّه اللّوم مــستمدّاً قوله من بيت أبي تمّام :

إِذا أَنا لَم أَلُم عَثَراتِ دَهرٍ أُصِبْتُ بِها الغَداةَ فَمَنْ أَلومُ ([5])

ويوجد تشابه في البناء الفنيّ للبيتين من حيث استخدام ألفاظ بعينها مثل أداة الــشّرط "إذا" ولفظة "اللّوم" عند كلا الشّاعرين إلا أن الإساءة عند المتنبّي تأتي من اللّئيم , بينما هي عند أبي تمّام آتية من عثرات الدّهر .

ويتواصل المتنبّي مع ديك الجن في قوله:

غُصنٌ عَلى نَقَوَيْ فَلاةٍ نابِتٌ شَمسُ النَّهارِ تُقِلُّ لَيْلاً مُظْلِما ([6])

---

1) أبو العتاهية , ***أشعاره وأخباره*** */ 635.*

2) المتنبي , ***الديوان*** , 3 / 143.

3) أبو العتاهية , ***أشعاره وأخباره*** */ 639.*

4) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 152.

5) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 538.

6)المتنبي , ***الديوان*** *4 / 29* .

فيصوّر المتنبّي قامة محبوبته بالغصن الّذي ينبت على كثيب من الرّمل , ووجهها بالشّمس الّتي تحمل ليلاً مظلماً مضمّناً صورة ديك الجن لفظاً ومعنى , حيث يقول :

دِعْصٌ يُقِلُّ قَضيبَ بانٍ فوْقَهُ   شمسُ النّهارِ تُقِلُّ ليلاً مُظْلِما ([1])

ولكنّ المتنبّي كان أكثر توفيقاً في رسم صورته لأنّه رتّب أوصاف المحبوبة , فبدأ بردفهـا وقدها ووجهها وشعرها , بينما بدأ ديك الجن بقدّها ثم بردفها ثم عاد إلى وجهها وشعرها.

ويتواصل المتنبي مع عليّ بن الجهم حينما يمدح عبد الـرّحمن بـن المبـارك الأنطاكيّ بقوله :

نَفسُهُ جَيشُهُ وَتَدبيرُهُ النَّصـ   ـرُ وَأَلحاظُهُ الظُّبا وَالعَوالي ([2])

حيث يصف المتنبّي قوّة ممدوحه وشجاعته , ورجاحة عقله , فشجاعته تقوم مقام جـيش , وحسن تدبيره وإصابته الرّأي يكفل له النّصر , وهيبته تقوم مقام السّيوف والرّمـاح فـي النّصر , وهو هنا يستمدّ هذه الصّورة من قول عليّ بن الجهم :

فَهِمَّتُهُ جَيشٌ وَعَزمَتُهُ سُرىً   وَفِكرَتُهُ حَربٌ وَآراؤُهُ جُندُ ([3])

ويتواصل المتنبّي مع البحتريّ في قوله :

إِذا ما تَأَمَّلتَ الزَمانَ وَصَرفَهُ   تَيَقَّنتَ أَنَّ المَوتَ ضَربٌ مِنَ القَتلِ ([4])

فيعدّ المتنبّي الموت نوعاً من القتل , وذلك أنّ من لم يقتل بالسّيف ومات بتقلـب الزّمـان عليه كمن قتل , وهو هنا متأثّر في معناه ببيت البحتريّ :

---

1) ديك الجن , ***الديوان / 118.***

2)المتنبي , ***الديوان 3 / 198.***

3) ابن الجهم, علي , ***الديوان / 122.***

4) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 51.

رَأى بَعضُهُم بَعضاً عَلى الحُبِّ أُسوَةً   فَماتوا وَمَوتُ الحُبِّ ضَربٌ مِنَ القَتْلِ ([1])

والبحتريّ يعدّ أنّ قتل الحبّ لهم كقتل السّيف ,أي ضرباً من ضـــروب القتـــل , لأنّ فيـــه تعذيباً للمحبّين , أدّى إلى القضاء عليهم , فيكون طرف آخر ساهم في عمليّة القتل ألا وهو الحبّ . أما المتنبّي فقد ذهب إلى أبعد من ذلك , فإن كان الحبّ مـــصدراً مـــن مـــصادر التعذيب النّفسي لدى البحتريّ , فإنّ الزّمان وصروفه يحتلّ تلك المكانة ويقوم بالمـــسؤولية نفسها , فتقلّبات الزّمان وتأثيره على الإنسان بما يجلبـــه مـــن مـــصائب وأوزار لا يقـــدر الإنسان على تحمّلها , توهي من عزمه وتوصله إلى الموت . وهذا التّعذيب النّفسي لا يقلّ وطأة عن التّعذيب البدنيّ , ومن هنا عدّ المتنبّي الموت الحاصل جرّاء المعانـــاة الحياتيّـــة نوعاً من القتل الّذي هو أشدّ عنفاً وضراوة من الموت الطبيعيّ المفاجئ .

ويقول المتنبّي :

فَإِنَّ الجُرْحَ يَنْفِرُ بَعدَ حينٍ   إِذا كانَ البِناءُ عَلى فَسادِ([2])

فيرى المتنبّي أنّ أعداء ممدوحه يطوون له العداوة في أنفسهم إلى أن تمكّنهم الفرصـــــة , لذلك يطلب إليه المتنبّي ألا يبقيهم ضارباً المثل بالجرح الّذي يرمّ على فساد , فيكون بناؤه على غير قواعد , فيكون الفساد أقرب إليه من الصّلاح , وهو هنا متأثّر لفظاً ومعنى بقول البحتريّ :

إِذا ما الجُرْحُ رُمَّ عَلى فَسادٍ   تَبَيَّنَ فيهِ تَفريطُ الطَّبيبِ ([3])

يلاحظ هنا تقارب ألفاظ الشّاعرين , واشتراكهما بالمعنى الّذي يتعلّق ببناء الجسم الإنسانيّ .

---

[1]) البحتري , ***الديوان*** 1 /408.
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 363.
[3]) ***البحتري , الديوان*** 1 / 440.

ويتواصل المتنبّي مع ابن المعتزّ في توضيح رؤيته وموقفه من الحياة , فيقول :

ذو العَقْلِ يَشْقى في النّعيمِ بِعَقْلِهِ   وَأَخو الجَهالَةِ في الشَّقاوَةِ يَنْعَمُ ([1])

فيهجو المتنبّي ابن كيلغ من خلال التّعريض به بقوله : إنّ العاقل يشقى وإن كان في نعمة, لتفكّره في عواقب الأمور , وعلمه بتغيّر الأحوال , والجاهل ينعم لغفلته , وعدم تفكرّه في عواقب الأمور مستلهماً قول ابن المعتزّ الّذي يبيّن أنّ الدّنيا جميلــة فــي نظــر الإنــسان الجاهل , ومرة في نظر الإنسان العاقل :

وحَلاوَةُ الدُّنيا لِجاهِلِها   وَمَرارَةُ الدّنْيا لمن عَقِلا ([2])

كما يتواصل المتنبّي مع ابن الرّومي , فيقول :

وَتَفوحُ مِن طيبِ الثَّناءِ رَوائِحٌ   لَهُمُ بِكُلِّ مَكانَةٍ تُستَنشَقُ ([3])

فيمدح المتنبّي شجاع محمد بن أوس الرّضاء الأزديّ , فهو يتميّز بالشّهرة والذّكر الحسن في كلّ مكان لكثرة المثنين عليه , كالرّائحة الطيّبة الّتي تنتشر بالآفــاق مــستوحياً معنــاه ولفظه من قول ابن الرّومي :

أعبقْتَهُ من طيب ريحِك نفحةً   كادَتْ تكونُ ثَناءَك المَسْموعا ([4])

استيحاء صور الشّعراء

ويستوحي المتنبّي كثيراً من صوره ممّن سبقه من الشّعراء ومن الأمثلة علــى ذلــك تواصله مع امرئ القيس حينما يشيد بفروسيّته وفروسيّة من معه بقوله :

يَتَقَيَّلونَ ظِلالَ كُلِّ مُطَهَّمٍ   أَجَلِ الظَّليمِ وَرِبْقَةِ السِّرحانِ ([1])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 124.
[2]) نفسه 4 / 124 .
[3]) نفسه 2 / 338.
[4])ابن الرومي , ***الديوان*** 2 /537.

فيصف المتنبّي سرعة خيولهم , وهي إذا ما طرَدت النّعام والــذّئاب أدركتهــا , فقتلتهــا ومنعتها من العدو مستوحياً قول امرئ القيس :

وَقَدْ أَغتَدي وَالطّيرُ في وُكُناتِها بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ ([2])

فكلا البيتين في وصف الخيل إلا أنّ المتنبّي زاد على قوله أجل الظليم , فاستحق المعنـــى بهذه الزّيادة .

ويرسم المتنبّي صورة جميلة تبيّن رقّة وجه ممدوحه وجمالـــه , وشـــدّة حيائـــه , فيقول:

ورِقَّةُ وَجْهٍ لَو خَتَمْتَ بِنَظْرَةٍ عَلى وَجْنَتَيهْ ما انِمَحى أَثَرُ الخَتَمِ ([3])

فممدوح المتنبّي الحسين بن اسحق التّنوخي يتميّز برقة وجهه الّذي ينمّ عن كرمه وحيائه , حتى إنّه لو نظر إليه ناظر لظهر أثر ذلك النّظر على وجهه لرقّته كأثر الخـــتم الّـــذي لا يختفي , مستوحياً قول امرئ القيس حينما وصف امرأة أحبها في رحلته إلى قيصر الـــرّوم لطلب المناصرة منه في قوله :

مِنَ القاصِراتِ الطَّرفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ مِنَ الذَرِّ فَوقَ الإِتْبِ مِنها لأَثَّرا ([4])

فمحبوبة امرئ القيس رقيقة وناعمة , حتى إنّه لو مرّ فوق اتبها" قميصها " الصّغير مـــن الذّر لأثّر في جلدها , والمتنبّي بذلك نقل معنى امرئ القيس من الغزل إلى المديح .

ويمدح المتنبّي هارون بن عبد العزيز الأوراجيّ الكاتب بقوله :

مُتَفَرِّقُ الطَّعمَينِ مُجتَمِعُ القُوى فَكَأَنَّهُ السَّرّاءُ وَالضَّرّاءُ ([5])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** *, 4 / 179.*
[2]) امرؤ القيس , ***الديوان*** / 51.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 4 /55.
[4]) امرؤ القيس , ***الديوان*** /96.
[5]) المتنبي , ***الديوان*** *1 / 25.*

فيصوّر المتنبّي قوى ممدوحه بأنّها مجتمعة غير متفرقة , وفيه حلاوة لأوليائـــه ومـــرارة لأعدائه , ويتمثّل المتنبّي صورة لبيد في قوله :

مُمقِرٌ مُرٌّ عَلى أَعدائِهِ وَعَلى الأَدنَينَ حُلْوٌ كَالعَسَلْ ([1])

حينما وصف أخاه أربد بأنه شديد على أعدائه , وفيه حلاوة لأوليائه . فـالمتنبّي تـشرّب هذه الصّورة , وصاغها بلغته .

ويتواصل المتنبي مع جرير, فيقول :

يُرَوْنَ مِنَ الذُّعرِ صَوتَ الرِّياحِ صَهيلَ الجِيادِ وَخَفقَ البُنودِ ([2])

إن الأعداء لما هربوا من الممدوح , كانوا يظنّون من شدة خوفهم وفزعهم صوت الرياح صهيل الخيول , مستوحياً صورة جرير في قوله :

ما زِلتَ تَحسِبُ كُلَّ شَيءٍ بَعدَهُمْ خَيلاً تَكُرُّ عَلَيكُمُ وَرِجالا ([3])

وجرير يهجو في البيت الأخطل وقومه , فيصفهم بأنّهم من شدّة خوفهم وذعرهم يظنّـون كلّ شيء خيلاً وفرساناً يغيرون عليهم . والمتنبّي ضمّن عجز بيت جرير, معيداً بناءه بمـا يتّسق وتجربته الشّعرية , فجرير جعل كلّ شيء يخيفهم , أما المتنبّي فقد خـصّ الريـاح بذلك .

ويتواصل المتنبّي مع الطّرماح , فيقول :

كَأَنَّها الشَّمسُ يُعيِي كَفَّ قابِضِهِ شُعاعُها وَيَراهُ الطَّرفُ مُقتَرِبا ([4])

---

[1]) لبيد , ***الديوان*** / *155.*
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 344.
[3]) جرير , ***الديوان*** 1 / 53.
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 111.

فيشبّه المتنبّي محبوبته بشعاع الشّمس في القرب من الطّرف , واستحالة القــبض عليــه , مستوحياً صورته من قول الطّرماح الّذي يشبه فيه نفسه بالشّمس حين تتوسط الــسّمــاء , حيث إنّ العيون تراها إذا اقتربت , ولكن لا يستطيع أحد أن يصل إليها :

أنا الشَّمْسُ لَمّا أَنْ تَغَيَّبَ لَيْلُها وَغارَت فَما تَبْدُو لِعَيْنٍ نُجومُها

تَراها عُيونُ النّاظِرينَ إِذا بَدَتْ قَريباً وَلا يَسْطيعُها مَنْ يَرومُها ([1])

والصّورة رغم أنّها مستمدّة من شعر القدماء الذين شبّهوا وجه المرأة بالشّمس جديدة كــلّ الجدّة بهذا الجمال المتمنّع كشعاع شمس يأخذ العين فتراه قريباً منها , وتعيي الكــفّ عــن قبضه مع أنّه يظلّ في مكانه مقيماً([2]).

ويتواصل المتنبّي مع أبي نواس , فيقول :

يَتَعَثَّرنَ بِالرُّؤوسِ كَما مَرَّ رَ بِتاآتِ نُطْقِهِ التَّمْتامُ ([3])

فيصوّرالمتنبّي حركة الخيول في أرض المعركة , حيث كانت تتعثّر برؤوس القتلــى مــن الأعداء , ممّا عاق حركتها وسرعة عدوها مستوحياً الصّورة الّتي رسمها أبو نوّاس لرجل قد أثقلت الخمرة حواسّه , فأصبح يتعلثم في حديثه كالفأفاء , فجعل تعثّر الخيل في ســيرها كتردد التّمتام في حروف التّاء إذا حاول النّطق بها , حيث يقول :

وَشَكا إِلَيَّ لِسانُهُ مِنْ سُكرِهِ بِتَلَجلُجٍ كَتَلَجلُجِ الفَأفاءِ ([4])

ويتكرّر هذا النّمط من التّشبيه لدى المتنبّي بصورة مختلفة حينما يصوّر تبدّد شــمل القبيلتين بين ما تبدّد من القبائل الّتي هربت من بين يدي سيف الدّولة فقلتا وخفيتــا خفــاء راءين في لفظ الألثغ إذا كرّرهما في قوله :

---

[1])ابن حكيم , الطرماح , ***الديوان*** / 435.
[2]) ينظرالهاشم , جوزف , ***أبو الطيب المتنبي*** – شاعر الطموح *والعنفوان* /83.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** *, 4 / 98.*
[4]) أبو نواس , ***الديوان*** /20.

قُشَيْرٌ وبَلْعَجلانِ فيها خَفِيَّةٌ   كَراعَيْنِ في أَلْفاظِ أَلْثَغَ ناطِقِ ([1])

ويتواصل المتنبّي مع دعبل الخزاعيّ في قوله :

بِلادٌ إِذا زارَ الحِسانَ بِغَيْرِها   حَصى تُرْبِها ثَقَّبْنَهُ لِلمَخانِقِ ([2])

فيصف المتنبّي تراب تلك الأرض الّذي ينوب عن العنبر , وحصاها الذي ينوب عن الــدّر والياقوت , فالنّساء الحسان بأرض غيرها يثقبنه كما يثقب اللؤلؤ ويتحلين به , وينظمنه في عقودهن وهو في قوله هذا يستلهم صورته من قول دعبل الخزاعيّ :

فَكَأَنَّما حَصَباؤُها في أَرضِها   خَرَزُ العَقيقِ نُظِمْنَ في سِلْكِ ([3])

فكلا الشّاعرين صوّر حصى الأرض بالعقد.

ويتواصل مع ابن الرّومي في تصوير بعض فئات المجتمع المنحرفة , فيقول :

ما زِلْتُ أَعْرِفُهُ قِرْداً بِلا ذَنَبٍ   صِفْراً مِنَ البَأْسِ مَمْلوءًا مِنَ النَّزَقِ ([4])

ويهجو المتنبّي اسحق بن كيلغ , فهو لا يزال يعرفه في صورة القرد إلا أنّه لا ذنب لـــه , ويعرفه جباناً فارغاً من الشّجاعة إلا أنّه قد امتلأ حمقاً وطيشاً مستوحياً قول ابن الرّومـــي في هجائه الخصيان :

مَعْشَرٌ أشبهوا القُرودَ ولكن   خالفوها في خِفَّةِ الأرواحِ ([5])

فابن الرّومي يهجو فئة من المجتمع " الخصيان " ذات عادات سيئة , بتشبيههم بالقرود في الجبن والحماقة والطّيش , وكنّى عن ذلك بخفة الأرواح .

توظيف مواقف الشّعراء وقصصهم

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** , 2 / 324.

[2]) نفسه 2 / 318 .

[3]) الخزاعي , دعبل , ***الديوان*** / 145.

[4])المتنبي , ***الديوان*** 2 / 359 .

[5])ابن الرومي , ***الديوان*** 1 /588.

ويوظّف المتنبّي بعض قصص الشّعراء ومواقفهم , ومن الأمثلة على ذلــك قــصّة عروة بن حزام في بكائه على صاحبته عفراء , فيقول :

فَكَأَنَّ كُلَّ سَحابَةٍ وكَفَتْ بِها　　　تَبْكي بِعَيْنَي عُرْوَةَ بنِ حِزامِ ([1])

ويوظّف هذه القصّة في وقفة طلليّة , ليشبّه هطلان السّحاب على تلك الدّمن ببكاء عــروة بن حزام على فراق صاحبته , ليدلّل على كثرة ما تجري عليها من السّحب من الأمطار , بدليل أنّها محت آثار تلك الدّيار .

ويستوحي المتنبّي قصّة عشق مجنون ليلى في مدحه المغيث بن علــيّ العجلــيّ , فيقول :

تَلَذُّ لَهُ المُروءَةُ وَهْيَ تُؤْذي　　　وَمَنْ يَعشَقْ يَلَذُّ لَهُ الغَرامُ

تَعَلَّقَها هَوى قَيْسٍ لِلَيْلى　　　وَواصَلَها فَلَيْسَ بِهِ سَقامُ ([2])

فممدوح المتنبّي يعشق المروءة , ويجد فيها لذّة , كما عشق المجنون ليلى العامريـــّة , غير أنّ ممدوحه واصل المروءة رغم ما تنطوي عليه من تكاليف وتعب ونــصب , فلــم يورثه حبها سقماً , كما أورث عشق ليلى قيساً الجنون حين لم يجد إلى وصــلها ســبيلا . فغرض المتنبّي من توظيفه هذه القصّة إظهار عشق ممدوحه الكرم , وما يؤول إليه حالــه بسبب الكرم .

توظيف الأمثال في شعر المتنبي

ويستوحي المتنبّي كثيراً من الأمثال في شعره , ومن الأمثلة على ذلــك اســتيحاؤه المثل القائل : " **لو ذات سوار لطمتني** " ([3]) في قوله :

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 /7.

[2]) نفسه 4 / 75.

[3]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 3 / 70.

رَماني خِساسُ النّاسِ مِن صائِبِ اسْتِهِ وَآخَرُ قُطْنٌ مِن يَدَيْهِ الجَنادِلُ ([1])

فيبيّن المتنبّي أنّ له شأناً عظيماً , على الرّغم من أنّ أراذل النّاس يعيبونه بعيوب هي فيهم, وآخرون لم يؤثّر قولهم فيه لحقارتهم , فهو يستوحي هذا المثل ليبيّن أنّ اللّئيم يمكن أن يظلم الكريم .

ويستثمر المثل في رسم صورة من صور مجتمعه , حيث يقول :

مَن لي بِفَهْمِ أُهَيْلِ عَصْرٍ يَدَّعي أَن يَحسَبَ الهِندِي فيهِم باقِلُ ([2])

فهو يسخر من حساده وعذاله , ويصفهم بالجهل , والبعد عن الفضائل , فهم لا يفرقون بين العالم والجاهل , ولا الناقص من الفاضل . فيقول : من يكفل لي بفهم أهل عصر يدّعون أنّ باقلاً كان يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب ؟ وهو هنا يوظّف المثل " **أعيا من باقل** " ([3]) لفظاً ومعنى وقافية لمساعدته رسم صورة حسّاده وعذّاله وبعدهم عن الفضائل .

ويمدح المتنبّي أبا الفضل بقوله :

إِذا لَمْ تُجزْهُم دارَ قَومٍ مَوَدَّةٌ أَجازَ القَنا وَالخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الوُدِّ ([4])

فيصف جيش الممدوح بقوله : إذا بلغوا في أسفارهم منازل قوم لا تكون بينه وبينهم مودّة, أجازتهم رماحهم , فلم يخافوا أهل النّاحية , وأن تخاف خير من أن تُحبّ لأنّ من أطاعك خوفاً منك , كان أبلغ طاعة في هذه الحالة .مستوحياً المثل القائل : " **رهبوت خير من رحموت** " ([5]) أي لأن ترهب خير من أن ترحم .

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 174.
[2]) نفسه 3 / 260.
[3]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 / 320.
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 62.
[5]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 / 25.

ويمدح سعيد بن عبد الله بن الحسين الكلابيّ المنبجيّ :

تُرابُهُ في كِلابٍ كُحْلُ أَعيُنِها وَسَيفُهُ في جَنابٍ يَسْبِقُ العَذَلا ([1])

فيبيّن المتنبّي حبّ قبيلة الممدوح - كلاب - له , فهم لشدّة حبّهم له يكتحلون بالتّراب الّذي يمشي عليه . وسيفه في جناب – وهم قبيلة عدوه - يسبق ملامة من يلومه في قتلهم , وهو بقوله : " يسبق العذلا " يستوحي المثل القائل : " **سبق السّيف العذل** " , وأصل هذا المثل أنّ رجلاً في الجاهليّة قتل قاتل ابنه في الحرم , فقال له النّاس بعد أن لاموه : قتلت في الشّهر الحرام ! فقال : " سبق السّيف العذل " فأرسلها مثلاً ومعناه : قد سبق من الفعل ما لا سبيل إلى ردّه . ([2]) ليشير إلى شقاء أعداء الممدوح بعداوته .

كما يصوّر المتنبّي معاناته وغربته عن أهله ووطنه وحيرته في قوله :

لَقَدْ لَعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بِها وَبي وَزَوَّدَني في السَّيْرِ ما زَوَّدَ الضَّبّا ([3])

حيث فارق المتنبّي محبوبته من غير أن يودعّها , ولم يوفّق في العودة إلى وطنه والاجتماع بها موظّفاً المثل : " **أحير من ضبّ** " ([4]) , لمساعدته في التّعبير عن حالته الوجدانية , فكما أنّ الضّب لا يهتدي إلى جحره إذا خرج منه , فكذلك المتنبّي لم يوفق في الرّجوع إلى وطنه والاجتماع مع أحبته .كما أنّ الضّب لا يتزوّد بالماء في الصّحراء , كذلك البين منع المتنبيّ من التّزود بالحبّ .

ويستوحي المتنبّي في مدح عليّ بن أحمد بن عامر أحمد الأنطاكي المثل القائل : " **تسمع بالمعيديّ خيرا من أن تراه** ", ويضرب لمن خبره خير من مرآه . ([5]) , فيقول :

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 167.
[2]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 /86.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 60.
[4]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 348.
[5]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 196.

وَما زِلْتُ حَتّى قادَني الشَّوقُ نَحْوَهُ   يُسايِرُني في كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ

وَأَستَكْبِرُ الأَخْبارَ قَبلَ لِقائِهِ   فَلَمّا اِلتَقَيْنا صَغَّرَ الخَبَرَ الخُبْرُ ([1])

انتشر ذكر الممدوح بين النّاس , فأصبح المتنبّي يستعظم كلّ ما يسمعه عنه ويستكبره حتى زاره وخبره , فوجده أعظم مما يسمع عنه . فكما أنّ النّعمان وجد مخبر المعيديّ أفضل من منظره , فكذلك المتنبّي وجد الممدوح فوق ما وصف له .

ويمدح المتنبّي سيف الدّولة , فيقول :

وَإِذا ما خَلا الجَبانُ بِأَرضٍ   طَلَبَ الطَّعنَ وَحْدَهُ وَالنِّزالا ([2])

فيعرّض المتنبّي بالرّوم بقوله : إن الجبان إذا كان منفرداً بعيداً عن الأقران , يطلب الطّعان والمنازلة , فإذا شعر بقوة مقاتله رجع إلى طبعه وفرّ , وهذا شأن الرّوم مع سيف الدّولة , فهم شجعان ما لم يروه مستوحياً المثل : "**كلّ مجرٍ في الخلاء يُسَرُّ** "([3]) , ليصوّر سيف الدّولة بالشّجاعة والإقدام وقوة البأس , والأعداء بالجبان المغرور الّذي يتظاهر بالشّجاعة .

ويمدح المتنبّي سيف الدّولة ساخراً بدمستق الرّوم , فيقول :

يُسَرُّ بِما أَعْطاكَ لا عَنْ جَهالَةٍ   وَلَكِنَّ مَغْنوماً نَجا مِنكَ غانِمُ ([4])

فيسرّ الدّمستق بما غنمه سيف الدّولة من جيشه , لأنّ هذه الغنائم كانت له بمثابة الفداء , إذ نجا هو , وانشغل عسكر سيف الدّولة بها عنه , فكانت سبباً لأن ينجو بنفسه وهو هنا

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 155.

[2]) نفسه *3 / 143.*

[3]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 3 / 11.

[4]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 391.

يستوحي معنى المثل القائل : " **السّلامة إحدى الغنيمتين** " ([1]) ليرسم صورة سيف الدّولـــة الشّجاع مهيب الجانب , وصورة العدو الّذي يعدّ النّجاة من المعركة غنيمة .

وهكذا يتبيّن لنا أنّ أبا تمّام والمتنبّي تواصلا مع التّراث الأدبــيّ بمختلــف أشــكاله وأنواعـــه , آخذين منه ما يتّسق وتجربتهما الشّعريّة , ومظهرين براعة فائقة في تعاملهما مع النّصوص الأدبيّة الّتي تمثلاها أوأدخلاها في بنية شعرهما , حيث طبعها كــلّ منهمــا بطابعه الخاصّ من خلال تحميلها شحنات خاصّة تعبّر عــن رؤى كــلّ منهمــا بأجمــل صياغة.

واختلفت طريقة أبي تمّام في تواصله مع التّرات الأدبي عن المتنبّي , حيــث أوقفنــا علـــى أسماء طائفة من الشّعراء الّذين اطّلع على شعرهم , وبما رصده من أخبار دقيقة تتعلّق ببعضهم من ناحية أخرى , وعلى عادته انطلق من المتناقضات حتّى فيما عرض من أسماء عــرف أصـــحابها بأنّهم رجال حرب وشعراء قتال مثل عمرو بن كلثوم واضعاً في مقابلهم آخرين بعيدين عن الغـــزو, بل فضّلوا شريعة السّلم والعطاء السّخي مثل حاتم الطّائي . وفي دائرة المتناقــضات أيــضاً يــورد أسماء شعراء الحرب , ويضع أمامهم مجموعة أخرى لا صلة لها بالقتال , بل ارتضت لنفسها حياة اللّهو والتّرف والتّغزل بالنّساء والنّسيب بهن . وفي مقابل ما يعدّد مـــن شـــعراء اللّهـــو والمجـــون يستشهد في أكثر من موضع بمن عرفوا بحكمتهم وفصاحتهم من شعراء وخطباء لهم مكانة هامّـــة في التّاريخ الأدبيّ .

أما المتنبّي فقد بنى طريقته في التّعامل مع التّراث الأدبي على استيعاب كثير مـــن أشـــعار السّابقين , فأصبحت معانيها وألفاظها وتراكيبها وصورها مادة ترفده بقصد أو بغير قـــصد جـــاعلاً النّص المستدعى جزءاً من مكوّنات نصّه الشّعري . ورغم تأثر المتنبّي بالقدماء , إلا أنّه لـــم يكـــن

[1]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 / 129.

صورة مطابقة لهم , كما لم يكن مقلّداً أو مسلوب الإرادة , بل احتفظ في شعره بشخـــصيّته وبـــروح عصره , فجاءت أشعاره موافقة لرؤيته وموقفه الشّعوري الخاص به.

الفصل الثالث

التّراث التّاريخيّ في شعر أبي تمّام والمتنبي

التّراث التّاريخيّ في شعر أبي تمّام والمتنبّي

تنبّه النّقاد القدماء إلى أهمية التّاريخ , ولذلك حثّوا الشّعراء على التّزود بالأخبار القديمـــة . كما أورد ابن رشيق في قوله عن الشّاعر : " وليأخذ نفسه بحفظ الشّعر والخبر , ومعرفة النّـــسب وأيّام العرب ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الأمثال , وليعلق بنفسه بعـــض أنفاسهم , ويقوى طبعه بقوّة طباعهم " ([1]) .

التّراث التّاريخي في شعر أبي تمّام

تعدّ الثّقافة التّاريخية المصدر الثّالث من مصادر ثقافة أبي تمّام , وهو من أغنـــى مـــصادره في المعاني وأغزرها , ويرجع ذلك إلى سعة ثقافته التّاريخية الّتي أفاد منها , وتفنّن فـــي صـــياغتها معاني مختلفات([2]) .

شخصيّات تاريخيّة :

كان تكرار أبي تمّام أسماء الأعلام وبخاصّة في مفاخره ومدائحه من مقوّمات قصيدتـــه , وهي من المواد التّاريخيّة الواقعيّة , فهي أسماء لها هالات من الفخـــر القـــديم , والمـــآثر الحميـــدة كالرّؤساء والقادة والفرسان والأجواد أو من ذوي الصّفات والسّجايا المستحبّة أو ممّن كانـــت لهـــم مواقف مشهورة , أو اشتهروا بسمات خاصّة . ففي معرض حديثه عن فتح عمّورية , يـــشير إلـــى الإسكندر المقدونيّ , وكسرى وأبي كرب أحد ملوك التّبابعة , وذلك في قوله :

وَبَرْزَةِ الوَجْهِ قَد أَعْيَتْ رِياضَتُها　　　كِسْرى وَصَدَّت صُدوداً عَن أَبي كَرِبِ

بِكْرٌ فَما افتَرَعَتْها كَفُّ حادِثَةٍ　　　وَلا تَرَقَّت إِلَيها هِمَّةُ النُّوَبِ

مِن عَهْدِ إِسكَندَرٍ أَو قَبلَ ذَلِكَ قَد　　　شابَتْ نَواصي اللَّيالي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ

---

[1]) ***العمدة*** 1 / 177.

[2]) ينظر الربداوي , محمود , ***الفن والصنعة في مذهب أبي تمام*** /146.

حَتّى إِذا مَخَّضَ اللهُ السِّنينَ لَها   مَخْضَ البَخيلَةِ كانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ ([1])

فأبو تمّام يبيّن عظمة فتح المعتصم مدينة عمّوريّة وذلك من خلال الإشارة إلى هاتين الشّخصيتين فعمّوريّة مدينة عريقة قديمة , فمنذ عهد الاسكندر وأبي كرب تتعصّى على الدّهر الذّي يهرم ويشيب من دونها . ويبدو أنّ هذه المدينة تأبّت على الفرس , حتّى إنّ كسرى قد أرهق وأعيا من متابعة احتلالها وامتلاكها , وكانت فوق مقدرة ملوك التّبابعة على التّفكير بها وإمكان اقتحامها , وهذا إيحاء بوجود المنعة والتحصينات لحمايتها . وبخاصّة أنّ كسرى له إهابه التّاريخي , حيث يمنح التّجربة هالات لا نهائية من الإيحاءات على الفتوح والانتصارات , ومثله أبو كرب وإن كان أقلّ إيحائيّة .

ويوظّف أبو تمّام كسرى في مدحه لإسحق بن إبراهيم فيقول :

راحَ التَّنَصُّلُ مَعقوداً بِأَلسُنِهِم   لَمّا غَدا السَّيفُ في أَعناقِهِم حَكَما

كانوا عَلى عَهْدِ كِسرى في الزَّمانِ وَلَنْ   يَسْتَشْرِيَ الخَطْبُ إِلاّ كُلَّما قَدُما ([2])

ويشيد أبو تمّام بقتل الممدوح هؤلاء الأعداء , لكثرة إثارتهم الفتن والشّر منذ عهد كسرى فهو هنا ذكر كسرى , ليؤكّد على أنّ الشّر مزروع فيهم منذ القدم , فهم يستحقون المصير الّذي آلوا إليه , فهم قوم لا يتّعظون بما حدث لهم فيما مضى .

ويوظّف قصّة كسرى مع قيصر في قوله :

تُزَفُّ إِلَيكُم يا بنَ نَصرٍ كَأَنَّها   حَليلَةُ كِسرى يَومَ آواهُ قَيصَرُ ([3])

فيفخر أبو تمّام بشعره في خاتمة قصيدته , حيث يشبّه قصيدته بأنّها جميلة كحليلة كسرى .

ويتواصل أبو تمّام مع النّعمان بن المنذر في قوله :

وَكَأَنَّما أَهدى شَقائِقَهُ إِلى   وَجَناتِهِنَّ بِها أَبو قابوسا ([1])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان***1/ 47 – 49.

[2]) نفسه 3 / 171.

[3]) نفسه 2 / 217.

يتبادر إلى ذهن أبي تمّام شقائق النّعمان , حينما يصف حمرة خدود الفتيات الجميلات , فكأنّها مهداة من النّعمان لجمالها , وهذه الشّقائق نسبت إليه لأنّه وقف على شقيقة قد أنبتت هذا النّور , فـــأمر أن يحمى فقيل شقائق النّعمان([2]).

ويتواصل مع كلّ من قيس بن زهير([3]) والحارث بن مضاض([4]) اللّذين عرفا بأشد غربـــة وأطولها عرفتها العرب , فيقول :

إِنَّ خَيْراً ممّا رَأَيْتُ مِنَ الصّفْــ ... حِ عَنِ النّائِباتِ وَالإِغماضِ

غُربةٌ تَقْتَدي بِغُرْبَةِ قَيْسِ بـــ ... نِ زُهَيْرٍ وَالحارِثِ بنِ مُضاضِ

غَرَضا نَكْبَتَيْنِ ما فَتَلا رَأْ ... ياً فَخافا عَلَيهِ نَكْثَ انتِقاضِ([5])

فقد قرّر أبو تمّام أن يغترب غربة تقتدي بغربة هذين الرّجلين , وذلك لفراق محبوبته لـــه , حيـــث يرى أنّ هذه الغربة أفضل من الصّبر على نائبات الدّهر.

كما يتواصل أبو تمّام مع الحارث بن عبّاد ([6]) في موقفه من الحرب , وذلك في قوله :

لا تُنْكِرَنْ أَن يَشْتَكي ثِقْلَ الهَوى ... بَدَني فَما أَنا مِن بَقِيَّةِ عادِ

كَمْ وَقْعَةٍ لي في الهَوى مَشهورَةٍ ... ما كُنتُ فيها الحارِثَ بنَ عُبادِ ([1]).

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 264.

[2]) نفسه 2 / 264.

[3]) قيس بن زهير هو أمير عبس وداهيتها الذي قاد قومه في حروب داحس والغبراء , ثم زهد آخر عمره , ثم رحل عن ديار قومه إلى عمان. ينظر البغدادي , ***خزانة الأدب*** 3 /536.

[4]) الحارث بن مضاض : من قبيلة جرهم كان يتولى رعاية البيت الحرام, ثم خرج مـــن بـــلاده حتـــى ضربت الأمثال باغترابه .ينظرالمسعودي , ***مروج الذهب*** 2 / 50 وأبو تمـــام , ***الـــديوان*** 2 / 309 – 310.

[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 /309 – 310.

[6]) الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري من العراق(? - 74 ق. هـــ) ، أحد فحول شعراء الطبقـــة الثانية، وأحد سادات العرب وحكمائها وشجعانها، انتهت إليه إمرة بني ضبيعة وهو شاب وفي أيامه كانت حرب البسوس فاعتزل القتال مع قبائل من بكر. ثم إن المهلهل قتل ولداً له اسمه بجير ظلماً، حين أرسله في الصلح وبلغ من حلمه وحكمته أن يكون دمه سبباً للصلح , ولكن المهلهل ازداد في تجبره , وعد دم بجير كفاء شسع نعل أخيه كليب , فثار الحارث ونادى بالحرب , ونُصرت به بكر علـــى تغلـــب وأســـر المهلهل. ينظر , الأصفهاني , ***الأغاني*** 5 / 31.

ذكر الحارث في مقدمة غزليّة مخاطباً صاحباً له عذله في هواه , فبيّن أبو تمّام له أنّه لــن يتراجــع عن موقفه من الحبّ, ويفقد صبره كما فعل الحارث في موقفه حينما تراجع عن موقفه من الحرب .

ويتواصل مع الحارث بن عبّاد مرّة أخرى في تحذيره لبني مالك التّغلبيين من مغبّة التّمــرد على ممدوحه أبي سعيد الثّغري , فيقول :

أَتاكُم سَليلُ الغابِ في صَدرِ سَيفِهِ سَناً لِدُجى الإِظلامِ وَالظُّلمُ هاتِكُ

أَلَحَّ وَما حَكتُم وَلِلقَدَرِ التَقى غَريمانِ في الهَيجا مُلِحٌّ وَماحِكُ

هُوَ الحارِثُ النّاعي بُجَيراً وَإِن يُدَن لَهُ فَهوَ إِشفاقاً زُهَيرٌ وَمالِكُ ([2]).

فيبيّن أبو تمّام لبني مالك أنّ الممدوح سيكون لهم كالأب الحاني إن أطاعوه , فسيكون لهــم بمثابــة آبائهم زهير بن جذيمة العبسي ومالك بن زهير فيشفق عليهم ويحسن إليهم , ولكن إذا استمرّوا فــي تمرّدهم وغيّهم , فسيكون لهم كالحارث بن عبّاد في غضبته حينما قتل بجير, فاســتيحاؤه لموقــف الحارث كان تهديداً لهم بشكل غير مباشر .

ومن زعماء قريش يتواصل مع قصيّ بن كلاب الملقّب بالمجمع ([3]) في قصيدة يرثي فيهــا إدريس بن بدر الشّاميّ القرشيّ :

وَماتَتْ نُفوسُ الغالِبِيّينَ كُلِّهِمْ وَإِلاّ فَصَبرُ الغالِبِيّينَ أَجمَعُ

غَدَوْا في زَوايا نَعْشِهِ وَكَأَنَّما قُرَيشٌ قُرَيشٌ يَومَ ماتَ المُجَمِّعُ ([4])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2/ 126.

[2]) نفسه 2/ 460 – 461.

[3]) لقب بالمجمع لأنه جمع قريشا حوله حينما أخرج خزاعة من مكة المكرمة, وأحل قريشا محلهم في رعاية البيت , وتولى هو نفسه قيادة ذلك ينظر ابن سعد , ***الطبقات الكبرى*** 1/ 71 وأبو تمام , ***الديوان*** 95/4.

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 /95.

فيشير أبو تمّام إلى مكانة المرثيّ بالنّسبة إلى قومه وأهميّته , حيث كان بمثابة قــصيّ بــن كــلاب لقريش , كما يصوّر وقع موته في نفوسهم , إذ وجدوا عليه حتّى نفد صبرهم , ممّا ذكّــره بحــزن قريش على قصيّ بن كلاب يوم وفاته , فربط بين هذين الموقفين .

وحينما يمدح الفضل بن صالح الهاشميّ ([1]), فإنّه يتواصل بشكل غير مباشر مع جده هاشــم ابن عبد مناف والهاشميّين من بعده :

ذو تَدْرَإٍ وَإباءٍ في الأُمورِ وَهَل جَواهِرُ الطّيْرِ إلاّ في جَوارِحِها

هَشْماً لأَنفِ المُسامي حَيْنَهُ فَسَما لِهاشِمٍ فَضْلُها فيها ابْنُ صالِحِها ([2])

فيحذّر أبو تمّام حاسد ممدوحه الّذي سعى بوشاية به إلى الخليفة , ويبيّن له أن هذا الممدوح حدّ يدفع به العدو والخصم , فمن أراد أن يحين موعد حينه وهلاكه , فليرتفع لمبارزة هاشم , وفيها ممدوحه الفضل ذو العزّة والمنعة والقوّة.

ويتواصل في مدح محمّد بن عبد الملك بن صالح الهاشميّ ([3]) مع كلّ من عبــد المطّلــب ابن هاشم وابنه العبّاس وذلك في قوله :

مَنْ ذا كَعَبّاسِهِ إذا اصطَكَّتِ الــ أ حسابُ أَم مَن كَعَبدِ مُطَّلِبِه ([4])

فيشيد أبو تمّام بشرف نسب ممدوحه وعراقته , فهو يتفوّق على من حوله بهذا النّــسب المتّــصل بالنّبي - صلّى الله عليه وسلم - أشرف الخلق والمرسلين .

---

[1]) الفضل بن صالح الهاشمي وهو والي دمشق , وهو الذي عمل الأبواب للمسجد والقبة التي في الصحن وتعرف بقبة المال. ينظر ابن عساكر , ***تاريخ مدينة دمشق*** 48 / 318.

[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 1/ 351.

[3]) محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب , شاعر وأديب كان ينزل قنسرين , وله مع المأمون خبر , بقي إلى أيام المتوكل , وجرت بينه وبين أبي تمام مخاطبات . ينظر الصفدي , ***الوافي بالوفيات*** 4 /35.

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 273.

أما زيد الخيل فارس طيّء في جاهليّتها وإسلامها ([1]), فقد تواصل معه أبو تمّام في قصيدة رثى بها قحبة بن حميد الطّائي :

اليَومَ أُدْرِجَ زَيدُ الخَيْلِ في كَفَنِ وَانَحلَّ مَعْقودُ دَمْعِ الأَعيُنِ الهُتُنِ ([2])

يعدّ أبو تمّام المرثيّ بمثابة زيد الخيل , فساد الحزن والبكاء , وذلك لأنّ المرثي يحتل مكانة في قومه تساوي مكانة زيد الخيل , ممّا جعل أبا تمّام ينطق باسم زيد الخيل عندما نعاه .

كما تواصل أيضاً مع زيد الخيل في الهجاء , فيقول :

فَأَشهَدُ ما جَسَرتَ عَلَيَّ إلاّ وَزَيدُ الخَيلِ عَبدُكَ في الشَجاعَه ([3])

فهو يسخر من جرأة شاعر هجاه , حيث فاقت جرأته جرأة زيد الخيل نفسه .

وفي ديوانه مواقف يفخر فيها بقومه , فيذكر كلاًّ من زيد الخيل , والطّائيين , وعمر ابن الغوث القلمّس أي الكثير العطاء وجاء ذكرهم , حينما غادر مصر خائب الرّجاء , يعزّي نفسه, فيقول :

رَأَيْتَ لَهُم بِشْراً على أَوجُهٍ لَهُمْ أَبى بَأْسُهُم أَلاّ يَكونَ لَها بِشْرُ

بِخَيلٍ لِزَيْدِ الخَيلِ فيها فَوارِسٌ إِذا نَطَقوا في مَشْهَدٍ خَرِسُ الدّهرُ

وَهَل خابَ مَن جِذماهُ في ضَنءِ طَيِّئٍ عَدِيُّ العَدِيِّينَ القَلَمَّسُ أَو عَمرُو([4])

ويكثر من التّواصل مع من اشتهروا بالجود في شعره وبخاصّة حاتم الطّائي , و من ذلك قوله :

---

[1]) زيد الخيل الطائي (? - 9 هـ) مزيد بن مهلهل من طيء، من أبطال الجاهلية. لقب زيد الخيل لكثرة خيله أو لكثرة طراده بها. وكان شاعراً محسناً، وخطيباً لسناً، موصوفًا ًبالكرم. أدرك الإسلام ووفد على النبي- صلى الله عليه وسلم- سنة 9 هـ في وفد طيء فأسلم وسر به الرسول- صلى الله عليه وسلم- وسماه (زيد الخير). ابن سعد , ***الطبقات الكبرى*** 1 /221 وابن حزم , ***جمهرة أنساب العرب*** / 403 .

[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 139.

[3]) نفسه 4/ 387.

[4]) نفسه 4 /571 – 576.

جَرى حاتِمٌ في حَلْبَةٍ مِنهُ لَو جَرى   بِها القَطْرُ شَأواً قيلَ أَيُّهُما القَطْرُ ([1])

فيعزّي أبو تمّام نفسه بعد خروجه من مصر خائباً بفخره بنفسه وبقومه , فهم قوم لايهمهم المـــال , وهم أول من شهر بالجود , إذ كان لحاتم بن عبد الله حلبة السّبق في هذا الميدان .

وفي خاتمة قصيدة مدح فيها أبا سعبد الثّغري الطّائي , يربط بين كرمه وكرم جــدّه حـــاتم الطّائي , فيجعله خليفة حاتم في الجود , فيقول :

أَساءَت يَداهُ عِشْرَةَ المالِ بِالنّدى   وَأَحسَنَتا فينا خِلافَةَ حاتِمِ ([2])

أما كعب بن مامة الإياديّ , فقد وظّفه أبو تمّام في معرض التّهكم والسّخرية من بخل الشّاعر محمد بن يزيد الأمويّ ([3]), وذلك من خلال مقارنته بين بخله , وجود كعـــب بـــن مامـــة الإياديّ :

بَخْ بَخٍ لَم يُدانِ جودَكَ يا أَز   هَرُ كَعْبٌ وَلا مُباري الرِّياحِ ([4])

أمّا الموضع الآخر فقد كان في هجاء عبد الله بن يزيد المباركيّ , إذ يصفه بالبخل ويـــدعوه إلى تركه , فيقول :

يا كَعْبُ بَذْلاً لِلْعَطايا ويا   أَصْفَقَ وَجْهاً مِنْ أَبي شاسِ ([5])

ويتواصل مرّة أخرى مع كعب بن مامة الّذي اشتهر بالإيثار , ويضيف إليه هرم بن ســـنان الّذي اشتهر بالكرم في مدح سليل بن المسيّب الكلابيّ , حيث يجعل ممدوحه يفوقهما إيثاراً وكرمـــاً وجوداً , وذلك في قوله :

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 574.

[2]) نفسه 3 / 221.

[3]) محمد بن يزيد الأموي المسلمي الحصني أبو الأصبغ من ولد مسلمة بن عبدالملك بن مروان ابن الحكم شاعر محسن ينظر ابن عساكر , ***تاريخ مدينة دمشق*** 56 / 283.

[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 335.

[5]) نفسه 4 / 379.

ما جادَ جودكَ إذْ تُعْطي بِلا عِدَةٍ   ما يُرْتَجى مِنْكَ لا كَعْبٌ ولا هَرِمُ ([1])

ويتواصل مع هرم بن سنان أيضا في مدح اسحق بن إبراهيم المصعبيّ , في قوله :

مَواهِبٌ لَوْ تَولّى عَدَّها هَرِمٌ   لَم يُحْصِها هَرِمٌ حَتّى يُرى هَرِما ([2])

فأبو تمّام تواصل مع هرم بن سنان ممدوح زهيرالّذي اشتهر بكرمه , ليبيّن أنّ ممدوحه قد فاق هرم بن سنان في الجود .

ويوظّف أبو تمّام أسماء مشاهير من أعلام طيّء ليفخر بهم :

سَما بِيَ أَوسٌ في السَماءِ وَحاتِمٌ   وَزَيدُ القَنا وَالأَثرَمانِ وَرافِعُ

وَكانَ إِياسٌ ما إِياسٌ وَعارِقٌ   وَحارِثَةٌ أَوفى الوَرى وَالأَصامِعُ ([3])

فأبو تمّام ازداد رفعة بما ورثه عن آبائه , والعظماء من قبيلة طيء وهم : أوس بن حارثة بن لام , وهو أوس بن سعدى الّذي اشتهر بالجود ([4]) , وحاتم الطّائي , وزيد الخيل والأثرمان وهما رجلان من طيّئ , ورافع بن عميرة وكان أبذل العرب , وإياس بن قبيصة الطّائي الّذي ولاّه كسرى الحيرة بعد النّعمان بن المنذر , وعارق وهو قيس بن جروة الطّائي وحارثة بن مرّ , وكان امرؤ القيس قد نزل به , والأصامع أيضًا من طيّء نزل بهم امرؤ القيس ([5]) . فهو هنا يتغنى بمجدهم المتألق وقوتهم وكرمهم واندفاعهم , فكأنّ المكرمات عندهم سنن لها مبادؤها القائمة .

ويمدح أبو تمّام قاضي الدّولة العباسية أحمد بن أبي دؤاد , فيبين فضل الممدوح وفضل قومه إياد , و يقرن ذلك بمدح طيء قبيلة أبي تمّام , فيجعل طيئاً وإياداً متساويتين في المحامد , فيقول :

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 286/3.
[2]) نفسه 3 / 174.
[3]) نفسه 4 / 585.
[4]) نفسه 4 / 585.
[5]) نفسه 1/ 351.

وَشَرِكتُموهُمْ دونَنا فَلأَنْتُمُ   شُرَكاؤُنا مِن دونِهِمْ في الجودِ

كَعبٌ وَحاتَمٌ اللَّذانِ تَقَسَّما   خُطَطَ العُلى مِن طارِفٍ وَتَليدِ ([1])

ويجمع أبو تمّام بين عدد من أسماء سراة النّاس في مدحه حفص بن عمرو الأزديّ ممثلاً له بهم , فيقول :

وَكُنتَ هُناكَ الأَحنَفَ الطِبَّ في بَني   تَميمٍ جَميعاً وَالمُهَلَّبَ في الأَزدِ

وَكُنتَ أَبا غَسّانَ مالِكَ وائِلٍ   عَشِيَّةَ دانى حَلْفَهُ الحِلْفُ بِالعَقْدِ ([2])

إنّ الممدوح كالأحنف بن قيس في قومه الّذي يضرب به المثل في الحلم , و ساد تميماً في البصرة, وأجمعوا عليه في حرب مسعود بن عمرو العتكيّ , وهو أيضا كالمهلّب بن أبي صفرة أحد الـولاة الشّجعان والأجواد , إذ لم يكن في الأزد كالمهلّب بن أبي صفرة, وكمالك بن مسمع البكريّ رئـيس ربيعة بالبصرة الّذي حالف بينهم وبين الأزد ([3]).

ويتواصل أيضا مع كلّ من خالد بن الوليد وهرثمة بن أعين ([4]), حيث يقول :

أَحيَيْتَ لِلإِسلامِ نَجْدَةَ خالِدٍ   وَفَسَحْتَ فيهِ لِمُتهِمٍ وَلِمُنْجِدِ

لَو أَنَّ هَرْثَمَةَ بنَ أَعْيَنَ في الوَرى   حَيٌّ وَعايَنَ فَضْلَهُ لَم يَجْحَدِ ([5])

إنّ الممدوح كخالد بن الوليد في نجدته للنبيّ _ صلّى الله عليه وسلّم _, وشجاعته يوم فـتح مكة وإيقاعه بأهل الغميصاء , فلو أنّ هرثمة بن أعين الّذي اشتهر بشجاعته وبلائـه فـي الثّغـور وفضله رآه , لأعجب بشجاعته ولم ينتقص منها .

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 392.

[2]) نفسه2 / 123.

[3]) ينظر ابن خلكان, ***وفيات الأعيان*** 2/ 305 ,5 /350 وابن حجر , ***الإصابة***3 / 509و3 / 462 و أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 122 -123.

[4]) هرثمة بن أعين الأمير ولي مملكة خراسان للرشيد وكان من رجال الدهر ورؤوس الدولة , له بلاء حسن في الثغور(ت 201 هـ) ينظر الذهبي , ***تاريخ الإسلام*** 14 / 420 والطبري , ***تاريخ الطبري*** – تاريخ الأمم والملوك 8 / 543.

[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 139.

ويقرن في قصيدة له بين المأمون وأبي بكر الصّديق وعمربن الخطّاب –رضي الله عنهمـــا – ويفضّله عليهما , حيث يقول :

يا وارِثَ المُلْكِ إنَّ المُلْكَ مُحْتَبَسٌ وَقْفٌ عَلَيْكَ إلى أَنْ تُنشَرَ الصّوَرُ

ما ضَرَّ مَنْ أَصبَحَ المَأْمونُ سائِسَهُ أَنْ لَمْ يَسُسْهُ أَبو بَكرٍ وَلا عُمَرُ([1])

فالمأمون يغني عن كلّ من أبي بكر وعمر , بل إنّه سليلهما , ويقوم مقامهما بكفاءة , وهذا تأييد من أبي تمّام مبطّن بالخلافة .

ويستحضر من التاريخ الرّاشدي شخصيّة عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه في مدح محمّـد ابن عبد الملك الزّيات ([2]):

أَمّا وَحَوضُكَ مَمْلوءٌ فَلا سُقِيَتْ خَوامِسي إِنْ كَفى أَرْسالَها الغَرَبُ

لَو أَنَّ دِجْلَةَ لَم تُحوِج وَصاحِبَها أَرضَ العِراقَيْنِ لَم تُحْفَرْ بِها القُلُبُ

لَم يَنتَدِبْ عُمَرٌ لِلإِبْلِ يَجْعَلُ مِنْ جُلودِها النَّقْدَ حَتّى عَزَّهُ الذَّهَبُ ([3])

فهو في هذه الأبيات يستثمر أحداثاً تاريخيّة من النّاحية الإدارية عند تشكيل الدّولـة الإسلاميّـة , وهي محاولة عمر - رضي الله عنه - صنع دراهم من جلود الجمال , لانتـشار غـشّ الـدّراهم المعدنيّة , فنبّهه بعض النّاس إلى أنّ ذلك قد يفني الإبل , فعدل عنه . ([4]) ووظّف هذه الحادثـة , ليبرّر لممدوحة مدحه غيره من أوساط النّاس , فالإنسان قد يضطرّ أحياناً إلـى فعـل الـشّـيء , فيفعله, وهو عالم أنّ غيره أفضل منه , فلولا حاجته لما اضطرّ إلى مدح الأوساط وتقريظهم , لكـنّ الفقر هو الّذي أجبره على ذلك , فعطاء الممدوح على كثرته لا يكفيه , كما أنّ أهل العراق لو كفاهم

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 221.

[2]) هومحمد بن عبد الملك بن الزيات (173 – 233هـ) وزير المعتصم والواثق , عالم باللغة والأدب ينظر ابن خلكان , ***وفيات الأعيان*** 2 / 54.

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 254 – 255.

[4]) ينظر نفسه 1 / 255 , والبلاذري , ***فتوح البلدان*** / 659.

دجلة والفرات على فيضهما لما حفروا الآبار, وكذلك عمر بن الخطاب لـو كفتـه النّقـود علـى كثرتها, لما حاول صنع نقود أخرى .

ويوظّف أبو تمّام شخصيّة عمرو بن معدي كرب الزّبيديّ , فيقول :

شِعْبي وَشِعْبُ عُبَيْدِ اللّهِ مُلتَئِمُ وكَيفَ يَخْتَلِفانِ السّاقُ وَالقَدَمُ

صَمْصامَتي اتَّهَموني في صِيانَتِها هَل كانَ عَمْرٌو عَلى الصَّمْصامِ يُتَّهَمُ([1])

ويعاتب أبو تمّام في هذه القصيدة أحد أبناء عمومته , بعد سعاية سعي بها ضدّه , ويبـيّن لـه أنّـه يصونه لأنّه يعدّه بمثابة السّيف الّذي يدافع به عن نفسه , فهو له بمثابة الصّمصامة لعمرو بن معدي كرب الّذي كان يدافع به عن نفسه فلا يفارقه .

ويتواصل مرّة أخرى مع عمرو بن معدي كرب في قوله يستنجز عبد الله بن طاهر([2]) وعداً لـه , ثم تأخّر في تنفيذه :

لَوْلا الأَميرُ وَأَنَّ حاكِمَ رَأْيِهِ في الشِّعرِ أَصبَحَ أَعدَلَ الحُكّامِ

لَثَكِلْتُ آمالي لَدَيْهِ بِأَسرِها أَوْ كانَ إِنشادي خَفيرَ كَلامي ([3])

فيوظّف أبو تمّام حكاية الصّمصامة حينما بعث عمر بن الخطّاب إلى عمرو أن يبعث بصمـصامته إليه فلمّا جرّبه , لم يجده كما سمع عنه , فكتب إلى عمرو في ذلك , فردّ عليه عمرو: إنّما بعثـت إلى أمير المؤمنين بالسّيف , ولم أبعث إليه بالسّاعد الّذي يضرب به . وأراد أبو تمّام مـن توظيـف هذا الموقف أن يبيّن أنّه لولا معرفة الأمير بالشّعر لذهبت آماله كلّهـا سـدى , فـضرب بعمـرو وصمصامته مثلا لنفسه وشعره عندما بعث به إلى عبد الله ولم ينشده بنفسه .

وجاء ذكر عمرو بن معدي كرب مقرونا بذكر بطل جاهليّ آخر , وهو مسهر بن يزيد بن

---

[1]) أبو تمام ,*الديوان* 4 / 492.

[2]) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي (182 – 230 هـ) أمير اعتمد عليه المأمون في قمع ثورة الخُرمية , له مؤلفات وشعر ينظر ابن خلكان , ***وفيات الأعيان*** 3 / 83 – 89 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 /282.

عبد يغوث الحارثيّ الّذي فقأ عين عامر بن الطّفيل يوم فيف الرّيح ([1]) , وبطلين من الفّرس هما اسفندياذ ورستم ([2]) :

لَـــهُ وَقْعَةٌ كانَتْ سَدىً فَأَنْرَتْها بِأُخْرى وَخَيْرُ النَّصْرِ ما كانَ مُلْحَما

لَقَد أَذْكَرانا بَأسَ عَمرٍو وَمُسْهَرٍ وَما كانَ مِنْ إِسفِنْدِياذَ وَرُسْتَما ([3])

خاض محمّد بن يوسف ممدوح أبي تمّام معركتين انتصر فيهما نصراً مؤزّراً , فأصبحتا علامة في الدّهر , ممّا ذكّره ببطولة كلّ من عمرو بن معدي كرب , ومسهر بن عمرو , واسفندياذ, ورستم .

ووظّف بعض أمراء الدّولة الأمويّة وقادتها حينما مدح أحمد بن أبي دؤاد , واعتذر إليه مستشفعاً بخالد بن يزيد , فيقول :

هَـذا الـوَليـدُ رَأى التَثَبُّتَ بَعْدَما قالوا يَزيدُ بنُ المُهَلَّبِ مودِ

فَتَزَحْزَحَ الزّوْرُ المُؤَسَّسُ عِنْدَهُ وَبِناءُ هَذا الإِفْكِ غَيْرُ مَشيدِ

وَتَمَكَّنَ ابنُ أَبي سَعيدٍ مِن حِجا مَلِكٍ بِشُكرِ بَني المُلوكِ سَعيدِ

ما خالِـدٌ لِـيَ دونَ أَيّوبٍ وَلا عَبْدُ العَزيزِ وَلَستَ دونَ وَليدِ ([4])

فيؤكّد أبو تمّام أنّه لم يأت إلى الممدوح معتذراً إليه رهبة منه بل خجلاً ممّا اتّهم به , وإنّ مثله في الاعتذار إليه مثل يزيد بن المهلّب الّذي استجار من الوليد بأيّوب بن سليمان بن عبد الملك وبعبد العزيز بن الولّيد فشفعا له . وما خالد الّذي يشفع لأبي تّمام بأقلّ منهما , وما ممدوحه بأقلّ من يزيد ابن المهلّب .

ويوظّف موقفاً لخالد بن يزيد بن معاوية في هجائه عيّاش بن لهيعة , فيقول :

وَلأُشهِرَنَّ عَلَيكَ شُنْعَ أَوابِدٍ يُحسَبْنَ أَسيافاً وَهُنَّ قَصائِدُ

---

[1]) ابن حزم , ***جمهرة أنساب العرب*** /416.
[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 241.
[3]) نفسه 3 /241-240.
[4]) نفسه1 / 394 – 395.

فيها لأَعناقِ اللّئامِ جَوامِعٌ   تَبقى وَأَعناقِ الكِرامِ قَلائِدُ

يَلزَمْنَ عَرْضَ قَفاكَ وَسْمَ خَزايَةٍ   لَم يُخْزِها بِأَبي عُيَينْةَ خالِدُ ([1])

لقد أخزي عيّاش لأنّه لم يقبل مديحه كما قبل خالد مديح أبي عيينة, وهو شاعر من أهل الشّام كـان قد قصد خالداً , فلقي خيراً([2]).

ويتواصل مرّة أخرى مع المهلّب في وصيّته, حيث يقول :

فَأَنْتَ العَليمُ الطَبُّ أَيُّ وَصِيَّةٍ   بِها كانَ أَوصى في الثِّيابِ المُهَلَّبُ ([3])

فهو يخاطب عليّ بن مرّ ويستهديه فرواً , وهو هنا يريد قول المهلّب لبنيه : "ما رأيت أحداً قطّ بين يدي إلا أحببت أن أرى ثيابي عليه , فاعلموا يا بني أنّ ثيابكم على غيركم أحسن منها عليكم " ([4])

ويستذكر عدداً من الخلفاء العباسيّين السّابقين والمعاصرين له في مدحه الواثق , إذ يقول :

نورٌ مِنَ الماضي عَلَيكَ كَأَنَّهُ   نورٌ عَلَيهِ مِنَ النَبِيِّ مُبينُ

يَسمو بِكَ السَفّاحُ وَالمَنصورُ وَالـ   مَهدِيُّ وَالمَعصومُ وَالمَأمونُ ([5])

فالواثق فخر لهؤلاء الأجداد ذوي المكانة العالية الّذين يتّصل نسبهم بالنّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – فهو يستمدّ نوره وهدايته وتاريخه منهم .

ويتواصل مع قطريّ بن الفجاءة وشبيب , إذ يقول :

لَو تَقَصَّوا أَمْرَ الأَزارِقِ خالوا   قَطَرِيّاً سَما لَهُمْ أَو شَبيبا ([6])

---

[1]) أبو تمام , *الديوان* 4 / 348.
[2]) نفسه 4 / 348.
[3]) نفسه 1 /281.
[4]) نفسه 1 /281.
[5]) ينظر نفسه 3 / 327.
[6]) نفسه 1/ 169.

فممدوح أبي تمّام في شدّته ونجدته كقطري بن الفجاءة التّميمي الّذي تفاقم أمره أيّام الحجاج وبني مروان حتّى سيّرت إليه البعوث العظيمة , وكشبيب بن نعيم رئيس الخوارج أيضاً , فهو مثلهم يطلب الموت في قتاله, ويرى فيه مصيراً أفضل من الحياة لأنّ مآله إلى الجنّة.

ومن المغنّين يتواصل مع معبد في مدحه لمحمد بن يوسف الطّائي , بقوله :

وَقائِعُ أَصلُ النَّصْرِ فيها وَفَرْعُهُ إِذا عُدِّدَ الإِحْسانُ أَو لَم يُعَدَّد

مَحاسِنُ أَصْنافِ المُغَنِّينَ جَمَّةٌ وَما قَصَباتُ السَّبقِ إِلاّ لِمَعبَدِ ([1])

إن ممدوحه هو السّابق إلى هذا النّصر, كما أن معبداً هو السّابق في مجال الغناء.

يلاحظ أنّ أبا تمّام قد وظّف كثيراً من الشّخصيات التّاريخية في شعره , فذكر بعـضها دون تعليقات أو ربطها بأحداث معينة , ووقف عند بعضها الآخر متأنيّاً متأمّلاً يأخذ من سيرته ما يلائـم موقفه .

الوقائع والمعارك

ويتخيّر أبو تمّام الوقائع والمعارك المشهورة في التّاريخ فيوظّفها في مدائحه , لا سـيّما حين يعرض لقبيلة الممدوح ووقائعها وأمجادها في الجاهليّة والإسلام , وقد كان يعـرف كيـف يحول التّاريخ شعراً , على شاكلة قوله في إحدى قصائده مادحاً ابا دلـف العجلـيّ ([2]) مبينـاً انتصار قومه في يوم ذي قار وفتكهم بالفرس , فسجّلوا بذلك مجداً حقيقياً عبر التّاريخ:

إِذا افتَخَرَت يَوْماً تَميمٌ بِقَوسِها وَزادَتْ عَلى ما وَطَّدَتْ مِن مَناقِبِ

فَأَنتم بِذي قارٍ أَمالَت سُيوفُكُم عُروشَ الَّذينَ اِستَرهَنوا قَوسَ حاجِبِ([3])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 29.

[2]) أبو دلف العجلي :القاسم بن عيسى بن إدريس , ولي دمشق في أيام المعتصم وكان من الأجواد الممدوحين ينظر , ابن عساكر , ***تاريخ مدينة دمشق*** 49 / 130.

[3]) أبو تمام , ***الديوان***1 / 207 – 208.

وكانت تميم قبل هذا اليوم أصابها جدب شديد, فابتغت الرّعي في أرض العــراق , فكاتــب والـــي الحيرة كسرى أن يأذن لهم بالرعي , فاشترط أن يقدّموا رهائن منهم , ولما بلغ ذلك رئيسهم حاجــب ابن زرارة قال : ليس معي إلا قوسي فاسترهنوها منه , ووفى لهم بما وافقهم عليه , فــصار ذلــك معدوداً في مناقب تميم , وإلى ذلك أشار أبو تمّام في هذه القصيدة . ([1]) فإن كانت قبيلة تميم تفتخر بما فعله حاجب بن زرارة , فإن ربيعة هزمت في ذي قار من رهن القوس عنــدهم , وفـــي هــذا المعنى الدّقيق الّذي نفذ إليه أبو تمّام ,علاوة على المديح الجديد , نزعة عربيّة في زمن كاد العــرب يفقدون سلطانهم ([2]).

ويوظّف يوم ذي قار مرّة أخرى في مدحه خالد بن يزيد بن مزيد الشّيباني , فيقول :

لَهُم يَومُ ذي قارٍ مَضى وَهوَ مُفْرَدٌ وَحيدٌ مِنَ الأَشباهِ لَيسَ لَهُ صَحْبُ

بِهِ عَلِمَت صُهْبُ الأَعاجِـمِ أَنَّــهُ بِهِ أَعرَبَت عَــن ذاتِ أَنفُسِها العُربُ

هُوَ المَشْهَدُ الفَصْلُ الَّذي ما نَجا بِهِ لِكِسرى بنِ كِسرى لا سَنامٌ وَلا صُلْبُ ([3])

فيوم ذي قار يوم مفرد لا شبيه له , استردّت فيه العرب كرامتها , فهو اليوم الّذي انتصرت فيه بنو شيبان على جيوش كسرى , وانكسرت شأفتهم في تلك الحرب الّتي كانت آخر الحروب الّتي شهدها العصر الجاهليّ , وفيها سجل العرب أول انتصار لهم على الفرس .

ويستوقف أبو تمّام من تاريخ العرب يوم الكلاب ذاكراً من شارك فيه , في شكره محمد بــن الهيثم بن شبانة , إذ لو استطاع أن يستعين بكلّ البشر لشكر هذا الممدوح لفعل ذلك , فيقول :

وَلَو أَنّي استَطَعْتُ لَقامَ عَنّي بِشُكرِكَ مَن مَشى فَوقَ التُّرابِ

وَجِئتُكَ في قُضاعَةَ قَد أَطافَت بِرُكنَي عامِرٍ وَبَني جَنابِ

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 /208 وينظر ابن عبد ربه , ***العقد الفريد*** 2 /20.

[2]) ينظر زراقط , عبد المجيد , دراسات **في الشعر العباسي وأعلامه** /326.

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 187 – 188.

وَلاستَنجَدتُ حَنظَلَةً وَعَـــمْراً ... وَلَم أَعدِل بِسَعدٍ وَالرِّبابِ

وَلاِستَرفَدتُ مِن قَيسٍ ذُراهــا ... بَني بَدرٍ وَصيدَ بَني كِلابِ

وَلاحتَفَلَت رَبيــــعَةُ لي جَميعاً ... بِأَيــّامٍ كَأَيــّامِ الكُــلابِ

فَأَشفي مِن صَميمِ الشُكرِ نَفسي ... وَتَركُ الشُكرِ أَثقَلُ لِلرِّقابِ ([1])

فهو هنا يقف من هذا اليوم موقف المؤرّخ والمبدع , إذ لا يكتفي بمجرد الإشارة إلى موقف وتنتهـي القضيّة , بل يرصد أطراف هذا اليوم فيعرض في بيان عسكريّ طبيعة القوات المتحاربــة مــذكراً بذاك الماضي , وتفاصيل وقائعه , وكأنّه كان شاهد عيان على أحداث ذلك اليوم . ممّا يبيّن قدرتــه على تطويع المادة التّاريخيّة لخدمة غرضه .

ويذكر يوم الذّنائب والتّحلاق في معرض تحذير أعداء ممدوحه مالك بن طوق مــن مغبــة البغيّ , فيعظهم ويخوفّهم في معرض النّصيحة , حيث يقول :

لا تَجعَلوا البَغْيَ ظَهْراً إِنَّهُ جَمَلٌ ... مِنَ القَطيعَةِ يَرعى وادِيَ النِّقَمِ

أَردى كُلَيباً وَهَمّاماً وَهاجَ بِهِ ... يَومُ الذَّنائِبِ وَالتّحلاقِ لِلّمَمِ

سَقى شُرَحبيلَ مِن سَمِّ الذُّعافِ عَلى ... أَيديكُمُ غَيْرَ رِعديدٍ وَلا بَرِمِ

بَزَّ التَّحِيَّةَ مِن لَخْمٍ فَلا مَلِكٌ ... مُتَوَّجٌ في عَماماتٍ وَلا عَمَمِ ([2])

ويحذّر أبو تمّام الأراقم التّغلبيين من مغبّة البغيّ وبخاصّة أنّ الممدوح أسلف لهم الخير , ولا يرغب أن يلوغ في دمائهم , وأنّه ليس شرهاً إلى التهام لحومهم , وأنّهم هم الّذين اســتثاروه بنــار الحقــد والتّعدي , ويمضي في تقريعهم , وحضّهم على الامتناع عن البغيّ , مبيناً لهم عواقبه ,مدعماً رأيــه بشواهد من التّاريخ , فالبغي قد أفنى كلاً من كليب بن ربيعة وهمام يوم الذنائب , ويــوم الــتّحلاق الّذي قتل فيه بنو تغلب شرحبيل بن ذهل بن شيبان من بني مرّة في حرب البسوس وهو غلام

---

[1]) أبو تمام ***الديوان*** 1 / 287 – 288.

[2]) نفسه 3 /191 – 193.

مراهق , فذكره أبو تمّام للممدوح, ليجعل قتله من مفاخر بني تغلب . ومن نتائج هذا البغيّ أيضاً أنّه أزال ملك لخم الّذين منهم بنو المنذر, فلم يبق لهم جماعات ولا عمم , أي شــرف بالمــلك([1]).

وقال يمدح أبا سعيد محمّد بن أبي دؤاد ([2]) :

تَثَبّتْ إنَّ قَوْلاً كانَ زوراً أَتى النُّعْمانَ قَبْلَكَ عَنْ زِيادِ

وَأَرَّثَ بَيْنَ حَيٍّ بَني جُلاحٍ حَرْبٍ وَحَيٍّ بَني مَصاد

وَغادَرَ في صُروفِ الدّهرِ قَتلي بَني بَدرٍ عَلى ذاتِ الإِصادِ ([3])

وفي معرض النّصيحة , يطلب أبوتمّام إلى ممدوحه ألا يستمع إلى كلام الوشاة الّــذين يــصطنعون قول الزّور للإيقاع به عنده مذكرّاً إيّاه بما فعله قول الزّور من حرب بين بني الجلاّح وحــيّ بنــي مصاد , وبنو بدر , حيث نجم عنهما كثير من القتلى ([4]).

فأبو تمّام يربط بين معارك جرت في عصره , وأخرى جرت في الزّمن الماضـــي , فيقلّــل من شأن المعارك الماضية على شدّتها , ومن ذلك إشارته إلى يوم قضّة , وهو يوم التّحالق وذلــك في مدح محمد بن سعيد الثّغري الذي أوقع بالرّوم في عدة معارك :

يَومُ بَكْرِ بنِ وائلٍ بِقِضاتٍ دونَ يَومِ المُحَمَّرِ الزِّنديقِ

---

[1]) يوم الذنائب ويوم تحلاق اللمم من أيام حرب البسوس بين بكر وتغلب, وكليب وهمام وشرحبيل من قتلاها ينظر أبو تمام , ***الديوان*** 3 /192 – 193والمولى , محمد أحمد جاد , ***أيام العرب في الجاهلية*** /146 – 165.

[2]) محمد ابن أبي دؤاد (ت 296هــ)الكاتب , كان عالماً بأيام الناس وأخبارهم ينظر الصفدي , ***الوافي بالوفيات*** 3 / 61 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان***1 / 378.

[4]) بنو جلاح وبنو مصاد هم أحياء من العرب , وذات الإصاد ماء كان الغاية في رهان داحس والغبراء , الذي وقعت به حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان , وبنو بدر هم حذيفة وأخوه حمَل قتلوا على جفر الهباءة بعد قصة السباق في ذات الإصاد ينظرالمولى , محمد أحمد جاد , ***أيام العرب في الجاهلية*** /264.

يَومُ حَلقِ اللِمّاتِ ذاكَ وَهَذا الــ يَومُ في الرّومِ يَومُ حَلقِ الحُلوقِ ([1])

ففي هذا اليوم حلقت فيه بكر بن وائل شعورها , وأمّا يوم الممدوح , فقد حُلقت فيه الرّقاب

ويوظّف في مدحه مالك بن طوق عدّة وقائع :

رَفَدوكَ في يَومِ الكُلابِ وَشَقَّقوا فيهِ المَزادَ بِجَحفَلٍ غَلاّبِ

وَهُمُ بِعَينِ أُباغَ راشوا لِلوَغى سَهمَيكَ عِندَ الحارِثِ الحَرّابِ

وَلَيالِيَ الحَشّاكِ وَالثَّرثارِ قَد جَلَبوا الجِيادَ لَواحِقَ الأَقرابِ ([2])

فهو يستعطف هذا الممدوح على هؤلاء القوم" الأراقم التغلبيّين " الّذين شقّوا عليه عــصا الطّاعــة , فيذكّره بتأييدهم لقومه فيما مضى , وتعاونهما على قيس في هــذه الوقعــات الّتــي كانــت بينهمــا وترافدهما , وأنّ كلّ واحد منهما إنّما ناهض الأعداء بالآخر , فيوم الكلاب , حيث كانت في ذلــك اليوم بنو تغلب مع سلمة , وكانت تميم مع شرحبيل, وهذا الكلاب الأول , أمّا الثّاني فكان بين تمــيم والرّباب , وبين بني الحارث بن كلب , حيث أراقوا ما كان معهم من الماء , وقــالوا لا نــشرب إلا من الكلاب وإلا متنا عطشا, وعين أباغ موقع كانت به وقائع في الدّهر الأول , والحارث الحــرّاب من ملوك العرب , وربما وصفوا كل ملك يقال له الحارث بالحرّاب , ويقال إنّه أول مــن وصــف بذلك من ملوك كندة , ثم قيل للحارث الغسانيّ . وكانت بنو تغلب مع النّعمان يوم جاء الحارث ابن أبي شمر إلى عين أباغ لمحاربة النّعمان , فهزموا الحارث الغسانيّ , والحشاك والثرثار موضــعان كانت بهما وقعتان لبني تغلب مع قيس عيلان , وكان بين قيس وتغلب عند الثّرثــار وقعتــان فــي

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 440/2 – 441.

[2]) نفسه *1* / 81 – 83.

يومين , الأول منهما كان لتغلب , فأكثروا القتلى من قيس , وأدركوا دماءهم يــوم الخــابور وزادوا على ذلك أيضاً , واما يوم الحشّاك , فإن تغلب تسميه يوم الدّابرة ([1]).

وقد يضيف أحياناً إلى الوقائع بعض الأحداث والشّخصيات والأماكن , وذلــك فــي مدحــه إسحق بن إبراهيم المصعبيّ حين أوقع بالمحمّرة أصحاب بابك :

وَقائِعُ أَشرَقَتْ مِنْهُنَّ جَمْعٌ
إلى خَيْفَيْ مِنىً فَالمَوقِفَيْنِ
مَحَوْتَ بِها وَقائِعَ مِن مُلوكٍ
وكُنَّ وَقَد مَلأتَ الخافِقَيْنِ
صَبيحَةَ خازِرٍ أَنسَتْ وَمَهْوى
عُبَيْدِ اللّهِ فيها وَالحُصَيْنِ
وَفَيْفَ الرّيحِ إذْ دَلَفَتْ مَعَدٌّ
بِأَجْمَعِها وَأُسْرَةُ ذي رُعَيْنِ
وَأَيّامَ الذَّنائِبِ زَعزَعَتْها
وَيَومَ مُهَلْهِلٍ وَالشَّعْثَمَيْنِ
وَأَيّامِ الكُلابِ غَداةَ هَزَّت
مُرارِيَيْنِ فيها مُتْرَفَيــْنِ
أَخٌ تَرَكَتْ أَسِنَّتُهُ أَخاهُ
تَليــلاً لِلجَبيــنِ وَلِليَدَيْــنِ
وَمِن ساتيدَما بَرْوازَ فَلَّت
شَبا فَخْرٍ فَسيحَ الطائِفَيــْنِ
بَلا فيها إياسٌ كُلَّ لَدْنٍ
وَكُلَّ مُصَمِّمٍ في العَظْمِ لِيْنِ
وَحُجْراً وَامرَأَ القَيسِ بنَ حُجْرٍ
لَيالــي كاهِلٍ وَبَني مُعَيــْنِ
وَيَومَ البِشْرِ أَنسَتْهُ وَهَدَّتْ
وَقائِعَ راهِــطٍ وَبَناتِ قَيــْنِ

---

[1]) ينظر والحموي , ***معجم البلدان*** 2 /263 والمولى , محمد أحمد جاد , ***أيام العرب في الجاهلية*** /51 .

وَيَومَ المَصْدقِيَّةِ حينَ سامُوا
أَنوشَرْوانَ خَطْباً غَيرَ هَيْنِ
فَأَضحَوْا بَعدَ عِزٍّ وَاِختيالٍ
وَهُم عِبَرٌ لأَهْلِ المَشرِقَيْنِ
رَدَدْتَ الدّينَ وَهْوَ قَريرُ عَيْنٍ
بِها وَالكُفْرَ وَهوَسَخينُ عَيْنِ ([1])

فهذه المعركة فاقت معارك من كانت قبله, وأنست حروبهم الّتي مضت وبخاصّة يوم خازر([2]), وفيف الريح ([3]) , والذنائب من أيام من حرب البسوس الّتي كانت بين بكر وتغلب , والشّعثمان : هما شعثم وشعيث ابنا معاوية بن عمر, وأيّام الكلاب حيث هزمت فيه ربيعة تميماً ووقعة إياس بن قبيصة الطّائي بقيصر وأصحابه بساتيدما , وقتل بني أسد حجراً, وقتله بني كاهل ([4]) ويوم البشر,([5]) ومرج راهط , ([6]) ويوم المصدقيّة ([7]) .فأبو تمّام يمتلك ثقافة تاريخيّة عظيمة , يسخّرها في خدمة شعره وتصوير ممدوحيه ومعاركهم .

ويوظّف أيضاً أيّام العرب عند انصرافه من مصر , فيواسي نفسه بفخره بقومه :

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 299 – 307.

[2]) وقعة خازر وهي وقعة إبراهيم بن الأشتر قائد المختاربن عبيد الله الثقفي الثائر الذي ادعى أنه يأخذ بدم الحسين, وعبيد الله بن زياد قائد جيش الأمويين , وكانت الغلبة فيه لابن الأشتر, والحصين هو الحصين بن نمير السّكونيّ كان على ميمنة ابن زياد , حيث قتل عبيد الله والحصين ينظرالمبرد , ***الكامل في اللغة والأدب*** 2 / 47.

[3]) وفيف الريح موقع بأعلى نجد كانت فيه وقعة بين بني عامر وعلى رأسهم عامر بن الطفيل وبني الحارث بن كعب ومعهم "مذحج" وهم من القحطانية ورمز لهم بأسرة "ذي رعين" ينظر ابن رشيق , ***العمدة*** 2 /225 والمولى , محمد أحمد جاد , ***أيام العرب في الجاهلية*** /132.

[4]) ينظر الحموي , ***معجم البلدان*** 3 /168 والمولى , محمد أحمد جاد , ***أيام العرب في الجاهلية*** /46 .

[5]) ويوم البشر: جبل في بادية الشام فيه ماء لتغلب وفي هذا اليوم أوقع الجحاف بن حكيم السّلمي ببني تغلب في هذا الموضع, فبقر بطون نسائهم وقتل أطفالهم , فعل ذلك غضباً حين استثاره الشاعر الأخطل أمام عبد الملك بن مروان , وضرب فيه المثل فقيل : " أفتك من الضحاك ينظر ابن رشيق , ***العمدة*** 2 / 225 والميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 / 88.

[6]) ومرج راهط قرب دمشق حدث فيه وقعة بين الضحاك بن قيس الفهري , ومروان بن الحكم سنة 64هـ ينظر القلقشندي , ***صبح الأعشى*** 1/ 450.

[7]) **يوم المصدقية : ويقصد بها المزدكية وهو يوم قتل أنو شروان مزدك** وصلبه ينظر القلقشندي , ***صبح الأعشى*** 13 / 298 والنويري , ***نهاية الأرب*** 15 / 148.

أَسْوَدَ نضّاخَ المَقَدِّ جَعْدا   وَنحْنُ كُنّا لِلنّبِيِّ جُنْدا

يَوْمَ بُزاخاتٍ وَرَدْنَ وِرْدا   وَعُدَّ لي بَدْراً وعُدَّ أُحُدا ([1])

فهو هنا يفخر بيوم بزاخات وهو يوم معروف كان للمسلمين في خلافة أبي بكر الصّديق , فهذا اليوم كان لهم بمثابة غزوة بدر وأحد في نصرتهم للإسلام والمسلمين([2]) .

ويوظّف أحداثاً من معركة صفّين في قوله :

وَلّى مُعاوِيَةٌ عــَنهُمْ وَقَد حَكَمَت   فيهِ القَنــا فَأَبى المِقــدارُ وَالأَمــَدُ

نَجّاكَ في الرّوعِ ما نَجّى سَمِيَّكَ في   صِفّينَ وَالخَيلُ بِالفُرسانِ تَنجَرِدُ ([3])

إنّ قائد الأعداء نجا من الموت , لأنّ أجله لم يكن قد انتهى بعد , كمعاوية بن أبي سفيان الّذي نجــا يوم صفّين رغم هزيمته .

و قوله :

أَتَصبِرُ لِلبَلوى عَزاءً وَحِسبَةً   فَتُؤْجَرَ أَم تَسْلو سُلُوَّ البَهائِمِ

وَلِلطُّرَّفاتِ يَومَ صِفّينَ لَم يَمُتْ   خُفاتاً وَلا حُزناً عَدِيٌّ بن حاتِمِ ([4])

فعدي بن حاتم كان مع عليّ – رضي الله عنه- في معركة صفّين , حيث قتل ثلاثة من ولده هــم : طريف وطرفة ومطرف الّذين يسمّون الطّرفات ([5]) , فأبو تمّام ذكر نكبة عديّ بــن حــاتم بمقتــل أبنائه, في معرض تعزية مالك بن طوق ومواساته في أخيه قاسم , فمصاب عديّ بن حاتم كان أفدح من مصابه , ولكنّه صبر .

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 /565 -566.

[2]) يوم بزاخات : هو من أيام العرب في الإسلام , كان في حروب الردة و وفيه نجح عدي بن حاتم الطائي في سحب 500 من طيء كانوا مع طليحة الأسدي, فحابوا مع المسلمين , وكانوا من أسباب النصر, وعدّ ذلك من مفاخر طيء . ينظر الطبري , ***تاريخ الطبري*** 2 / 256 – 265 وإبراهيم , محمد أبو الفضل , ***أيام العرب في الإسلام*** /151.

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 /14 – 15.

[4]) نفسه 3 / 259.

[5]) نفسه   3 / 259.

قبائل وأنساب

كان أبو تمّام على اطّلاع واسع بأنساب القبائل , من حيث أسماؤها وأخبارها وعاداتها وصفاتها , ومعرفة أبي تمّام بالأنساب تظهر بوضوح في شعره , فهو إضافة إلى ذكره أسماء القبائل , يتطرق إلى الحديث عن قبيلة ممدوحه , فيستعرض أسماء أجداده ومحاسنهم , ممّا ينمّ عن معرفة عميقة بهذا الموضوع .

ويوظّف أبو تمّام بعض عادات القبائل , ومن الأمثلة على ذلك :

كانَ الزّمانُ بِكُم كَلْباً فَغادَرَكُم بِالسّيفِ وَالدّهرُ فيكُم أَشهُرُ الحُرُمِ ([1])

فقبيلة كلب لم تكن تحرّم الأشهر الحرم في الجاهليّة . فاستثمر أبو تمّام هذه المعرفة حينما مدح مالك بن طوق , ليبيّن أنّه استطاع أن يخضع خصومه ومناوئيه , فأقام العدل والصّلاح مكان الفساد .

وفي موضع آخر , يشيد بنسب ممدوحه مالك بن طوق , فيقول:

ما مِنكُمُ إلاّ مُرَدّىً بِالحِجا أَو مُبْشَرٌ بِالأَحوَذِيَّةِ مُؤدَمُ

عَمرَو بنَ كُلثومِ بنِ مالِكٍ بنِ عَتّـ ـابِ بنِ سَعدٍ سَهْمُكُم لا يُسْهَمُ

خُلِقَتْ رَبيعَةُ مُذْ لَدُنْ خُلِقَتْ يَداً جُشَمُ بنُ بَكرٍ كَفُّها وَالمِعصَمُ ([2])

فالممدوح موصوف بالكمال , فنسبه عريق ويتّسم بالفروسيّة والشجاعة كجده الأعلى عمرو بن كلثوم بن عتّاب من وجوه تغلب الّذين يرجعون بنسبهم إلى جشم بن بكر , فتغلب ببطونها المختلفة المنتمية إلى جشم دريئة لقبائل ربيعة , إذ تدافع عنها وتصدّ عنها المخاطر.

كما يوظّف لقب لقريش عرف لها في الجاهليّة , فيقول :

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 190.

[2]) نفسه3 / 198.

حَلَفتُ بِالبَيتِ ذي المُلَبّينَ في الـــ إِسلامِ وَالحَلِّ قَبلُ وَالحُمُسِ

أَنَّ ابنَ طَوقِ بنِ مالِكٍ مَلِكٌ مالِكُ أَمرِ المَكارِمِ الشُّمُسِ ([1])

فالحمس لقب لقريش في الجاهلية, وأصله من الحماسة وهي الشّدة ([2]) فأبو تمّام أشار إلى هذا اللّقب في مدح مالك بن طوق , وذلك من خلال قسمه به , ليؤكّد مكارم هذا الممدوح الّتي بلغت ذروتها .

ويستوحي عدّة قبائل و شخصيّات , حيث يقول :

مَنْ بَنُو عامِرٍ مَنِ ابنُ الحُبابِ مَنْ بَنو تَغلِبٍ غَداةَ الكُلابِ

مَنْ طُفَيْلٌ مَنْ عامِرٌ وَمَن الحا رِثُ أَمْ مَنْ عُتَيْبَةُ بنُ شِهابِ

إِنَّما الضَّيغَمُ الهَصورُ أَبو الأَشْــ بالِ مَنّاعُ كُلِّ خيسٍ وَغابِ

مَنْ غَدَتْ خَيْلُهُ عَلى سَرْحِ شِعْري وَهْوَ لِلحَيْنِ راتِعٌ في كِتابي ([3])

فقد تواصل أبو تمّام مع بني عامر , وبني تغلب أيّام حرب الكــلاب , وفرســان مــن العــرب وشجعانهم وهم : طفيل بن عامر, والحارث بن عبّاد , وعتيبة بن شهاب , وعمير بــن الحبّــاب السلّميّ , في هجاء شاعر سرق شعراً له , وسار به إلى الممدوح وادّعاه, فهو بهذا الفعــل كــان أشدّ غارة وشجاعة من القبائل والفرسان الّذين ذكرهم .

وفي مدحه محمّد بن الهيثم بن شبانة يعدّد قبائل عدنانيّة وأخرى قحطانيّة , فيقول:

وَلَو أَنّي اِستَطَعْتُ لَقامَ عَنّي بِشُكرِكَ مَنْ مَشى فَوْقَ التُّرابِ

إِذاً شَكَرَتْكَ مَذْحِجُ حَيثُ كانَت بَنو دَيّانِها وَبَنو الضّبابِ

وَجِئتُكَ في قُضاعَةَ قَد أَطافَتْ بِرُكنَي عامِرٍ وَبَني جَنابِ

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 240.

[2]) نفسه 1 / 240.

[3]) نفسه 4 / 308

وَلاِستَنجَدتُ حَنظَلَةً وَعَـــمْراً وَلَم أَعْدِل بِسَعدٍ وَالرّبابِ

وَلاِستَرْفَدْتُ مِن قَيسٍ ذُراهــا بَني بَدْرٍ وَصيدَ بَني كِلابِ

وَلاحتَفَلَتْ رَبيــعَةُ لي جَميعــاً بــأَيــّامٍ كَــأَيّــامِ الكُلابِ

فَأَشفي مِن صَميمِ الشّكرِ نَفسي وَتَركُ الشّكرِ أَثقَلُ لِلرّقابِ ([1])

فهو يريد أن يطري على ممدوحه الّذي كان يهب له العطايا قبل أن يطلبها منه, فلكثرة عطايـــاه له , لو استطاع أن يأتي بكلّ أهل الأرض بما فيهم مذحج وبنو الضّباب وقضاعة وبنو جنـــاب وغيرهم ممّن ذكرهم ([2]) , ليوافيه حقّ شكره , لفعل ذلك.

ويقول في هجاء عيّاش بن لهيعة :

كِلا أبَوَيْكَ مِنْ يَمَنٍ وَلَكِنْ كِلا أَبَوَيْ نَوالِكَ مِنْ سَلولِ ([3])

فالمهجو يمنيّ الأصل , فلا يهجوه بهذا النّسب , بل يركّز في هجائه علـــى شخـــصه , فيتّهمـــه بالبخل من خلال نسبة كرمه إلى سلول المنعوتة بالهوان , وهم فخذ من قيس نسبوا إلـــى أمهـــم سلول ([4]).

وفي مدحه لخالد بن يزيد بن مزيد الشّيباني يعدّد آباءه "سلسلة نسبه " , وهـــذا لايتـــأتى معرفته إلاّ لعالم بالأنساب :

مَصونُ المَعالي لا يَزيــدُ أَذالَــهُ وَلا مَزيَدٌ وَلا شَريكٌ وَلا الصُّلْبُ

وَلا مُرَّتا ذُهلٍ وَلا الحِصنُ غالَهُ وَلا كَفُّ شَأوَيهِ عَلِيٌّ وَلا صَعبُ ([5])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 287 – 288.

[2]) مذحج لقب امرأة و اسمها مُدَلَّة وقيل دَلَّة وطيء من ولدها إلا أنهم لا ينسبون إليها , ونسب إليها إخوتهم فذكرها الطائي وذكر معها قضاعة لما تدّعيه من القربى إليهم وذكرغيرهم من العرب لأن الإصهار في القبائل وتزوج بعضهم إلى بعض , صير بينهم أسبابا من الخؤولة والقرابة. أماسعد : فيعني سعد بن عبد مناة من تميم , والرباب من بني عبد مناة بـــن أدّ بـــن طابخة , سمّوا بذلك لأنهم تحالفوا على ربٍّ , وقيل إنما سمّوا بذلك لأنهم ضروب شتّى فشبِّهوا بالرِّبة وهي ضـــروب نبـــت. ينظر نفسه 1 / 288 .

[3]) نفسه 4 / 418.

[4]) ينظر ابن حزم , ***جمهرة أنساب العرب*** / 271.

[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 1/ 182- 183 .

وفعل مثل ذلك في مدحة أخرى له في خالد بن يزيد , حيث يشيد بنسب هذا الممـــدوح , فينسبه إلى عدّة قبائل , وذلك في معرض طلبه لنواله :

بَكريِّها عَلَوِيَّها صَعبِيَّها الـــ حِصنِيِّ شَيبانِيَّها الصّنديدا

ذَهلِيَّـــها مُرِّيَّـــهـــا مَطَرِيّها يُمنى يَدَيها خالِدَ بنَ يَزيدا

نَسَبٌ كَأَنَّ عَلَيهِ مِن شَمسِ الضُّحى نوراً وَمِن فَلَقِ الصّباحِ عَمودا

عُريانُ لا يَكبو دَليلٌ مِن عَمىً فيهِ وَلا يَبغي عَلَيهِ شُهودا ([1])

يقول التّبريزي : " نسب الممدوح إلى هذه القبائل وهي على ما ثبت .... لأنّ هذا الممدوح من بني مطر , ومطر أدنى هؤلاء الآباء إليه" ([2]) , فآباؤه مشهورون كالنّجم الّذي لا يستره غيم .

وكثيراً ما يفتخر أبو تمّام بنسبته إلى طيّء , ويعتزّ بنسبه إليها , فيكثر من ذكر ذوي المجد من أجداده , فعدّد بعضهم كعديّ وعمرو وزيد وأدد كما يذكر بطنين منهما وهما الغـــوث وجديلـــة , فيقول :

وَهَل خابَ مَنْ جِذماهُ في ضَنءِ طَيِّئٍ عَدِيُّ العَدِيّينَ القَلَمَّسُ أَو عَمرُو

لَنا غُرَرٌ زَيدِيَّةٌ أُدَدِيَّـــةٌ إِذا نَجَمَتْ ذَلَّتْ لَها الأَنجُمُ الزُّهْرُ

لَنا جَوْهَرٌ لَو خالَطَ الأَرضَ أَصبَحَت وَبُطنانُها مِنهُ وَظُهرانُها تِبرُ

جَديلَةَ وَالغَوْثَ اللّذَينِ إِلَيهِما صَغَتْ أُذُنٌ لِلمَجْدِ لَيسَ بِها وَقْرُ ([3])

ويوظّف في قصيدة أخرى له في مجال الفخر أسماء رجال عرفوا بـــصفات يـــشهد لهـــم التّاريخ بها كقوله :

سَما بِيَ أَوسٌ في السّماءِ وَحاتِمٌ وَزَيْدُ القَنا وَالأَثْرَمانِ وَرافِعُ

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 412 – 413.

[2]) نفسه 1 / 412.

[3]) نفسه 4 / 571 – 572.

وَكانَ إِياسٌ ما إِياسٌ وَعارِقٌ   وَحارِثَةٌ أَوفى الوَرى وَالأَصامِعُ ([1])

فقد ازداد أبو تمّام رفعة بما ورثه عن آبائه , والعظماء من قبيلة طيّء وهم : أوس بن حارثة بن لام , وهو أوس بن سعدى الّذي اشتهر بالجود ([2]) , وحاتم الطّائي , وزيد الخيل والأثرمان وهما رجلان من طيّئ , ورافع بن عميرة وكان أبذل العرب , وإياس بن قبيصة الطّائي الّذي ولاّه كسرى الحيرة بعد النّعمان بن المنذر , وعارق وهو قيس بن جروة الطّائي وحارثة بن مرّ , وكان امرؤ القيس قد نزل به , والأصامع أيضًا من طيّء نزل بهم امرؤ القيس ([3]). فهو هنا يتغنّى بمجدهم المتألّق وقوّتهم وكرمهم واندفاعهم , فكأن المكرمات عندهم سنن لها مبادؤها القائمة . وهكذا فإنّ أبا تمّام يطوّع الحدث التّاريخي لشعره حتّى يزيده بروزاً وتصويراً,فلا نكاد ندري هل جعل الشّعر في خدمة التّاريخ , أم اتّخذ التّاريخ أداة لخدمة فنّه ([4]). فالأحداث والقصص التّاريخيّة في شعر أبي تمّام وردت بشكل مدروس يؤدّي خدمة معنويّة في النّص , وهو في تواصله مع الموروث التّاريخي لم يكن اعتباطيّاً، ولم ترد تلك الشّخصيات والأحداث دون قصد ، وإنّما تضافرت مجتمعة لتشكّل الدّلالة العّامة في النّص، بما يشبه العلامات الرّمزية الّتي تشكّل الرّسالة، وهذا هو التّوظيف الّذي يتجاوز مجرّد الاستشهاد أو الاقتباس أو غيرهما، وينفصل عمّا يمكن أن يسمّى بالأقنعة والمرايا.

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 585.
[2]) نفسه 4 / 585.
[3]) نفسه 4 / 585.
[4]) ينظر التطاوي , عبد الله , ***ثقافة أبي تمام من شعره*** / 89.

التّراث التّاريخي في شعر المتنبّي

توظيف أحداث ومواقف تاريخيّة

وظّف المتنبّي أحداثاً تاريخيّة في شعره , ومن الأمثلة على ذلك تواصله مع أحـداث من وقعة صفّين في قوله :

كُلٌّ يُريدُ رِجالَهُ لِحَياتِهِ   يا مَن يُريدُ حَياتَهُ لِرِجالِهِ ([1])

فهو يشيد بشجاعة سيف الدّولة لخطة له مع الإخشيد , أراد من خلالها أن يحقـن دمـاء المسلمين , حيث طلب سيف الدّولة إلى الإخشيد أن يتبارزا , ومن يقتل صاحبه منهمـا , ملك البلاد , فامتنع الإخشيد , وتوجه إليه بقوله , ما رأيت أعجب منك , أأجمع مثل هـذا الجيش العظيم لأقي به نفسي ثم أبارزك , والله لا فعلت ذلك أبدا . فأعجب المتنبّـي بهـذا الموقف فعبّر عنه بقوله لسيف الدّولة : كلّ الملوك يريدون رجالهم ليدافعوا عن أنفسهم من أعدائهم ويحموها , ليبقوا ويسلموا , ولكنك تدافع عن جيشك وتحميهم , وهذا غاية الكـرم والشّجاعة . وهو هنا يستوحي ما روي عن عليّ – عليه السّلام - : أنه بعث إلى معاوية, وهما بصفين : قد فني النّاس بيني وبينك , فابرز إليّ , فأيّنا قتل صاحبه ملك النّاس , فقال عمرو لمعاوية : قد قال لك حقاً وأتاك بالإنصاف . فقال معاوية لعمرو : أعلمت أنّ علياً برز إليه أحد , فرجع سالماً ؟ والله لا برز إليه سواك , فحمله حتّى برز إلى عليّ , فلمـا تقاربا كشف عن سوأته , فتركه عليّ ورجع إلى أصحابه بغيـر قتـال([2]) . فهدفـه مـن استيحائه هذه الحادثة الإشادة بموقف سيف الدّولة المشرّف , والتّعريض بموقف الإخشيد .

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 64.

2) ينظر نفسه 3 / 64 وابن الأثير , ***البداية والنهاية*** 7 / 293 .

وبخاصّة أنّ صورة سيف الدّولة مع الإخشيد تشبه صورة عليّ مع معاوية , فهذا الـنّص مناسب للمقام الّذي طرح فيه .

ويتابع تواصله مع أحداث التّاريخ في مقدمة غزليّة , فيقول :

تَأَلَّمُ دَرْزَهُ وَالدَّرزُ لَيْنٌ   كَما تَتَأَلَّمُ العَضْبَ الصَّنيعا ([1])

ويصف المتنبّي نعومة بدن محبوبته , حيث إنّها تتوجع إذا أصاب بدنها موضع الخياطة من ثوبها مع لينه كما يُتوجّع من السّيف , وهو هنا يستلهم هذا الوصف لمحبوبته من قصة محاصرة سابور لصاحب الحصن , ولم يقدر عليه , واتفق أن بنت ملكه وهي النضرة بنت الضيزن رأت سابور ، وكان جميل الصورة ، فعشقته . فأرسلت إليه تقول : إن ملكتك الحصن فما تجعل لي ؟ قال : حكمتك . قالت : تتزوج بي . فأجابها إلى ذلك,ودخل سابور الحصن وقتل ملكه وأصحابه واصطفى ابنته لنفسه فلما كانت ليلة دخولها عليه ، لم تزل متململة قلقة طول ليلتها ، فالتمس سابور ما الذي قلقت من أجله ، فإذا ورقة أس قد لصقت بعكنة من عكنها ، فقال لها ما كان أبوك يغديك ؟ فقالت : الزبد والمخ وشهد أبكار النحل والخمر ، فقال لها : أنا أحق منك بثار أبيك ، ثم أمر رجلا أن يركب فرسا جموحا وأن يربط غدائرها في ذنبه ويركض به ففعل ذلك ، فتقطعت . ([2]) . فهو هنا استلهم هذا الحدث التّاريخي ليرسم صورة المحبوبة المثاليّة الرّقيقة النّاعمة , ليجعلها معادلاً لممدوحه عليّ بن إبراهيم التّنوخي في تعامله مع أوليائه , رغم قوّته وبأسه وهيبته مع أعدائه .

ويوظّف المتنبّي أكثر من حادثة تاريخيّة في قوله :

---

1) المتنبي , ***الديوان*** / 251

2) ينظر النويري , ***نهاية الأرب في فنون الأدب*** 1 /352 - 353

أَشمتَ الخُلفُ بِالشّراةِ ([1]) عِداها   وَشَفى رَبَّ فارِسٍ ([2]) مِنْ إِيادِ([3])

وتَوَلّى بَني البَريدِيِّ بِالبَصــ   رَةِ حَتّى تَمَزَّقوا في البِلادِ ([4])

فيعرّض المتنبّي بالمؤامرة الّتي حاكها بعض الأشخاص للإيقاع بين كافور وابن الإخشيد , فاستدعى عدّة حوادث تاريخيّة , ليبيّن أثر الخلاف والشّقاق بيـــن الجماعـــات قديمـــــاً , حيث أدّى إلى شماتة أعدائهم بهم , إذ سبّب التّنازع تمكّن أعدائهم منهم , ومزّق صـــفوفهم وضيّع سطوتهم وهيبتهم . كما كان من الخوارج الّذين لم يظفر بهم المهلّب بن أبي صفرة إلاّ بعد أن نزغ الشّيطان بينهم , فقد قاتلهم المهلّب نحواً من ثلاثين شهراً , فلم يقدر عليهم, ثم وقع الخلف بينهم واقتتلوا , فوهنت شوكتهم, وتمكن المهلّب منهم , فلم يـــنج مـــنهم إلاّ القليل . أما إياد فقد كانت يداً واحدة , ثم تفرّقت كلمتهم , وتشتّتوا بأرض الجزيـــرة فنهـــد إليهم سابور ذو الأكتاف , وأفنى منهم خلقاً كثيراً , فتفرّقوا في البلاد .

واختلف بنو البريديّ ([5]) , فقتل أكبرهم أوسطهم , فما كان إلاّ أن خوى نجمهم , وذهب ملكهم وهلكوا جميعاً . ويلاحظ أن المتنبّي استغلّ هذه الحادثة بالذّات ليبيـّن أنّ وجـــود كافور حاكماً على مصر فيه ظلم لابن الإخشيد صاحب الحقّ الشّرعي بدلاً مـــن كـــافور الّذي كان في نظر المتنبّي لا يستحق شيئاً إلاّ الازدراء والتّحقير , فضرب هـــذه الحادثـــة مثلاً على وصول بعض النّاس بالحيلة والدّهاء إلى مناصب ليسوا أهلاً لها .

---

1) الشراة : هم فرقة من الخوارج سموا بذلك لأنهم شروا أنفسهم بالقتال في سبيل الدين , والشراة من أعمال دمشق ينظر ابن عساكر , ***تاريخ مدينة دمشق*** 37 /299 والمتنبي , ***الديوان*** 2/ 34.

[2]) رب فارس : سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن هرمـــز بـــن ســـابور. الطبري , ***تاريخ الطبري*** - 1 / 399.

[3]) وإياد : حي من معد ينظر ابن حزم , ***جمهرة أنساب العرب*** 1 / 10.

[4]) المتنبّي , ***الديوان*** 2/ 34.

[5]) بنو البريدي : كتاب , وثبوا بالبصرة واستولوا عليها في خلافة المنصور , واخرجوا ابن رائق فعظم شأنهم ,كانو ا إخوة ثلاثة : أبو عبد الله , وأبو سيف , وأبو الحسين . ينظر الذهبي , ***العبر*** 2 / 23 – 51.

توظيف شخصيّات تاريخيّة

وظّف المتنبّي شخصيّات تميّزت في مجال معيّن, ومن الأمثلة على ذلك تواصله مـــع أعلام اشتهروا في مجال الطّب عند اليونان , ومن ذلك قوله :

لَمّا وَجَدْتُ دَواءَ دائي عِنْدَها   هانَتْ عَلَيَّ صِفاتُ جالينوسا ([1])

فهو يوظّف جالينوس في مقدمة قصيدة له , ليبيّن أنّ دواءه هو وصال محبوبتـــه , ولـــيس في وصفات جالينوس الطّبيب .

ويتواصل مع جالينوس مرّة أخرى في قوله :

يَموتُ راعي الضّأنِ في جَهْلِهِ   مَوْتَةَ جالينوسَ في طِبِّهِ([2])

ليؤكّد أنّ الموت نتيجة حتميّة , فلا ينجو منه إنسان , سواء أكان شريفاً أم وضيعاً , عاقلا أم جاهلاً , فيموت الرّاعي الجاهل كما يموت جالينوس رغم علمه وحذقه في الطّب.

ويتواصل مع بقراط مرة أخرى ليدلّل على ذكاء كلب وصفه في قوله :

كَأَنَّها مِن سِعَةٍ في هَوْجَلِ   كَأَنَّهُ مِنْ عِلْمِهِ بِالمَقْتَلِ

عَلَّمَ بُقراطَ فِصادَ الأَكْحَلِ([3])

فيصف المتنبّي كلباً بقوله :كأن أنيابه من سعة فمه في صحراء , وكأنّه من تميّزه وعلمـــه بمقاتل الصّيد من غيرها , قدعلّم بقراط علم التّشريح , فأصبح يعلم المواضع الّتي يجـــوز فصدها كعرق الأكحل .

ويستدعي المتنبّي كليب بن ربيعة حينما مدح سيف الدّولة , حيث يقول :

وَالمَدحُ لابنِ أَبي الهَيجاءِ تُنجِدُهُ   بِالجاهِلِيَّةِ عَينُ الغيِّ وَالخَطَلِ

---

[1]) المتنبي , *الديوان* 2 / 196.

[2]) نفسه1 / 213.

[3]) نفسه 3 / 208.

لَيتَ المَدائِحَ تَسْتَوفي مَناقِبَهُ   فَما كُلَيْبٌ وَأَهْلُ الأَعْصُرِ الأُوَلِ

خُذْ ما تَراهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ   في طَلْعَةِ الشَّمسِ ما يُغنيك عَنْ زُحَلِ ([1])

ويعرّض المتنبّي في هذه الأبيات بأبي العبّاس النّامي حينما مدح سيف الدّولة في قـصيدة ذكر فيها آباءه الّذين كانوا في الجاهليّة , مبيناً له أنّ ذكره لهم عين الغيّ , فيطلب إليـه أن يمدح سيف الدّولة بما يشاهده منه , ويترك ما يسمعه عنه , فإن الشّمس تغنيه عن زحل , كما يغني ذكر حاضر سيف الدّولة عن ماضيه , فلا حاجة لذكر كليـب وأهـل الـدّهور السّابقة .

ويتواصل المتنبّي مع حاتم الطّائي في مدحه عبيد الله بن خراسان , حيث يقول :

تَمَثَّلوا حاتِماً وَلَوْ عَقَلوا   لَكُنْتَ في الجودِ غايَةَ المَثَلِ ([2])

حيث يصف كرم ممدوحه وجوده , فهو أكرم من حاتم الطّائي , فلو نظر النّـاس بعـين العـقل , لضربوا المثل بكرم ممدوحه وجوده بدلاً من حاتم الّذي يضرب به المثـل فـي الجود والكرم , حيث يقال " أجود من حاتم " ([3]).

ويستثمر المتنبّي أقوال الحكماء الّتي تصدر عن تجارب إنسانيّة , ومـن الأمثلـة على ذلك تواصله مع لقمان – عليه السّلام - كشخصيّة تاريخيّة في قوله: **من دافع بالذّل قبل الفقر , فقد تعجّل الفقر** " ([4]) , فيقول :

وَمَن يُنْفِقِ السّاعاتِ في جَمْعِ مالِهِ   مَخافَةَ فَقْرٍ فَالَّذي فَعَلَ الفَقْرُ ([5])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 80 – 81.
[2]) نفسه 3 /172.
[3]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 282.
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 151.
[5]) نفسه 2 / 150.

فيؤكّد أنّ الإنسان الّذي يجمع المال خوفاً من الفقر , فإنّه يعيش الفقر بعينه , لأن من كــان همّه جمع المال فقط بأيّة وسيلة كانت لا ينفقه , وبذلك فإنّه يتعرض للذّل والحرمان . فقــد وظّف المتنبّي قول لقمان في قوله ليرسم صورة الإنسان الــسّوي الزّاهــد فــي الحيــاة , والمسلّم بقضاء الله وقدره .

ويستلهم المتنبّي قول أبي بكر – رضي الله عنه – في وصيته لخالد بــن الوليــد بالتزام الثّبات والشّجاعة والإقدام : " **احرص على الموت توهب لك الحياة** " حين بعثه إلى أهل الردة . ([1]) , فيقول :

فَحُبُّ الجَبانِ النَّفسَ أَوْرَدَهُ التُّقى وَحُبُّ الشُّجاعِ النَّفسَ أَوْرَدَهُ الحَرْبا ([2])

ويرى المتنبّي أنّ الجبان يتّقي الحرب ويتجنّب القتال , حباً لنفسه وخوفاً عليها , والــشّجاع يخوض الحرب دفاعاً عن نفسه , فهو يرد الحرب إما لبلاء حسن يمجّد ذكره في حياتــه , وإما لقتل يبقي له ذكراً يقوم مقام حياته , ويصبح حياً عند الله – عزّ وجلّ – حسبما جــاء في قوله تعالى : ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَــاء عِنــدَ رَبِّهِــمْ يُرْزَقُونَ** ﴾ ([3]) , فالمتنبّي استلهم قول أبي بكر – رضي الله عنه – ليحثّ ممدوحه ســيف الدّولة على الثّبات والتّضحية , ليكون مهيب الجانب , ويحيا حياة كريمة , وذلك من خلال رسمه لصورة الإنسان المثال الّذي يقتدى به .

---

[1]) النويري , ***نهاية الأرب في فنون الأدب*** 3 / 6.

[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 65 .

[3]) آل عمران 169.

ويستوحي قول عليّ بن أبي طالب – كرّم الله وجهــه – " **كنّــا إذا اشــتدّ البــأس واحمرّت الحدق اتّقينا برسول الله – صلّى الله عليه وسلّــم – وكـــان أقربنـــا إلــى العــدو** " ([1]), فيقول :

الفارِسُ المُتَّقى السِّلاحُ بِهِ الــ ـمُثْني عَلَيْهِ الوَغى وَخَيْلاها ([2])

فيستوحي المتنبّي قول عليّ – رضي الله عنه – في محمّد – صــلّى الله عليــه وســلّم – ليرسم صورة عضد الدّولة الّتي تدلّ على شجاعته وإقدامه وتضحيته الّتي لا يــستطيع أن ينكرها العدو في المعارك , فهو يتقدم جيشه ويقيه بنفسه اقتداء بــالنبّي – عليــه الــصّلاة والسّلام - .

ويستلهم المتنبّي قول خالد بن الوليد – رضي الله عنه - في تصوير قيم الــشجاعة وذم الجبن :" لقد شهدت مئة زحف أو زهاءها , وما في بدني موضع شبر إلاّ وفيه ضربة أو طعنة أو رمية , وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير , فلا نامت أعين الجبناء, وما من عمل أرجى من لا إله إلا الله وأنا متترّس بها " ([3]) , إذ يقول :

وَإِذا لَم يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدٌّ فَمِنَ العَجْزِ أَنْ تَكونَ جَبانا ([4])

ليبيّن أنّ الموت لابدّ منه , ولا ينجو منه شجاع , ولا جبــان , فإنّ الجبن إذن من ضعف الهمّة وعجزها .

ويتواصل المتنبّي مع معاوية في قوله :

وَإِذا صَحَّ فَالزَّمانُ صَحيحٌ وَإِذا اِعتَلَّ فَالزَّمانُ عَليلُ ([5])

---

[1]) النويري , ***نهاية الأرب*** 18 / 170.
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 278.
[3]) ابن الأثير , ***أسد الغابة في معرفة الصحابة*** 2 /100.
[4]) نفسه 4 / 241.
[5]) نفسه 3 / 156.

فيمدح المتنبّي سيف الدّولة , ويربط بين سلامة صحة الأمير والزّمان , فإن صحّ الأمير , فإن الزّمان وأهله في صحّة وسلامة , فإذا ما اعتــلّ , فــإن الزّمـــان وأهلـــه معـــتلان ومضطربان , وهو هنا يستوحي قول معاوية : " نحن الزّمان , فمن رفعناه ارتفع , ومـــن وضعناه اتّضع . ويروى أنّه سمع رجلاً يذمّ الزّمان , فقال : لو يعلم ما يقـــول لـــضربت عنقه , إنّ الزّمان هو السّلطان "([1]) ليرسم صورة الممدوح المثال الّتي تتمثّل بالقوة وعلـــو المنزلة . فالنّصان متفقان على أنّ السّلطان هو الزّمان , والزّمان هو من يرفع مـــن كـــان سليماً ,ويضع من كان عليلاً .

ويتواصل المتنبّي مع عمر بن عبد العزيز في قوله :

نَحنُ بَنو المَوْتى فَما بالُنا نَعافُ مالا بُدَّ مِن شُرْبِهِ ([2])

حيث يعزّي المتنبّي عضد الدّولة في عمته قائلاً نحن أبناء الموتى , لأنّ آباءنا كلّهم ماتوا, فلا بد لنا من أن نرد الموت كما وردوه , فما بالنا نكره مالا بد منه , وهو يستوحي هـــذا المعنى من قول عمر بن عبد العزيز عندما كتب إلى أحد أصحابه يعزّيه في أبيه : " أمّـــا بعد , فإنّا أناس من أهل الآخرة سكنّا في الدّنيا , أمواتاً , آباء أمـــوات , أبنـــاء أمـــوات , فالعجب لميّت , يكتب إلى ميّت , يعزّيه عن ميّت ". ([3]) ليعبّـــر عـــن حقيقـــة المـــوت , وضرورة أخذ العبرة من هذه المصيبة والاستعداد له .

ويتواصل المتنبّي مع المأمون في قوله :

لَولا العُقولُ لَكانَ أَدنى ضَيغَمٍ أَدنى إِلى شَرَفٍ مِنَ الإِنسانِ

---

[1]) المبرد , ***الكامل في اللغة والأدب*** 1 /70.
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 211.
[3]) ابن عساكر ,***تاريخ مدينة دمشق*** 47 / 71.

وَلَمّا تَفاضَلَتِ النُّفوسُ وَدَبَّرَت   أَيدي الكُماةِ عَوالِيَ المُرّانِ ([1])

ويرى المتنبّي أنّ النّاس يتفاضلون في العقل , وكذلك سيف الدّولة , فلولا عقله ما كان السّلاح يغني شيئاً , فاستخدام السّلاح بالحرب إنّما يكون بالعقل , فلولا العقل ماعرف الإنسان كيفيّة صنع السّلاح , ولا كيفية استخدامه , وهو يستوحي هذا المعنى من قول المأمون : " الأجساد أبضاع ولحوم , وإنّما تتفاضل بالعقول فإنّه لا لحم أطيب من لحم " ([2]) , ليبيّن رجاحة عقل سيف الدّولة وحنكته في الحرب وحكمته وحسن تدبيره .

توظيف الأنساب في شعر المتنبّي

وقد وظّف المتنبّي في شعره تاريخ الأنساب , من خلال ذكر سلسلة النّسب لدى القبائل المختلفة أو الإشارة إلى بعض الأعلام في سلسلة النّسب العربيّ ممّا يدلّ على اطّلاعه على هذا العلم .

وكان من الطّبيعي أن يلّم المتنبّي بشيء من الأنساب لما عرف عن العربيّ اعتزازه بنسبه , كما أنّه وجد في ذكر النّسب مادّة يرضي ذكرها ممدوحيه , وبخاصّة أنّه عاش في أجواء أحيت في نفسه الرّوح القبليّة , سواء في البادية حيث تقتضي الحياة فيها تنافس القبائل في الاستقلال , واجتماع كلّ قبيلة ببطونها وأفخاذها يداً واحدة ضدّ القبائل الأخرى , أو في الكوفة الّتي كانت صورة مجسمّة للروح القبليّة في تخطيطها والحياة فيها . ومن ذلك تواصله مع أبناء نوح – عليه السّلام – في مدحه كافور :

وَمِنْ قَوْلِ سامٍ لَو رَآكَ لِنَسْلِهِ   فِدى ابنَ أَخي نَسْلي وَنَفْسي وَمالِيا ([3])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 174 – 175.

[2]) نفسه 4 / 174 – 175.

[3]) انفسه 4 / 293.

لو رأى سام أبو البيض من أبناء نوح كافوراً لفضله على نسله لنجابتــه , وجعــل نفــسه وإيّاهم فدى له , ورغم أنّ هذا البيت من قصيدة مدح إلاّ أنّه قد تــضمّن معنــى الهجــاء لكافور , إذ إنّ انتماءه إلى حام بن نوح تعريضاً بسواده الّذي كان يكره أن يذكّره به أحد.

وقد كان تواصل المتنبّي مع الأنساب ضرباً من السّخرية في مدحه كــافور يتعمّــد بتذكيره من خلاله أن لا نسب له , وذلك في قوله :

وَيُغنيكَ عَمّا يَنْسُبُ النّاسُ أَنَّهُ   إِلَيكَ تَناهى المَكرُماتُ وَتُنْسَبُ

وَأَيُّ قَبيلٍ يَستَحِقُّكَ قَدرُهُ   مَعَدُّ بنُ عَدنانٍ فِداكَ وَيَعْرُبُ ([1])

ويؤكّد المتنبّي هنا أنّه ليس من يستحق أن ينسب إليه كافور لأنّه فوق كلّ أحد , فهو فــي غنى عن الأنساب الّتي يذكرها النّسابون لغيره , لأنّ المكارم تنتهي إليه , وهو أصل لهــا وهذا شرف يغنيه عن النّسب , وقد جمع المتنبّي في بيته العرب جميعاً بــذكر معــد بــن عدنان الّذي يرجع إليه عقب عدنان كلّه([2]) . ويعرب الّــذي مثّــل قبــائل قحطان([3]) .

ويتابع المتنبّي تواصله بالأنساب في مدح كافور , حيث يقول :

عِندَ الهُمامِ أَبي المِسْكِ الَّذي غَرِقَت   في جودِهِ مُضَرُ الحَمْراءِ وَاليَمَنُ ([4])

فيجعل جود كافور يشمل العرب جميعاً , وذلك من خلال توظيفه لمضر الحمراء واليمن , وذلك لما يقال من وراثتها للذّهب عند اقتسام ملك نزار, أو إلى مــا عــرف عــنهم مــن اتّخاذهم الرّايات والعمائم شعاراً لهم في الحرب ([5]).

كما يتواصل مع مضر في قوله :

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 186.
[2]) كحاله , عمر رضا , **معجم قبائل العرب** 3 / 1121.
[3]) نفسه 3 / 1266.
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 238.
[5]) ابن منظور , ***لسان العرب*** , مادة مضر.

قَد كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ المَجْدَ مِن مُضَرٍ حَتّى تَبَحْتَرَ فَهْوَ اليَوْمَ مِنْ أَدَدِ ([1])

فهو يمدح رجلاً من بني بحتر – أحد بطون طـيّء وينتهـي نـسبه إلـى أدد بـن قحطان([2]). فيصفه بالجود ممّا يدلّ على أنّ قبيلته ورثت مجد مضر بن نزار الّتي ينتـسب إليها محمّد – صلّى الله عليه وسلّم - .

ويتواصل بالأنساب عندما ذكر خروج شبيب ([3]) ومخالفته كافور , فيقول :

بِرَغمَ شَبيْبٍ فارَقَ السَّيفُ كَفَّهُ وَكانا عَلى العِلاّتِ يَصْطَحِبانِ

كَأَنَّ رِقابَ النّاسِ قالَت لِسَيْفِهِ رَفيقُكَ قَيسِيٌّ وَأَنتَ يَماني

فَإِنْ يَكُ إِنْساناً مَضى لِسَبيلِهِ فَإِنْ المَنَايا غايَةُ الحَيَوانِ ([4])

فقد كان المتنبّي معجباً بشبيب حريصاً على إظهار بطولته , فجعله يهلك بحد سيفه الّذي لم يفارقه طيلة حياته , ولكن سيفه فارقه عندما علم أنّه مخالف له في الأصل , فشبيب قيسيّ, وسيفه يمنيّ , والسّيوف الجيّدة عادة تنسب إلى اليمن .

ويمجّد المتنبّي قيساً حين يمدح عليّ بن أحمد المرّيّ الخرسانيّ الّذي يرجـع نـسبه إلى مرّة بن عوف بطن من غطفان من قيس بن عيلان ([5]) , حيث يقول :

كُتِبَتْ في صَحائِفِ المَجْدِ بِسْمٌ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسِ السّلامُ

إِنَّما مُرَّةُ بنُ عَوْفِ بنِ سَعْدٍ جَمَراتٌ لا تَشْتَهيها النَّعامُ ([6])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 352.
[2]) كحالة , عمر رضا , **معجم *قبائل العرب*** 1 / 66.
[3]) شبيب بن جرير العقيلي من قوم كانوا من القرامطة , وكانوا مع سيف الدولة , وولي شبيب معرى النعمان دهراً طويلاً , واجتمع إليه جماعة من العرب فوق عشرة آلاف , وأراد أن يخرج على كافور , وقصد دمشق وحاصرها , فانهزم وقتل . ينظر الهمذاني , ***تكملة تاريخ الطبري*** 1 / 176.
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 243.
[5]) كحالة , عمر رضا , **معجم *قبائل العرب*** 3 / 1072.
[6]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 96 – 97.

يفضّل المتنبّي قيساً على سائر القبائل مبيناً أنّها تفردت بالمجد , بحيث كتب في صـــحائف المجد بسم الله – وهو افتتاح الكلام – ثم قيس , وهي قبيلة الممدوح , وهــؤلاء يـــسمّون جمرات لشوكتهم وشدّتهم .

ويشيد بنسب محمّد بن عبيد الله العلويّ في قوله :

خَيْرُ قُرَيشٍ أَباً وَأَمجَدُها أَكثَرُها نائِلاً وَأَجْوَدُها

تاجُ لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ وَبِهِ سَما لَها فَرعُها وَمَحْتِدُها ([1])

فيؤكّد المتنبّي أنّ أبا الممدوح أفضل قريش وأجودهم , فهو ينتسب إلى لؤيّ بن غالب أبي قريش , وهو لهم بمثابة التّاج يتشرّفون به ويتزيّنون .

ويشيد بنسب طاهر بن الحسين العلويّ , فيقول :

فَحُيِّيتُ خَيرَ ابنٍ لِخَيْرِ أَبٍ بِها لأشْرَفِ بَيتٍ في لُؤَيٍّ بنِ غالِبِ ([2])

ويختم المتنبي قصيدته بتحية ممدوحه الّذي ينتسب لخير أب وهو محمّد – صلّى الله عليـــه وسلّم – , ولخير بيت في لؤي بن غالب , وهو بيت هاشم بن عبد منـــاف , إذ إنّ بيتـــه أشرف ولد لؤي .

ويتواصل المتنبّي مع عدنان حين يمدح سيف الدّولة في أكثر من موضع , فيقول :

أَنسابُ فَخْرِهِمِ إِلَيْكَ وَإِنَّما أَنْسابُ أَصْلِهِمِ إِلى عَدْنانِ ([3])

ويرى المتنبّي أنّ العرب ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان , ولكنّهم في الفخر والـــشّرف ينتسبون إلى سيف الدّولة .

وقوله :

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 305 – 306.

[2]) نفسه1 / 159.

[3]) نفسه 4 / 185 .

تَشَرَّفُ عَدْنانٌ بِهِ لا رَبيعَةٌ   وَتَفْتَخِرُ الدُّنيا بِهِ لا العَواصِمُ ([1])

فيبيّن المتنبّي أنّ العرب " عدنان " جميعاً تفخر بسيف الدّولة , وليس رهطه "ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان " ([2]) وحدهم من يفخر به , وهو شرف لأهل الدّنيا جميعاً , لا لبلاده فحسب .

ويرثي المتنبّي مولى لسيف الدّولة يدعى يماك , فيقول :

وَإِنَّ الَّذي أَمسَتْ نِزارٌ عَبيدَهُ   غَنِيٌّ عَنِ اِستِعبادِهِ لِغَريبِ ([3])

يشير إلى المكانة التي تبوّأها سيف الدّولة , فهو قد ملك العرب جميعاً بإحسانه إليهم فلا حاجة به معهم إلى مملوك تركيّ وخصّ بالذّكر نزار بن معد بن عدنان لما يعلمه من تمليك الحارث بن عمرو لنزار على قبائل العرب ([4]).

ويستدعي نزاراً مرة أخرى في قوله :

وَأَخْذٌ لِلحَواضِرِ وَالبَوادي   بِضَبْطٍ لَم تُعَوَّدْهُ نِزارُ ([5])

ليبيّن أنّ سيف الدّولة يسيطر على العرب جميعاً من بدو وحضر بسياسة وضبط لم تتعودهما العرب .

ويصوّر مراعاة العرب لحرمة النّسب في قوله :

فَقاتَلَ عَنْ حَريمِهِمُ وَفَرّوا   نَدى كَفَّيْكَ وَالنّسَبُ القُرابُ

وَحِفْظُكَ فيهِمُ سَلَفَيْ مَعَدٍّ   وَأَنَّهُمُ العَشائِرُ وَالصِّحابُ ([6])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 391.
[2]) كحالة , عمر رضا , **معجم قبائل العرب** 3 / 1178.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 53.
[4]) كحالة , عمر رضا , **معجم قبائل العرب** 3 / 1178.
[5]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 100.
[6]) نفسه 1 / 76.

فيبيّن المتنبّي أنّ سيف الدّولة رعى حرمات بني كلاب بعد أن أوقع بهم , على الرّغم من ضراوة المعارك الّتي خاضها ضدهم , فما كان منه إلاّ أن أحسن إلى حـــريمهم , وحـــال دون سبيهم , وقاتل عنهم حفظه فيهم سلفيّ معد , يريد ربيعة ومضر , لأن سيف الدّولـــة ينتهي إلى ربيعة لأنّه من تغلب , وبنو كلاب ينتهون إلى مضر لأنّهم من قـــيس وربيعـــة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان ([1]) , فهم عشائر سيف الدّولة وأصحابه .

ويرجع اهتمام المتنبّي بهذا الجانب لما عرف عن العـــرب بـــاعتزازهم بنـــسبهم , واعتزازه بعروبته , وبخاصّة أن احترافه للمدح يتطلب ذلك .إضافة إلى أنّه عـــاش فـــي أجواء قبليّة سواء في البادية حيث تجتمع كلّ قبيلة ببطونها وأفخاذها يداً واحدة ضدّ القبائل الأخرى أم في الكوفة الّتي تعد صورة في تجسيد الرّوح القبليّة فـــي تخطيطهـــا وطبيعـــة الحياة فيها .

يلاحظ أنّ المتنبي أقل تأثراً بالتّاريخ من أبي تمّام , حيث قلت شواهده في هذا المجـــال بشكل واضح , وقد يكون مرد هذه الظّاهرة إلى قلّة حصيلته التّاريخية مقارنة بحصيلة أبي تمّام وثقافته التّاريخيّة , وانصرافه إلى المدح والأمجاد الحاضرة , فاســـتغنى بـــذلك عـــن التّطلع للموروث التّاريخي .

---

[1]) كحالة , عمر رضا , ***معجم قبائل العرب*** 3 /1178.

الأسطورة

إنّ لفظة أسطورة من الألفاظ المعربة. وهي Istoriya "استوريا" في اليونانيـــة، وHistoria في اللاّتينية، وقد أطلقت عندهم على كتب الأساطير والتّأريخ. ويظهر أنّ الجاهليّين قد أخذوها مـــن الرّوم قبل الإسلام، واستعملوها بالشّكل المذكور وبالمعنى نفسه، أي: في معنى تأريخ وقصص. ([1])

وعرفت الشّعوب الأسطورة , والتقت عندها , فهي تراث الإنسان حيثما كان وأينما كـــان , ومنها تسربت ألوان الأدب , وتحرر منها فكر الإنـــسان ليخلـــق منهـــا مختلـــف أشـــكال الأدب . فالأسطورة في البداية كانت منبع الإلهام الأدبيّ , وفي النّهاية كانت دافعاً إلى علوم حديثـــة كثيـــرة كعلوم الإنثروبولوجي والأنثولوجي والسيكولوجي([2]).

توظيف الأسطورة في شعر أبي تمّام

ويوظّف أبو تمّام بعض الأساطير في شعره ومن الأمثلة على ذلك قوله :

ولّى مُعاوِيَةٌ عَنهُم وَقَد حَكَمَت   فيهِ القَنا فَأَبى المِقدارُ وَالأَمَدُ

نَجّاكَ في الرَوْعِ ما نَجّى سَمِيَّكَ في   صِفّينَ وَالخَيلُ بِالفُرسانِ تَنجَرِدُ

إِن تَنفَلِت وَأُنوفُ المَوتِ راغِمَةٌ   فَاذهَب فَأَنتَ طَليقُ الرَّكضِ يا لُبَدُ ([3])

فهو هنا يوظّف أسطورة لبد , آخر نسور لقمان – عليه السّلام – وكان أطولها عمراً , وهـــو النّسر الّذي مات عندما رآه لقمان – عليه السّلام , وكان هو النّسر الرّابع , وكان لقمـــان عليـــه السّلام كلّما رأى واحداً من نسوره عاش بعده ألف سنة , إلا هذا اللّبد الّذي مـــات عنـــد رؤيتـــه إيـــّاه ([4]) , فصار اسمه رمزاً للتّشاؤم . ولكنّ أبا تمّام هنا انعطف عن دلالته الأصليّة , فأصـــبح

---

[1]) علي , جواد , ***المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام*** 1/ 318.

[2]) ينظرخورشيد ,فاروق , ***أديب الأسطورة عند العرب*** / 3 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 14 – 15 .

[4]) نفسه 2 / 15 و ينظر علي , جواد , المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام 1 / 315.

يدلّ على شجاعة ممدوحه ابن يوسف الثّغري , ونجاته من الموت أثناء خوضه المعارك في الثّغور , فغدا يدل على طول عمر الممدوح , أي أنّه أصبح مصدر تفاؤل لا تشاؤم .

ومن الأساطير الّتي وظّفها أبو تمّام أيضاً أسطورة المطر : فقد عبد بعض الجاهليين السّحب , لأنّها تجلب لهم المطر والحياة في بيئة صحراوية مقفرة , وهذه العبادة استتبعها طقس معين للإيحاء بامتلاك هذه السّحب إلى جانب القدرة على بعث المطر القدرة على التّواصل مع البشر , واستيعابها لما يقومون به اتجاهها([1]).

ويعتقد بعض الجاهليّن أنّ للمرء روحا على هيئة الصّدى أو الضّوع أوالهامة أو البوم - وهي كلمات مترادفة تتردّد في الشّعر الجاهليّ - تظلّ بجانب القبر دهراً , ثم تنتقل إلى الأماكن الخربة والبقاع الخالية البعيدة عن السّابلة أو مدارج السّالكين أو في قرار من الأرضين في مكان لا ماء فيه ولا شجر . وثمة اعتقاد آخر وهو أنّ الموتى يأكلون ويشربون , ففي الاستسقاء للأموات دلالة على أنّ الجاهليّين كانوا يعتقدون بشكل من أشكال الحياة في القبور([2]) .

أشار أبو تمّام إلى أسطورة المطر كغيره من الشّعراء السّابقين وبخاصّة الجاهليّين , فقال في مدح المعتصم :

صلّى الإِلَهُ عَلى العَبّاسِ وَانبَجَسَتْ عَلى ثَرىً حَلَّهُ الوَكّافَةُ الهُطُلُ ([3])

لقد سار أبو تمّام على نهج الشّعراء في عصره , فامتدح العباسيّين بالعباس , باعتباره الأصل الّذي تفرعت منه الخلافة العبّاسيّة , فهو في هذا الموقف يمدح الخليفة من خلال العبّاس . فيستمطر المطر الوكاف المنهمر والمنهطل ترحماً عليه . وغزارة المطر هنا تدلّ على عظم الميّت , وعظم

---

[1]) ينظر , هلال , ريم عبد القادر , ***حركة النقد العربي الحديث حول الشعر الجاهلي*** / 41 , رسالة دكتوراه , جامعة تشرين ,1998م .

[2]) ينظر عبد الرحمن ,نصرت , ***المطر- مواضع وروده في مواضع الشعر الجاهلي-*** , مجلة دراسات, م 6 ع1 أيار 1979م , ص11-112 .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 13.

الرّحمة الّتي تطلب له , وأنّه كان من الأولياء والكرماء والشّجعان الّذين أثبتوا تفـردّهم فـي قلـب الحياة .

فهذه الأسطورة استعارها أبو تمّام من تقاليد الشّعر الجاهليّ , وتقع في باب الحياة والموت وما بعد الموت , وهي شعرية صافية وإن كانت غير عقليّة , وذلك أنّ العربيّ في الصّحراء ما كان يجد خيراً إلا في المطر , ومن تسقط على أراضيه فإنّ نفسه تتوافق مع الحيـاة ,وترضـى عنهـا وتؤمن بها, وهم يتخذون ذلك ما بعد الموت , بأن يكون الميّت مروياً في قبره وبذلك تكون الـسّماء راضية عنه حياً , فترويه ميّتاً([1]).

ويوظّف أسطورة المطر في الرّثاء , حيث يقول :

سَقى الغَيْثُ غَيْثاً وارَتِ الأَرضُ شَخصَهُ وَإِن لَم يَكُن فيهِ سَحابٌ وَلا قَطْرُ

وَكَيفَ احتِمالي لِلسَّحابِ صَنيعَةً بِإِسقائِها قَبْراً وَفي لَحْدِهِ البَحْرُ([2])

فيطلب أبو تمّام السّقيا لمرثيه لينمو الزّهر على قبره ويحولـه مـن مكـان مقفـر إلـى ممـرع , متسائلا:كيف أطلب من المطر أن يسقي قبراً فيه بحر الجود والعلى . فـ " الماء في ذهن الجـاهلي والعربيّ عموماً هو باعث الحياة والاخضرار, وإنه يبعث النّمو من الأرض, وإنّ جثة الميّت حـين يبعث الزّهر عليها تنهض من قبرها عبر الأزهار, وإنّها ترجع إلى نوع مـن الحيـاة , وإن كانـت نباتية "([3]).

و من أساطير التفكير الخياليّ تعليق الحليّ والجلاجل للّديغ , وتعليق التّمائم المبعـدة للجـن والمخيفة لها للوقاية من الحسد , و كان ممّا يستعينون به كعب الأرنب , هذا الحيوان الّـذي ينفـر

---

[1]) ينظر أبو الأنوار , محمد , ***الشعر العباسي /*** 30 و180 و الحاوي , إيليا, ***أبو تمام فنه ونفسيته من خلال شعره*** /165- 166 وينظر الخويسكي , زين كامل , ***الشعر العباسي , دراسات ونصوص*** /180 ,213.

[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 84.

[3]) ينظر أبو الأنوار , محمد , ***الشعر العباسي /*** 203.

الجنّ لأنّه يحيض ([1]), وهذا الاعتقاد لم يعد مقتصراً على المجتمع الجاهليّ , أو المجتمعات القديمة عامّة , إذ إنّه لا يزال حاضراً في العصر الحديث في كلّ من المجتمعات العربيّة والغربيّة ([2]) , وورد ذلك في مدح أبي تمّام أحمد بن أبي دؤاد :

أَخَذتْ بِأَعضادِ العُرَيْبِ وَقَدْ خَوَتْ عُيونٌ كَلِيلاتٌ وَذَلَّتْ جَماجِمُ

فَأَضحوا لَوِ اسطاعوا لِفَرطِ مَحَبَّةٍ لَقَدْ عُلِّقَت خَوْفاً عَلَيْكَ التّمائِمُ ([3])

يبيّن أبو تمّام شدّة حبّ العرب لممدوحه , فهم يخافون عليه من الحسد , فمن شدة حبهم له لو استطاعوا أن يعلّقوا عليه التّمائم , لفعلوا ذلك .

وقال يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشّيباني :

وَرِثوا الأُبُوَّةَ وَالحُظوظَ فَأَصبَحوا جَمَعوا جُدوداً في العُلى وَجُدودا

وُقُرُ النُّفوسِ إِذا كَواكِبُ قَعْضَبٍ أَردَيْنَ عِفريتَ الوَغى المَرِّيدا ([4])

ووصف قوم الممدوح بالرّزانة وسكون الجأش في الحرب , وبالغ في وصف شجاعتهم , حتّى إنّهم قضوا على عفريت الوغى المارد . فالعرب كانت تسمي الجن الّتي تعترض الصبية أرواحاً , وإذا كان أحدهم من الخبثاء شديد الأذى فهو الشّيطان , وإذا زاد في الأذى فهو مارد , وإذا قوي واشتد أذاه فهو عفريت ([5]).

ويشير إلى أسطورة الضّحاك في مدحه الأفشين , وذلك في قوله :

هَيهاتَ لَم يَعلَم بِأَنَّكَ لَو ثَوى بِالصّينِ لَم تَبعُد عَلَيكَ الصّينُ

---

[1]) ينظر الحاج حسن , حسين , ***الأسطورة عند العرب في الجاهلية*** / 56 - 57 وهلال , ***هيثم أساطير العالم*** /31.

[2]) ينظر , هلال , ريم عبد القادر , ***حركة النقد العربي الحديث حول الشعر الجاهلي*** , رسالة دكتوراه / 45 ,جامعة تشرين ,1998م .

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 182.

[4]) نفسه 1 / 415.

[5]) ينظر هلال , هيثم , ***أساطير العالم*** / 9 .

بَل كانَ كَالضَّحّاكِ في سَطواتِهِ   بِالعالَمينَ وَأَنتَ إِفريدونُ ([1])

فأسطورة الضحاك أخذها أبو تمّام من سير الفرس , فالضّحاك من ولد عدنان أمه من الجن وقيل إنّه ملك في مؤخر رأسه حيتان, وأنهما كانتا لا تقران حتى تطعما دماغيّ إنسانين, فكان كلّ يوم يقتل رجلين ويأكل دماغيهما , وكان أفريدون رجلاً صالحاً في ذلك الزّمان أو نبيّاً , فأشار على المسؤول عن هذا الأمر أن يجعل مكان دماغيّ الإنسانين دماغيّ شاتين , ففعل فأغنيا غناء الرّجلين ولم يجرؤوا إعلام الملك بذلك , فكانوا يجيؤون كلّ يوم برجلين , فيأمر بقتلهما , فيبعثون بهما إلى بعض الأماكن القاصية , ويقيمون العوض من الضّأن, فاجتمع في ذلك المكان خلق كثير, وكان بعض من حصل فيه أفريدون , فلما كثر عددهم خرج بهم إلى الضّحاك , فقتله([2]).

فاستثمر أبو تمّام هذه الأسطورة ليشبّه بابك الّذي قتله الأفشين بالضّحاك , ويشبّه الأفشين بأفريدون الّذي أنقذ الشّعب من شرّ الضّحاك .

ووظّف أيضاً أسطورة الخضر - عليه السّلام – في قوله :

ما اليَومُ أَوَّلُ تَوديعٍ وَلا الثّاني   البَيْنُ أَكثَرُ مِن شَوْقي وَأَحزاني

خَليفَةُ الخِضْرِ مَن يَرْبَعْ عَلى وَطَنٍ   في بَلْدَةٍ فَظُهورُ العيسِ أَوطاني

بِالشّامِ أَهلي وَبَغدادُ الهَوى   وَأَنا بِالرَقَّتَيْنِ وَبِالفُسْطاطِ إِخْواني ([3])

ومفاد هذه الأسطورة أنّ الخضر لم يمت , وأنّه يظلّ دائماً يطوف البلاد , وذلك لأنّه شرب من ماء الحياة ([4]) , وأراد من توظيف هذه الأسطورة أن يشير إلى سفره الدائم , وكأنّه خليفة الخضر , فبيته ظهور العيس , فهو يعاني من التّرحال وعدم الاستقرار بشكل مستمرّ . فالخضر هنا تخلى عن دلالته الأصلية , فأصبح رمزاً إلى السّفر المتجدّد والرّحلة الدّائمة المرتبطة بالشّاعر , ممّا وسع

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 321.

[2]) ينظر المسعودي , ***مروج الذهب***1 /223 وابن الوردي ,***تاريخ ابن الوردي*** *1 / 35.*

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 308 – 309.

[4]) ينظرالطبري ,***تاريخ الطبري*** 1 / 220.

فضاء النّص وعمق دلالته , فأبو تمّام أخذ ما يوائم تجربته وموقفه من ملامح شخصيّة الخــضر , وبخاصّة أنّه مولع بالأسفار , فجاءت الأسطورة منسجمة مع بنية النّص وذائبة فيه .

وخيم على قصيدة فتح عمّوريّة ظلّ أسطوريّ ظاهر , ويتّضح ذلك في قول أبي تمّام:

لَقَد تَرَكتَ أَميرَ المُؤمِنينَ بِها   لِلنّارِ يَوماً ذَليلَ الصَّخرِ وَالخَشَبِ

حَتّى كَأَنَّ جَلابيبَ الدُّجى رَغِبَت   عَن لَونِها وَكَأَنَّ الشَّمسَ لَم تَغِبِ

ضَوءٌ مِنَ النّارِ وَالظَّلماءِ عاكِفَةٌ   وَظُلمَةٌ مِن دُخانٍ في ضُحىً شَحِبِ

فَالشَّمسُ طالِعَةٌ مِن ذا وَقَد أَفَلَت   وَالشَّمسُ واجِبَةٌ مِن ذا وَلَم تَجِبِ ([1])

فالمغيبات والخوارق تقوم بدور هام , فترى أشياء الطّبيعة تتغيّر من مناخ إلى منـــاخ ومـــن إقليم إلى إقليم , وكأنّ الشاعر لديه القدرة على تبديل نظام الموجودات حسب رغبته وذوقــه مالكـــاً المعطيات والمؤهلات...فكأن إله النّار كان له الدّور الفعّال في رسم هذا المشهد الّذي كان له الـــدّور الفعّال في الإلياذة حيث وقف إلى جانب آخيل الإسبرطي إكراماً لعينيّ أمّه ثايتس([2]) .

توظيف الأسطورة في شعر المتنبّي

تواصل المتنبّي مع الأساطير , ومن الأمثلة على ذلك تواصله مع أسطورة زرقـــاء اليمامة في قوله :

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقاءِ جَوٍّ لأَنَّني   إِذا نَظَرَتْ عَيْنايَ شاءهُما عِلَمي ([3])

فيوظّف المتنبّي أسطورة زرقاء اليمامة ليفضّل نفسه في الرّؤية عليها , فإذا مـــا نظـــرت عيناه فإنّهما لاتسبقان علمه , فإذا ما رأى الشيء ببصره علمه بقلبه لأنّه عالم بالأمور.

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 53 – 54.

[2]) حسن , حسين الحاج , ***أعلام في الشعر العباسي*** /132 .

[3]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 51.

كما يتواصل المتنبّي مع أسطورة الخضر , فالخضر اكتسب على يد الخيال الشّعبى العربيّ صفات مغايرة ليصبح خضراً آخر لا علاقة له بذلك الخضر القرآنيّ. ومن تلك الصّفات النّبوة الّتى أسبغت عليه ، والخلود النّسبي الّذي تم ّاقتباسه من صفات الملائكة الّتي من صفاتها أنّها لا تتناسل ولا تموت إلا عند نفخة الصّوّر يوم القيامة ، والعلم بالمستقبل ، وتأويل الأحلام , وهي صفة اشتهر بها النبيّ يوسف وتمّ إلصاقها بالخضر، والقدم الموغل فى الزّمن حيث تم نسبه إلى آدم -عليه السّلام - ليعيش من بدء الخليقة حتّى نهاية الزّمان ، والتّرحال , ويصبح مرشداً لكل الصّالحين ورفيقا لهم على مرّ الزّمان , ويحضر في حال ذكرهم له ([1]), فيقول :

إِذا ما ذَكَرْنا جودَهُ كانَ حاضِراً نَأى أَو دَنا يَسعى عَلى قَدَمِ الخِضْرِ ([2])

ويوظّف من هذه الأسطورة حضوره في حال ذكر الصّالحين له واحتياجهم إليه وذلك في وصف جود أبي الحسين بن إبراهيم , فكما أنّ الخضر لا يذكر في موضع أو احتيج إليه إلاّ وقد حضر , وكذلك فإنّ جود ممدوحه يدرك حيث كان , فلا يكاد يذكر جوده إلاّ كان حاضراً كالخضر .

ويوظّف أسطورة العنقاء أو الفينيق : وهي طائر خيالي ورد ذكره في قصص مغامرات السّندباد , وألف ليلة وليلة , وكذلك في الأساطير القديمة , ويمتاز بالقوّة والجمال , وفي معظم القصص أنّه عندما يموت يحترق , ويصبح رماداً , ويخرج من الرّماد طائر عنقاء آخر . ([3]) ممّا يدلّ على التجدّد والانبعاث , فيقول :

---

[1]) - Cachedwww.amwague.com/amwague/17/derasat.asp

[2]) المتنبي , *الديوان* 2/ 137.

[3]) /wiki/ar.wikipedia.orgعنقاء - 50k - Cached

أَحِنُّ إِلى أَهْلي   وَأَهْوى لِقاءَهُم   وَأَيْنَ مِنَ المُشْتاقِ عَنقاءُ مُغْرِبُ ([1])

 يبيّن المتنبّي مدى اشتياقه وحنينه إلى أهله بسبب بعده عنهم , مستوحياً أسطورة العنقاء , ليدلّل على انقطاع رجائه وأمله في اللّقاء بهم.

ويستوحي الأسطورة نفسها في قوله :

وَأَغرَبُ مِن عَنْقاءَ في الطَّيرِ شَكْلُهُ   وَأَعْوَزُ مِن مُسْتَرفِدٍ مِنْهُ يُحْرَمُ ([2]).

ليبيّن أنّ ممدوحه لا نظير له في النّاس , فمثله في النّاس أغرب من العنقاء في الطّيـــــر , فهو كريم جواد , لا يحرم مسترفد من رفده .

ويتواصل مع أسطورة التّمائم في وصف قتلى الرّوم في قوله :

وَكانَ بِها مِثلَ الجُنونِ فَأَصْبَحَتْ   وَمِنْ جُثَثِ القَتْلى عَلَيها تَمائِمُ ([3])

جعل اضطراب الفتنة جنوناً ذلك أنّ الرّوم كانوا يقصدون القلعة ويحاربون أهلهـــا , فمـــا تزال الفتنة قائمة, فلما قتل سيف الدّولة الرّوم أذهبت ما بها من جنون , وعلّق القتلى على حيطانها سكنت الفتنة وسلّم أهلها, فجعل جثث القتلى كالتّمائم عليها , حيث أذهبت ما بهـــا من جنون بإسكات الفتنة .

ويتواصل المتنبي أيضاً مع أسطورة المطر, فيقول في رثاء جدته :

فَأَصْبَحتُ أَستَسقي الغَمامَ لِقَبرِها   وَقَدْ كُنْتُ أَستَسْقي الوَغى وَالقَنا الصُّما ([4])

بعد أن كان المتنبّي يستسقي الحرب والرّماح دماء الأعداء , صار يستسقي السّحاب على عادة العرب في الدّعاء للقبور بالسّقيا طلباً للرّحمة .

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 183.
[2]) نفسه 4 / 86.
[3]) نفسه 3 / 381.
[4]) نفسه 4 / 105.

إن توظيف الأساطير في شعر أبي تمّام والمتنبّي أثرى نصوصهما الــشّعريّة , وســاعدهما في تعميق المعنى . ورغم اشتراك الشّاعرين في توظيف بعض الأساطير مثل أسطورة المطــر والتّمائم والخضر إلا أن كل واحد منهما استثمرها حسب رؤيته الخاصّة بــه , وموقفــه الّــذي استدعاها . فالمتنبي مثلا وظف أسطورة المطر بما يتسق وشخصيته الثّائرة الّتي تمجّد القــوّة , فاستعان بألفاظ الحرب وكأنّه يستنكر ما حدث لجدّته . أمّا أبو تمّام فقد كان يــستجدي عناصــر الطبيعة في طلب السّقيا لمرثيّه . وهذا ما يؤكّد قدرتهما على تطويع المادّة التّراثيّــة بمــا يخــدم رؤاهما في النّص الشّعري .

الفصل الرابع

أثر التواصل بالتراث في التشكيل الفني للقصيدة عند أبي تمام والمتنبي

أثر التّراث في بناء القصيدة عند أبي تمّام

تُعدُّ مقدّمة القصيدة تقليداً فنيّاً صاحب القصيدة العربيّة منذ العصر الجـاهليّ , وقـد نظر النّقاد القدماء إليها من خلال القصيدة الجاهليّة، واستمدُّوا منها قواعـدهم وأصـولهم، ووجدوا أشكالاً متعدّدةً لها , فهناك المقدّمة الطّللية، والمقدّمة الغزليّة ، ومقدّمـة وصـف الرّحلة ، تليها مقدّمة بكاء الشّباب ، ومقدّمة وصف الطّيف ، ومقدّمة الفروسيّة. ([1])

وقد اهتمّ أبو تمّام بمقدّمة قصيدته لأنّ المدح هو الغرض السّائد فـي شـعره , فهـو يسعى وراء الكسب الماديّ , وينافسه في ذلك كثير من الشّعراء , فلا بدّ له أن يتّخذ كـلّ وسيلة متاحة لتطويره , فتنوّعت وسائله وكثرت , وذلـك للتّـأثير فـي نفـس الممـدوح والمستمعين , وإسكات الشّعراء الطّامعين , لذا اهتمّ بالمقدمة لتخدم غايته .

وتمسّك أبو تمّام في أغلب أشعاره الجـادة وموضـوعاته الرّسـمية بالمقـدمات الموروثة المألوفة ([2]), فبدأ قصائده بالوقوف على الأطـلال , ووصف الطلل وآثـار الدّيار , بيد أنّ هذه المطالع جاءت في صورة جديدة , صورة محافظة علـى الـشّكل الخارجيّ والهيكل العام للمطلع مع التّعديل والتّحوير والتّجديد في تفاصيلها وأجزائها , فيغرب في معانيه ويفلسف أفكاره , ويعمّق معانيها ويلـوّن عواطفـه فيجـلّ الطلـل أحيانـاً , ويرفض البكاء على الطّلل أحياناً أخرى , أو يمزجـه بـالغزل والنّـسيب, ويحاور النّوى والهجـران , وقد يستمهل أثناء ذلك من يحـبّ , فيتأمّـل الجمـال أو يذرف الدّموع أو يشكو الهمّ والحزن .

---

[1]) ينظر بكار , يوسف حسين , ***بناء القصيدة*** 212 – 221.

[2]) ينظر شلبي , سعد إسماعيل , ***مقدمة القصيدة في شعر أبي تمام والمتنبي*** / 51 – 100ومناع , هاشم صالح , ***أبوتمام الطائي*** – حياته وشعره - / 130.

ويتواصل أبو تمّام في بعض وقفاته الطّللية مع الشّعراء المتقـدّمين , فيقـدم فـي بعض قصائده بالوقوف على الأطلال , ثم يصلها بالغزل والنّسيـب , ومن ذلك قوله :

صَحْبي قِفوا مُلِّيتُكُم صَحْبا فَاقضوا لَنا منْ رَبْعِها نَحْبا

دارٌ كَأَنَّ يَدَ الزّمانِ بِأَنـ واعِ البِلى نَشَرَتْ بِها كُتْبا

أَينَ الأُلى كانوا بِعِقْوَتِها وَالدّهْرُ يَسْكُبُ ماءَهُ سَكْبا ([1])

فهو يركّز على صروف الزّمان مستوحياً قول امرئ القيس :

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكرى حَبيبٍ وَعِرْفانِ وَرَسمٍ عُفَتْ آياتُهُ مُنذُ أَزْمانِ

أَتَتْ حُجَجٌ بَعْدي عَلَيها فَأَصْبَحَتْ كَخَطِّ زَبورٍ في مَصاحِفِ رُهْبانِ([2])

ويتابع تواصله مع امرئ القيس في مقدمته الطّلليّة , حين يردّ على من ينكـر عليـه حديث الطّلل , فهو يرى أنّ الطّلل ضرورة نفسيّة تريحه من كثير ممّا يعانيه , فيقول :

لَيسَ الوُقوفُ بِكُفْءِ شَوْقِكَ فَانزِلِ تَبلُلْ غَليلاً بِالدُّموعِ فَتُبْلِلِ

فَلَعَلَّ عَبرَةَ ساعَةٍ أَذرَيْتَها تَشفيكَ مِن إِرْبابِ وَجْدٍ مُحْوِلِ ([3])

فيبيّن وظيفة الطّلل النّفسيّة , فوقوفه لا يعادل شوقه ,غير أنّه يجد راحة في تلك العبرة الّتـي يـسكبها , فهي تشفيه من بعض وجده , متأثّراً بقول امرئ القيس :

وَإِنَّ شِفائي عَبْرَةٌ مُهْراقَةٌ فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ([4])

وكأنّ أبا تمّام يتعمّق الموقف ويتقمّص شخصيّة امرئ القيس , ليعيش التّجربة بكلّ أبعادها النّفسيّة , فالطّلل عند أبي تمّام طلل نفسيّ يرمز من خلاله إلى حالته النّفسيّة .

ويقول في مطلع قصيدة له :

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 320.
[2]) امرؤ القيس , ***الديوان*** / 173.
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 32.
[4]) امرؤ القيس , ***الديوان*** /31.

أَصَمَّ بِكَ النّاعي وَإِنْ كانَ أَسمَعا   وَأَصبَحَ مَغْنى الجودِ بَعْدَكَ بَلْقَعا[1]

ويبيّن أنّ النّاعي أذهل عن كلّ شيْ وحيّر حتّى أصبح المتلقّي يُخبر بالشّيء ولا يفهم ما يقال , وهذا المطلع عدّه النّقاد من أحسن المطالع , حيث ضمّنه قول محياة بنت طليق إحدى نساء بني تيم الله بن ثعلبة :

نعى ابْنَيْ مُحلٍّ صوتُ ناعٍ أصَمَّني   فَلا آبَ مَحْبُوراً بَريدُ نَعاهُما[2]

ويذكر خمسة من أعلام الجاهليّه في بيت واحد في وقفة طلليّة :

أَمَواقِفَ الفِتْيانِ تَطْوي لَمْ تَزُرْ   شَرَفاً وَلَم تَنْدُبْ لَهُنَّ صَعيدا

أَذْكَرتَنا المَلِكَ المُضَلَّلَ في الهَوى   وَالأَعشَيَيْنِ وَطَرْفَةً وَلَبيدا [3].

ويؤكّد أنّه لايبكي الطّلل بكاء مسعود بن عمر الأزدي – أخي ذي الرّمة في قوله :

إِن كانَ مَسعودٌ سَقى أَطلالَهُمْ   سَبَلَ الشُّؤونِ فَلَستُ مِن مَسعودِ

ظَعَنوا فَكانَ بُكايَ حَولاً بَعدَهُم   ثُمَّ ارعَوَيتُ وَذاكَ حُكمُ لَبيدِ[4]

وإضافة إلى هذا النهج في بناء القصيدة , فإنّه يفيد في مقدمات قصائده من معطيات التّراث الدّيني , ومن ذلك قوله في إحدى مقدماته الطّلليّة :

السّالِباتِ امْرَءاً عَزيمَتَهُ   بِالسِّحْرِ وَالنّافِثاتِ في عُقَدِهْ [5]

فهو هنا يستوحي معناه من قوله تعالى: ﴿ **وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ [6] ليصوّر تأثير محبوبته الّتي سلبته عقله بسحرها . ويوظّف الآية نفسها في موقف طلليّ آخر , حيث يقول :

---

1) أبو تمام , ***الديوان*** 4 /99.
2) الآمدي , ***الموازنة*** / 100.
3) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 407 – 408.
4) نفسه 1 / 386.
5) نفسه 1 / 424.
6) الفلق 4.

سَيّافَةُ اللَّحَظاتِ يَغْدُو طَرْفُها بِالسِّحْرِ في عُقَدِ النُّهى نَفّاثا ([1])

ويتواصل مع معاني القرآن الكريم أيضاً في قوله :

كَواعِبُ أَترابٌ لِغَيْداءَ أَصبَحَتْ وَلَيسَ لَها في الحُسْنِ شَكلٌ وَلا تِرْبُ ([2])

فهو هنا يستوحي قوله تعالى : ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا**﴾([3]) ؛ ليدلّل على أنّ صاحبته مثاليّة الجمال .

ويوظّف بعض ألفاظ القرآن الكريم , فيقول :

رَدُّ الجَموحِ الصَّعْبِ أَسْهَلُ مَطلَباً مِن رَدِّ دَمْعٍ قَدْ أَصابَ مَسيلا

ذَكَرَتْكُمُ الأَنْواءُ ذِكرِيَ بَعضَكُمْ فَبَكَتْ عَلَيكُمْ بُكرَةً وَأَصيلا ([4])

فهو يوظّف ألفاظاً من قوله تعالى : ﴿ **وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا** ﴾ ([5]) في وقفة طلليّة حيث يشخّص المطر إنساناً يبكي على فقدان تلك المحبوبة . وهذا التّشخيص كلّ حدوده حسيّة بارزة (الأنواء – البكاء) .

ويتواصل في إحدى مقدماته الطّلليّة مع قصّة من قصص أهل الكتاب , حيث يقول :

فَرُدَّت عَلَينا الشّمسُ وَاللَّيلُ راغِمٌ بِشَمسٍ لَهُم مِن جانِبِ الخِدرِ تَطلُعُ

نَضا ضَوْءُها صِبْغَ الدُجُنَّةِ فَانطَوى لِبَهجَتِها ثَوبُ السّماءِ المُجَزَّعُ

فَوَاللّهِ ما أَدري أَأَحلامُ نائِمٍ أَلَمَّتْ بِنا أَم كانَ في الرَّكْبِ يوشَعُ ([6])

فهو في هذه الأبيات يتواصل مع قصّة يوشع بن نون حينما ردّت إليه الشّمس , لينتهي من قتال الجبّارين قبل حلول السّبت , ليصوّر نور محبوبته وبهجتها حينما خرجت من خدرها , حيث

---

1) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 313.
2) نفسه 1 / 179.
3) النبأ 33.
4) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 66 – 67.
5) نفسه 1 / 179.
6) نفسه 2 / 320.

أضاءت ظلمة اللّيل . فهو هنا يستخدم أسلوب الإيماء بالتّشبيه , فيومئ إلى المشابهة بين وضع حاضر وآخر غائب , فالوضع الحاضر طلعة محبوبته حين هلّت من بين ستائر خدرها , والوضع القديم ارتداد الشّمس ليوشع .

ووظّف أكثر من موروث في مقدماته , ومن الأمثلة على ذلك قوله في مقدمته الطّلليّة :

فكَأَنَّ طَسْماً قَبْلُ كانوا جيرَةً　　بِكَ وَالعَماليقَ الأُلى وَجَديسا

وَأَرى رُبوعَكَ موحِشاتٍ بَعدَها　　قَد كُنتَ مَألوفَ المَحَلِّ أَنيسا

وبلاقِعاً حتّى كَأَنَّ قَطينَها　　حلفوا يَميناً أَخْلَقَتكَ غَموسا

رودٌ أَصابَتْها النَّوى في خُرَّدٍ　　كانَت بُدورَ دُجُنَّةٍ وَشُموسا

بيضٌ تَدورُ عُيونُهُنَّ إِلى الصِّبا　　فَكَأَنَّهُنَّ بِها يُدِرْنَ كُؤُوسا

وَكَأَنَّما أَهدى شَقائِقَهُ إِلى　　وَجَناتِهِنَّ بِها أَبو قابوسا

قَد أوتِيَت مِن كُلِّ شَيءٍ بَهجَةً　　وَدَداً وَحُسناً في الصِّبا مَغْموسا

لَولا حَداثَتُها وَأَنِّيَ لا أَرى　　عَرْشاً لَها لَظَنَنتُها بِلقيسا ([1])

فهو في هذه المقدمة يستوحي من القصص القرآنيّ قصص الأمم البائدة كطسم والعماليق وجديس ليصوّر آثار ديار محبوبته الدّارسة , ويستوحي أيضاً في هذه المقدّمة الحديث النبويّ الشّريف : " **اليمين الغموس تدع الدّيار بلاقع** " ([2]) ليدلّل على أنّ ديار محبوبته أصبحت موحشة وخالية من أهلها , وكأنّ قاطنيها كانوا يكثرون من الأيمان الكاذبة فابتلوا. ويتواصل أيضاً مع النّعمان أحد الشّخصيات التّاريخية حينما يتغزّل ليشبّه بشقائقه حمرة خدود الفتيات الجميلات , فكأنّها مهداة منها لجمالها , ويوظّف أيضاً قصّة بلقيس

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 263.
[2]) البهيقي , ***السنن الصغرى*** 2 / 574.

التّراثية حسبما ورد في قوله تعالى : ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُـلِّ شَـيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِـيمٌ** ﴾ [1] , وذلك عندما يتذكّر ديار محبوبته الرّغدة قبـل اندثارهـا , حيث يستوحي هذا المشهد من خيرات سبأ ونعيمها حسبما ورد في قوله تعالى :﴿ **لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ** ﴾ [2].

ويوظّف في مطلع قصيدته المثل القائل : "**ويل الشّجي من الخليّ** " [3] حيث يقول :

أَيا وَيلَ الشَّجِيِّ مِنَ الخَلِيِّ وَبالي الرَّبعِ مِن إِحدى بَلِيِّ [4]

جاء توظيفه لهذا المثل في وقفة طلليّة , ليبيّن اللّوم والتعنيف اللّذين يتعرّض لهما بسبب حزنه علـى فراق محبوبته وشوقه إليها , وأن هؤلاء اللّوام لا يشعرون بحاله , فمن لايعاني لا يشعر بحال مـن يعاني .

ويستكمل أبو تمام مقدماته بالحديث عن الرّحلة على منهج القدماء , فيـضمّنها أيـضاً مـن القرآن الكريم , ومن الأمثلة على ذلك قوله :

مِنَ القِلاصِ اللَّواتي في حَقائِبِها بِضاعَةٌ غَيرُ مُزجاةٍ مِنَ الكَلِمِ [5]

فهو في وصف النّاقة يستوحي قوله تعالى : ﴿ **وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ** ﴾ [6] , ليبيّن مـا تحمله النّاقة من بضاعة شعره ومديحه غير المزجاة .

ويقول في رحلة له على الفرس :

صافي الأَديمِ كَأَنَّما أَلبَستَهُ مِن سُندُسٍ بُرداً وَمِن إِستَبرَقِ [7]

---

1) النمل 23.
2) سبأ 15
3) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 3 / 363.
4) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 351.
5) نفسه 3 / 186.
6) يوسف 88.
7) الكهف 31

فهو يستوحي صورة من صور الجنّة من قوله تعالى : ﴿ **أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ** ﴾ ([1]) , ليبيّن شدّة إعجابه بصفاء أديم فرسه .

وفي مجال حديثه عن الرّحلة أيضاً يتواصل مع لقمان الحكيم في قوله :

أَتَيتُ القَادِسيَّةَ وَهْيَ تَرنو   إِلَيَّ بِعَينِ شَيطانٍ رَجيمِ

فَما بَلَغَت بِنا عُسْفانَ حَتّى   رَنَت بِلِحاظِ لُقمانِ الحَكيمِ([2])

وذلك في وصفه نظرات ناقته , حيث كانت تنظر إليه بحكمة في ذلك الموضع .

وأمّا عن توظيف التّراث في خاتمة القصيدة , فإنّ أبا تمّام كان يختم بعض قصائده ختاماً إسلاميّاً , ومن ذلك تصويره مكانة آل البيت كما يصوّرها القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾([3]) في قوله:

كَرَمُ العُمومَةِ وَالخُؤولَةِ مَجَّهُ   سَلَفا قُرَيشٍ فيهِ وَالأَنصارِ

هُوَ نَوءُ يُمنٍ فيهِمُ وَسَعادَةٍ   وَسِراجُ لَيلٍ فيهِمُ وَنَهارُ

فَالأَرضُ دارٌ أَقفَرَت ما لَم يَكُن   مِن هاشِمٍ رَبٌّ لِتِلكَ الدّارِ

سُوَرُ القُرانِ الغُرُّ فيكُم أُنزِلَت   وَلَكُم تُصاغُ مَحاسِنُ الأَشعارِ([4])

ويوظّف في الخاتمة قصّة ضيف إبراهيم ومن ذلك قوله :

لِلجودِ سَهمٌ في المَكارِمِ وَالتُّقى   ما رَبُّهُ المُكدي وَلا المَسْهومُ

بَيانُ ذَلِكَ أَنَّ أَوَّلَ مَن حَبا   وَقَرى خَليلُ اللّهِ إِبراهيمُ([5])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 320.
[2]) نفسه 4 / 533.
[3]) الأحزاب 33.
[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 209.
[5]) نفسه / 291.

و يتواصل مع مطلع معلقة طرفة في نهاية قصيدته الّتي يمدح بها أبا سعيد , ليبيّن أنّ محاولات أعدائه في الإيقاع بينه وبين الخليفة قد فشلت ودرست صفائح كيدهم , فأصبحت كأطلال محبوبة طرفة ببرقة ثهمد :

دَرَسْتَ صَفائِحُ كَيْدِهِمْ فَكَأنَّما　　أذْكَرْنَ أطْلالاً بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ([1]).

و يتواصل مع جرير والبعيث , للإطراء على شعره والإشادة به .

خُذها فَما نالَها بِنَقصٍ　　مَوتُ جَريرٍ وَلا البَعيثِ

وَكُنْ كَريماً تَجِدْ كَريماً　　في مَدحِهِ يا أَبا المُغيثِ ([2])

والأمثلة كثيرة لا يتسع المجال للوقوف عليها , وإنّما أكتفي بهذه الأمثلة للتّدليل على أثر التّراث في بناء القصيدة عند أبي تمام .

وعلى الرّغم من بنيته الدّاخلية للقصيدة بنسيج لغويّ خاصّ , ومنهج جديد في خلق الصّورة , فإنّه يخضع إلى حد كبير لمقاييس القدماء في البنية الخارجيّة للقصيدة على مستوى الموضوع والوزن والقافية والبناء الفنيّ وبخاصّة في قصيدة المدح ([3]) .

أثر التّراث في بناء القصيدة عند المتنبّي

لا شك أنّ نشأة المتنبّي في البادية , وتغلغله في حياتها وعشقه لطريقة العيش فيها , أثّر في إقباله على المطالع التّقليدية ([4]) . وعلى الرّغم من فحولته الفنيّة , واعتداده الشّديد بشخصيته , فقد حرص على هذا التّقليد الفنيّ في معظم قصائده , ولم يفكر تفكيراً جديّاً في التّخلّص من هذه المقدّمة والوقوف عليها أو الخروج عليها , غاية ما

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 140/2.

[2]) نفسه 328/1.

[3]) ينظر أبو شوارب , محمد مصطفى , ***شعرية التفاوت*** – مدخل لقراءة الشعر العباسي /84.

[4]) ينظر عزام , عبد الوهاب , ***ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام*** / 33.

في الأمر أنّه كان يفكر أحياناً في التّمرد عليها , لكن سرعان ما يعود إليها([1]). فهو يقــف على الأطلال كما وقف الأوائــل , فيصفه , ويذكر مشاعره تجاهه , وقد يتعرّض لرحلــة الحبيب ووصف الظعــائن , ويذكر ألمه ولوعته بعد الفــــراق , وينتقــل إلـــى الغــزل والتّغني بمحاسن المحبوبة , مع الإبداع والتجديد في إطار القــديم , ويــصبغه بمبالغاتــه وتصوّراته الطّريفة الّتي تخلع على القديم سمة الجدّة , مع عمق الفكرة , وغالباً لا يكــرّر في قصيدته ما ذكره في أخرى([2]) .

ويصوّر المتنبّي تعلّقه بالوقفة الطّلليّة , وتفضيلها عن غيرها من المطالع و وطريقته في بكائها , والتّغزّل في الحسان , في مقدّمة قصيدته الّتي مطلعها :

وَفاؤُكُما كَالرَّبعِ أَشْجاهُ طاسِمُهْ   بِأَن تُسْعِدا وَالدّمعُ أَشْفاهُ ساجِمُهْ ([3])

فهو يصف في هذه القصيدة وفاءه للرّبع , ولتقاليد القصيدة العربيّة الّتــي يــسير علــى نهجها , فيضمّن مطلعه ما ورثه من الوقوف على الطّلل الدّارس , والدّعاء لــه بالــسّقيا, ووصف رحلة الظّعائن , ويتغزّل بالمحبوبة , إلاّ أنّه لا يكتفي بالمعــاني القديمــة , بــل يضيف إليها ما يطبعها بطابعه الخاصّ . فهو في هذه الوقفة يتشابه مع امرئ القيس فــي معلقته من حيث خطاب الرّفيقين , ومفاجأة الرّبع , وتهالك العاشــق , وإشــفاق الخليــل , ومنعة المحبوبة وجمالها , والحديث عن الخدور والكمائم .

وينعكس موقف المتنبّي من الطّلل , فيقول:

مُلِثَّ القَطْرِ أَعطِشْها رُبوعاً   وَإِلاّ فَاسْقِها السّمَّ النّقيعا

---

[1]) ينظر منير , سامي , ***ملامح وحدة القصيدة في الشعر العربي بين القديم والحديث*** / 235.
[2]) ينظر شلبي , سعد إسماعيل , ***مقدمة القصيدة عند أبي تمام والمتنبي***/105 – 106.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 325.

أُسائِلُها عَنِ المُتَدَيِّرِ يها فَلا تَدْري وَلا تُذري دُموعاً ([1])

ويخاطب المتنبّي السّحاب بقوله : يا سحاباً دائم القطر أعطش هــذه الرّبــوع , وإن لــم تعطشها فاسقها السّم النّقيع في الماء , فهو هنا يدعو عليها بالسّم , لأنّه لمــا وقــف بهــا وسألها , لم تجبه , ولم تبك على من رحل عنها . متأثّراً بقول جرير :

سُقيتِ دَمَ الحَيّاتِ ما بالُ زائرٍ يُلِمُّ فَيُعطى نائلاً أَن يُكَلَّما ([2])

فمع أنّ المتنبّي قد خالف ما جرت عليه عادة الشّعراء بالدّعاء على الدّيار بالسّم , إلاّ أنّــه انطلق من معنى جرير, ليسترعي الانتباه بهذه المقدّمة , فضلاً عن أنّه يرمز إلى ثورتــه واضطراب نفسيّتــه .

ويشرك الطّلل في بكائه , فيقول :

أَثلِثْ فَإِنّا أَيُّها الطَّلَلُ نَبْكي وَتُرْزِمُ تَحْتَنا الإِبِلُ

أَوْ لا فَلا عَتْبٌ عَلى طَلَلِ إِنَّ الطُّلولَ لِمِثْلِها فُعُلُ

لَو كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُعتَذِراً بي غَيْرُ ما بِكَ أَيُّها الرّجُلُ

أَبكاكَ أَنَّكَ بَعْضُ مَن شَغَفوا لَم أَبْكِ أَنّي بَعضُ مَن قَتَلوا ([3])

فهو في هذه الوقفة يطلب لطلله أن يكون ثالثهما في البكاء على فقد الأحبة , يقصد هــو والطّلل يبكيان , والإبل تحن معهما وتساعدهما بالبكاء على ما غيرته الأيّام مــن بهجتــه ونضارته , وهو في هذا المطلع يقتدي بقول البحتري في مطلعه , حيث يقول :

أُطْلُبَا ثالِثاً سِوايَ فَإِنّي رابِعُ العيسِ وَالدُّجى وَالبيدِ ([4])

ولا يخفى هنا ما أضافه المتنبّي من تجديد على هذا المطلع الموروث .

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2/ 249 – 250.
[2]) ابن عطية , جرير , ***الديوان*** 3/ 979.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 299 – 300.
[4]) البحتري , الديوان 2 /327.

كما يتواصل المتنبّي في مقدماته الطّلليّة إلاّ مع قصّة عروة بن حزام في بكائـــه علـــى صاحبته عفراء , فيقول :

فَكَأَنَّ كُلَّ سَحابَةٍ وكَفَتْ بِها   تَبْكي بِعَيْنَي عُروَةَ بنِ حِزامِ ([1])

ليشبّه هطلان السّحاب على تلك الدّمن ببكاء عروة بن حزام على فراق صـــاحبته, ممّـــا يدلّ على كثرة ما تجري عليها من السّحب من الأمطار , فمحت آثار تلك الدّيار .

ومن قصص الأنبياء يتواصل مع داود - عليه السّلام – من خلال الإشارة إلى صنعته في مقدّمة غزليّة :

نُوَدِّعُهُم وَالبَينُ فينا كَأَنَّهُ   قَنا ابنِ أَبي الهَيجاءِ في قَلْبِ فَيْلَقِ

قَواضٍ مَواضٍ نَسْجُ داوُدَ عِندَها   إِذا وَقَعَت فيهِ كَنَسْجِ الخَدَرْنَقِ ([2])

فيبيّن المتنبي فعل فراق المحبوبة فيه عند وداعه لها , حيث عملت فيه عمل رماح سيف الدّولة في أعدائه , فهي مدهشة في صفاتها ومعجزة في أفعالها , ومتميّزة عـــن غيرهـــا بمضائها وإحكام صنعتها وقيمتها فهي رماح أسطوريّة , حتّى إنّهـــا تختـــرق درع داود – عليه السّلام – المحكمة الصّنع , دون أن تخطئ الهدف . وفي مقدمة أخرى يتواصل مع سليمان – عليه السّلام – حيث يقول :

مَغاني الشّعبِ طيباً في المَغاني   بِمَنزِلَةِ الرّبيعِ مِنَ الزّمانِ

وَلَكِنَّ الفَتى العَرَبِيَّ فيها   غَريبُ الوَجهِ وَاليَدِ وَاللّسانِ

مَلاعِبُ جِنَّةٍ لَو سارَ فيها   سُلَيمانٌ لَسارَ بِتَرجُمانِ ([3])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 /7.
[2]) نفسه 2 / 309.
[3]) نفسه 4 /151 – 152.

فيؤكّد أنّ لغة شعب بوّان بعيدة عن الأفهام , حتّى إنّ سليمان – عليه السّلام – لـــو أتـــى لزيارتهم لاحتاج إلى من يترجم له مع علمه باللّغات ممّا يدلّ على ضياع الوجود العربيّ , وغلبة العنصر الأعجميّ .

كما يتواصل المتنبّي مع بعض الأعلام التّاريخيّة في مقدّمة قصيدته , في قوله :

لَمّا وَجَدتُ دَواءَ دائي عِندَها   هانَت عَلَيَّ صِفاتُ جالينوسا ([1])

ليبيّن أنّ دواءه هو وصال محبوبته , وليس في وصفات جالينوس الطّبيّة.

ويتابع تواصله مع أحداث التّاريخ في مقدمة غزليّة , فيتواصل مع قصّة فتح ســـابور الحصن في قوله :

تَأَلَّمُ دَرزَهُ وَالدّرزُ لَينٌ   كَما تَتَأَلَّمُ العَضبَ الصّنيعا ([2])

ليرسم صورة المحبوبة المثاليّة الرّقيقة النّاعمة , ويجعلها معادلاً لممدوحه عليّ بن إبراهيم التّنوخيّ في تعامله مع أوليائه , رغم قوّته وبأسه وهيبته مع أعدائه .

ويوظّف المثل في مقدّمة غزليّة , يصوّر فيها اشتياقه لمحبوبته , فيقول :

كَم زَورَةٍ لَكَ في الأَعرابِ خافِيَةٍ   أَدهى وَقَد رَقَدوا مِن زَورَةِ الذّيبِ ([3])

يزور المتنبّي محبوبته دون أن يشعر به أحد , كالذّئب في زيارته الغنم , يقع فيها ويـــذهب بما يذهب منها على غفلة من الرّاعي . مستوحياً المثل القائـــل : "**أعدى من الذّئب**" ([4]).

كما أفاد المتنبي في مقدمات قصائده من التّراث , فإنه أفاد منه في تخلّصه . ومـــن ذلك استعانته في التّخلص إلى ذكر الممدوح بالإشارة إلى قصّة خروج آدم – عليه الصّلاة والسّلام – من الجنّة , فيقول :

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 196.
[2]) نفسه 2 / 251.
[3]) نفسه 1 / 161.
[4]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2/ 324.

أَبوكُم آدَمٌ سَنَّ المَعاصي وَعَلَّمَكُم مُفارَقَةَ الجِنانِ

فَقُلتُ إِذا رَأَيتُ أَبا شُجاعٍ سَلَوتُ عَنِ العِبادِ وَذا المَكانِ ([1])

فيبيّن لهفته للقاء عضد الدّولة البويهيّ , فرغم جمال المكان الّذي يعدّ بمثابة , الجنّة إلاّ أنّه تركه ليلقاه . فكما أنّ معصية آدم - عليه الصّلاة والسّلام – لله – عزّ وجلّ -كانت السّبب في خروجه من الجنّة , فإنّ طموح المتنبّي في الوصول إلى عضد الدّولة , أخرجه من بوّان الّتي كانت له بمثابة الجنّة .

ويتواصل المتنبّي مع التّراث في خاتمة بعض قصائده ,ومن ذلك تواصله مع الحديث النّبويّ الشّريف ليشيد بشعره , حيث يقول :

إِنَّ بَعضاً مِنَ القَريضِ هُذاءٌ لَيسَ شَيئاً وَبَعضَهُ أَحكامُ

مِنهُ ما يَجلِبُ البَراعَةُ وَالفَضـ لُ مِنهُ ما يَجلُبُ البِرسامُ ([2])

فيؤكّد أنّ من الشّعر ما يكون عن دراية و فضل ومعرفة "يقصد شعره " , ومنه ما يكون هذيان يجلب العلّة والمرض "يقصد شعر غيره مستوحياً الحديث الشّريف " **إنّ من الشّعر لحكمة** " ([3]). وكذلك يفعل في خاتمة قصيدة عاتب فيها سيف الدّولة الحمداني حيث يقول:

وَإِن كانَ ذَنْبي كُلَّ ذَنبٍ فَإِنَّهُ مَحا الذَّنبَ كُلَّ المَحوِ مَن جاءَ تائِبا ([4])

فهو يؤكّد لسيف الدّولة أنّ ذنبه وإن كان ليس بعده ذنب , فإنّ توبته تمحوه , لأنّ من جاء تائباً استوجب العفو مستنداً إلى الحديث النبويّ :"**التّائب من الذنب كمن لا ذنب له**"([5]).

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 4 /256.
[2]) نفسه 4 / 101.
[3]) ابن حنبل , ***المسند*** 3 / 456 و 5 / 125.
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 71.
[5]) ابن ماجه , ***صحيح سنن ابن ماجة*** 2 / 418 والصالحي , ***الشذرة في الأحاديث المشتهرة*** 2 /220.

ويتواصل المتنبّي في خاتمة بعض قصائده مع قصص بعــض الأنبيــاء– علــيهم السّلام – , فيقول :

أَنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللـّـ ـــهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ ([1])

ليشيد بفضله وشرفه في خاتمة هذه القصيدة , من خلال تشبيهه نفــسه بــصالح – عليــه السّلام – في تميّزه ومعاناته وغربته بين هؤلاء القوم الّذين يدعو عليهم بالعذاب والشّر.

ويختم المتنبّي بعض قصائده بذكر الأنساب , حيث يقول :

فَحُيِّيتَ خَيْرَ ابنٍ لِخَيْرِ أَبٍ بِها لأشْرَفِ بَيْتٍ في لُؤَيِّ بنِ غالِبِ ([2])

ليشيد بنسب ممدوحه .

وهكذا يتّضح أثر التّراث الدّيني والأدبيّ والتّاريخي في بنــاء قــصائد أبــي تمّــام والمتنبّي , ولكنّ أبا تمام قد عني بتوظيف التّراث الدّيني في بناء قصائده بشكل أكبر مــن الموروثات الأخرى , بينما اهتمّ المتنبّي بالتّراث الأدبي . وربما يكون مــردّ ذلــك إلــى تكوين شخصيّة كل منهما وبيئته. فأبو تمّام عاش في عصر يتميّز بالاســتقرار الــسّياسي فانعكس ذلك على نفسيّته وشخصيّته , بينما المتنبّي عاش في عصر كانت الــسّلطة فيــه للأعاجم , فتمرّد على واقعه .

التّراث وتشكيل اللّغة

إنّ اللّغة إلى جانب كونها ألفاظاً ومعاني فإنّها تنطوي علــى كثيــر مــن الموســيقيّة والوجدانية والخيالية على ألوان من الرّمز والإيحاء والإيماء , وإنّنا عن طريق اللّغة نلمس

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 324/1.
[2]) نفسه 1 / 159.

ونرى ونشعر لا بحواسنا الظّاهرة فحسب بل بعقولنا ومواطن إدراكنا , ففيها ألوان شــتى من التّعبير, والموسيقا جزء هام من اللّغة , وتعبير من جملة تعبيراتها([1]) .

وبذلك فإنّ استلهام التّراث في شعر أبي تمّام والمتنبّي ظاهرة فنيّة , حيــث يــستطيع الشّاعر من خلال هذا التّداخل اللّغويّ أن يعبّر عن رؤيته و مشاعره وأحاسيسه وتجاربــه الشّعرية , سواء أكان ذلك بشكل مقصود أم غير مقصود , فيدمجها في علاقــات داخليّــة تظهر خلالها متآلفة أو متنافرة , ويصوغها وفقاً لرؤيته الشّعرية والوجدانية , لتؤدّي فــي النّهاية صورة تتناغم ومنطق نصوصه , فتشكّل في مجملها أنساقاً نــصوصيّة متجانــسة تعبّر من خلال لوحاتها المتعدّدة عن تجربة الشّاعر وواقعه وأحاسيسه ومشاعره .

أثر التّراث في لغة أبي تمّام

وتناول أبو تمّام معاني شعره ممّن سبقوه وأخرجها إخراجاً جديداً استعان فيه بدقّة فكره وروعة خياله , مضيفاً إليها كثيراً من دقائق ذهنــه وبدائــع ملكاتــه .([2]) فأجــاد أبو تمّام في المعاني الّتي سبق إليها , فخلع صفات الجود والشّجاعة علــى الممــدوحين , وهذه الصّورة تكاد تكون عند أغلب الشّعراء , ولكن حين يتناولها أبو تمّام يضفي عليهــا من أفكاره وفنّه كأنّها من ابتكاره , ومن الأمثلة على ذلك قوله :

هُوَ اليَمُّ مِن أَيِّ النَّواحي أَتَيتَهُ   فَلُجَّتُهُ المَعروفُ وَالجودُ ساحِلُهْ

تَعَوَّدَ بَسْطَ الكَفِّ حَتّى لَو أَنَّهُ   ثَناها لِقَبْضٍ لَم تُجِبْهُ أَنامِلُهْ ([3])

وقد تأثّر أبو تمّام في قصيدته فتح عمّوريّة بالمعجم التّصويري واللّغوي للأخطل في بائيّته الّتي نظمها في مدح عبد الملك بن مروان , وبخاصّة في أبياته الّتي يقول فيها :

---

[1]) ينظر حسن ,عبد الحميد , **الأصول الفنية للأدب** / 59.
[2]) ينظرضيف ,شوقي , ***الفن ومذاهبه في الشعر العربي*** /223 .
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 29.

حَيِّ المَنازِلَ بَينَ السّفحِ وَالرُّحَبِ لَم يَبقَ غَيْرُ وُشومِ النّارِ وَالحَطَبِ

فَهْيَ كَسَحقِ اليَماني بَعدَ جِدَّتِهِ و دارسِ الوَحْيِ مِنْ مَرْفوضَةِ اللِّبَبِ

وَقَد حَلَفْتُ يَميناً غَيرَ كاذِبَةٍ بِاللّهِ رَبِّ سُتورِ البَيْتِ ذي الحُجُبِ

وَكُلِّ موفٍ بِنَذرٍ كانَ يَحْمِلُهُ مُضَرَّجٍ بِدِماءِ البُدْنِ مُخْتَضِبِ

إنَّ الوَليدَ أَمينُ اللّهِ أَنْقَذَني وَكانَ حِصْناً إِلى مَنْجاتِهِ هَرَبي

يَخْشَيْنَهُ كُلَّما اِرتَجَّتْ هَماهِمُهُ حَتّى تَجَشَّمَ رَبْواً مُحْمِشَ التَّعَبِ

تَرْمي مَقاتِلَ فُرّاغٍ فَتَقْصِدُهُم وَما تُصابُ وَقَد يَرْمونَ مِنْ كَثَبِ ([1])

فتكرّرت الألفاظ بين قصيدة فتح عمّوريّة وأبيات الأخطل مثل : الكتب , والنّار,والرحب والحطب , وكثب , والحجب , ومختضب , والهرب , والحصن , والتّعب .

ويجمع الأخطل بين الطّلل والمدح , و يصف أبو تمّام الحرب , غير أنّ ملامح الصّور تتشابـــه , حين يذكر أبو تمّام أدوات الحرب ومشاهدها , وحين يضفي الفضيلة الدّينية على ممدوحه , فهو أمين الله وحصن الشّاعر , وفي موقف قويّ يخشاه الأعداء , وممدوح الأخطل لم يصل إلى ما وصل إليه "حَتّى تَجَشَّمَ رَبواً مُحمِشَ التَّعَبِ " , كما عبر المعتصم "على جسر من التّعب " . وهو يرمي الأعداء في مقاتلهم على نحو ما صوّر أبو تمّام بطولة المعتصم .

ويفيد أيضاً من الأخطل حين يصوّر صفرة وجوه الرّوم نتيجة هزيمتهم وطبيعتهم , حيث يقول:

نَفَيناهُ في أَرضِ العَدُوِّ فَأَصبَحَت وُجوهُ صُفَيٍّ مِن عَداوَتِنا صُفرا ([2])

فالأخطل يصوّر كيف عاد عدوّه مندحراً مصفر الوجه لشدّة الخوف , وأبو تمّام هنا يستوحي

---

[1]) الأخطل , *الديوان* / 29 – 31.

[2]) نفسه / 169.

المعنى واللّفظ معاً , ولكن بلغة وسياق جديدين .

ويستغلّ أبو تمّام في هذه القصيدة عناصر بدويّة قديمة في الرّمز والتعبير عن أفكار حديثة نحو قوله :

يا يَومَ وَقعَةِ عَمّورِيَّةَ انصَرَفَتْ   مِنكَ المُنى حُفَّلاً مَعْسولَةَ الحَلَبِ ([1])

فهو هنا يمزج بين الثّقافات وألوان الشّعر مزجاً طريفاً , حيث يعمد إلى عنصر قديم وهو الحلب , فيحوّره تحويراً جديداً , بإضافته العسل إليه فيعطيه طعماً طريفاً . وأخذ من صورها مثل : مخض البخيلة , ووحشة السّاحات الّتي عرفها الطّلل كما عرفتها عمّوريّة , والماء والعشب , والأوتاد والطّنب , وعدو الظّليم وربع ميّة الّذي نسبه إلى صاحبه ذي الرّمة , حيث كان يكثر من تصويره , فنقل المشهد الغزليّ كاملاً إلى جمال خراب عمّوريّة , حيث يقول :

ما رَبعُ مَيَّةَ مَعْموراً يُطيفُ بِهِ   غَيْلانُ أَبْهى رُبىً مِنْ رَبْعِها الخَرِبِ([2])

كما حرص على الإفادة من المعجم الدّيني :" الأوثان والصّلب وعمود الشّرك والمشركين ودار الشّرك " ليضع في موازاتها من المعجم نفسه " أبواب السّماء وسنّة الدّين والإسلام وخليفة الله وأمير المؤمنين وجرثومة الدّين والإسلام والحسب " , ليوضح موقفه , ويؤكّد أهمية ما قام به الخليفة للإسلام .

وانتحى أبو تمّام ناحية مسلم بن الوليد في تصنيعه , إذ كان ذوقه ذوق متحضّرين يغرم بالتّصنيع والزّينة , فاعتمد على الطّباق والجناس , وهذه حلى لفظية مشهورة في الشّعر القديم , ولكن كثافتها برزت في الشّعر العباسي لا سيّما عند مسلم بن الوليد ([3]) فالبديع موجود في

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 46.
[2]) نفسه 1 / 56.
[3]) ينظرالعزاوي , نعمة , ***لغة الشعر عند أبي تمام*** , المورد م 25 ع2 , 1997 ص 84

القرآن الكريم واللّغة وأحاديث النّبيّ – عليه السّلام - وكلام الصّحابة والأعراب وغيرهم , وأشعار المتقدّمين من الكلام الّذي سمّاه المحدثون البديع , غير أنّ أبا تمام اهتم به حتّى غلب عليه , وتفرغ فيه , وأكثر منه , فأحسن في بعض وأساء في بعض ([1]), ومن الأمثلة على ذلك :

أولاً - الطّباق: وهو مصدر من مصادر الموسيقا , وأسلوب لغويّ يدلّ على مقدرة الشّاعر على احتذاء غيره من الشّعراء , ومجاراتهم والصّبّ في قوالبهم اهتم به أبوتمّام , وبرع فيه . ومن الأمثلة عليه قوله يمدح أبا سعيد الثّغريّ :

لَمّا أَبَوا حُجَجَ القُرآنِ واضِحَةً　　　كانَتْ سُيوفُكَ في هاماتِهِمْ حُجُجا

أَقبَلْتَهُ فَخْمَةً جَأْواءَ لَسْتَ تَرى　　　في نَظْمِ فُرْسانِها أَمْتاً وَلا عِوَجا ([2]).

فيؤكّد أبو تمّام حسن إدارة ممدوحه في حرب الخرّميّة , وذلك من خلال تنظيمه لجيشه , إذ كان لاعوج فيه ولا ارتفاع ولا هبوط موظّفاً الطّباق " عوجاً , أمتاً " من قوله تعالى :﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاأَمْتًا** ﴾ ([3]) ولكنّه قدم وأخّر وجعله أمتاً ولا عوجا لضرورة القافية .

ويعاتب أبو تمّام الحسن بن وهب قائلا :

لا يُحمَدُ السَّجلُ حَتّى يُحكَمَ الوَذَمُ　　　وَلا تُرَبُّ بِغَيرِ الواصِلِ النِّعَمُ

وَفي الجَواهِرِ أَشباهٌ مُشاكِلَةٌ　　　وَلَيسَ تَمتَزِجُ الأَنوارُ وَالظُّلَمُ ([4])

فقد قاطع ممدوح أبي تمّام ابن عمّه , فحاول أبو تمّام أن يصلح بينهما , فبيّن له أنّ النّعم لا تدوم إلا بصلة الرّحم , ودعا ممدوحه إلى الاتّحاد مع ابن عمّه كي تسير الأمور ,

---

[1]) ينظر ابن المعتز , ***البديع*** / 15 – 16.
[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 333.
[3]) طه 105 - 107.
[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 488.

فالجواهر لا تكون جميلة إلاّ إذا كانت نظائر متساوية بجانب بعــضها بعــضاً , كمـــا أنّ الأنوار والظّلمات لا يمكن أن تستوي أو يختلط بعضها ببعض , مستثمراً الطّباق من قوله تعـــالى : ﴿ **هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ** ﴾ ([1]) .

كما استمدّ الطّباق من المعاني الفقهية , إذ يقول :

وَوَاللّهِ ما آتيكَ إلاّ فَرِيضَةً   وَآتي جَميعَ النّاسِ إلاّ تَنَفُّلا ([2])

فاستخدم لفظتي " الفرض والنّفل" لغرض الطّباق في سياق يختلف عن دلالتهما الفقهيّـــة , وذلك في مدح محمد بن عبد الملك الزّيات, ليبيّن له أهميته , وتميّزه عن سائر النّاس .

وتحول الطّباق إلى صورة خالفت ما عرفه القدماء من طرق استخدامه , بمـــا فيـــه مـــن مبالغة وعمق وتعقيد , وهي تلك الصّورة الّتي يطلق عليهـــا نـــوافر الأضـــداد , فهـــو لا يستخدم الطّباق استخداماً ساذجاً , ولا يجعل التّضاد تضادّاً لفظيّاً فحسب , وإنّما يـــستخدمه استخداماً معقّداً بما يلوّنه به من ألوان عقليّة مختلفة تجعل المقابلة المعنويّة عنصراً أساسياً في الصّورة ([3]) .

ويستوحي أبو تمّام الطّباق من الشّعرالقديم , ومن الأمثلة على ذلك قوله :

نَظَرَتْ فَالتَفَتُّ مِنْها إلى أَحـْ   ـلى سَوادٍ رَأَيتُهُ في بَياضِ ([4])

نظر أبو تمام إلى محبوبته فأعجبه سواد عينيها في بياض وجهها مستوحياً ألفاظه من قـــول كثيّر :

وَعَن نَجلاءَ تَدمَعُ في بَيَاضٍ   إذا دَمَعَتْ وَتَنظُرُ في سَوادِ([5])

---

[1]) الرعد 16.
[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 103.
[3]) خليف , يوسف , ***تاريخ الشعر في العصر العباسي*** /125 -126.
[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 309.
[5]) كثير , ***الديوان*** / 219.

وأراد كثيّر أن عينيّ محبوبته تدمع في بياض إذا وقعت , يريد خدها , وتنظر في سواد , يريد حدقتها . وليس بين المعنيين اتفاق إلا بذكر السّواد والبياض , والألفاظ غير محظورة .

ثانياً - التّكرار : وهو من الظّواهر اللّغويّة الشّائعة في شعر أبي تمّام , وله وقع في الأذن والنّفس , لما يضفي على النّفس من موسيقى سواء أكان على مستوى الحروف أم الكلمات ومن الأمثلة على ذلك قوله :

مَواهِبٌ لَو تَوَلّى عَدَّها هَرِمٌ   لَم يُحْصِها هَرِمٌ حَتّى يُرى هَرَما([1])

إن تكرار أبي تمام لهرم أسهم في تشكيل الإيقاع الدّاخلي للقصيدة , كما أسهم في تشكيل القافية في النّص. وهو هنا كرّر " هرم " على سبيل التّعظيم للمحكي عنه .

وقوله:

صَبَّحتُهُ بِسُلافَةٍ صَبَّحتُها   بِسُلافَةِ الخُلَطاءِ وَالنُّدَماءِ([2])

فقد جعل أبو تمّام الّذين صبّح بهم هذه السّلافة سلافة من خالط ونادم , أي أفضلهم , مستوحياً قول أبي نواس :

فَالرّاحُ طَيِّبَةٌ ولَيسَ تَمامُها   إلاّ بِطيبِ خَلائِقِ الجُلاّسِ([3])

ثالثاً - الجناس : ومن الأمثلة على ذلك قوله:

جَلا ظُلُماتِ الظُّلمِ عَنْ وَجْهِ أُمَّةٍ   أَضاءَ لَها مِنْ كَوْكَبِ الحَقِّ آفِلُهُ ([4])

فأبو تمام يؤيّد المعتصم في خلافته , ولتحقيق ذلك عمد إلى بيان فضائله وأعماله الجليلة الّتي أسداها لأمته مستوحياً الجناس " ظلمات - الظّلم" من الحديث النّبويّ الشّريف :

---

[1]) أبو تمام , **الديوان** 3 / 174.
[2]) نفسه 1 / 26.
[3]) أبو نواس, ***الديوان*** /303.
[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 26.

"**الظّلم ظلمات يوم القيامة** " ([1]). فالجناس هنا له دور موسقيّ, ومعنويّ حيث عمد إليه أبو تمّام ليؤكّد إقامة الخليفة المعتصم العدل وإزالته الظّلم وآثاره , وإحقاقه الحــقّ المــسلوب, وإنارته الطّريق لمن حوله .

أثر التّراث في لغة المتنبّي

لقد تأثّر المتنبّي بالتّراث الدّيني والأدبيّ والتّاريخي والأسطوريّ كما يتّضح فــي الفصول الأول والثّاني والثّالث من هذا البحث . وإضافة إلى ذلك فإنّه يستوحي من المعجم الفقهي ما يساعده في توضيح معناه , نحو قوله :

فَما لَكَ تَقْبَلُ زورَ الكَلامِ وَقَدْرُ الشَّهادَةِ قَدْرُ الشُّهودِ

فَلا تَسْمَعَنَّ مِنَ الكاشِحينَ وَلا تَعْبَأَنَّ بِمَحْكِ اليَهودِ ([2])

فيبين المتنبي بطلان الحكم عليه بالسّجن , لأنّ من شهد عليه لم تنطبق عليه شروط شاهد العدل , فالشّهادة على قدر الشّهود , فإن كان الشّاهد عدلاً قبلت شهادته وإن كان من السّفلة السّاقطين ردّت شهادته .

ويورد مثل ذلك في خاتمة قصيدة مدح فيها القاضي أبي الفرج أحمد بــن الحــسين المالكي , فيقول :

أَقاضِيَنا هَذا الَّذي أَنتَ أَهْلُهُ غَلِطْتُ وَلا الثُّلثانِ هَذا وَلا النِّصْفُ

وَذَنْبِيَ تَقْصيري وَما جِئْتُ مادِحاً بِذَنْبي وَلَكِن جِئتُ أَسأَلُ أَنْ تَعفو([3])

فيستمدّ بعض الألفاظ الّتي تتعلق بأحكام المواريث الّتي يستخدمها عــادة القــضاة ليبــيّن تقصيره في مدح هذا القاضي .

---

[1]) البخاري , ***صحيح البخاري*** / 506 و العيني , ***عمدة القاري شرح صحيح البخاري*** 9 / 194. والصالحي , ***الشذرة في الأحاديث المشتهرة*** 1 /384.
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 347.
[3]) نفسه 2 / 291.

ومن أقواله الّتي يبدو فيها الأثر الفقهيّ واضحاً :

وَزارَكَ بي دونَ المُلوكِ تَحَرُّجي　　　إِذا عَنَّ بَحرٌ لَم يَجُزْ لي التَيَمُّمُ ([1])

ليبيّن أنّه يؤثر ممدوحه بالزّيارة , ويخصّه بها دون الملوك , فضرب المثل لممدوحه بالبحر, ولباقي الملوك بالتّراب , فإذا حضر الماء بطل التّيمّم .

يتمتع المتنبّي بشاعريّة عظيمة غير أنّه بقي أسيراً لمخزونه الثّقافي , وهذا المخزون ظل ينعكس في شعره , فعكس أسلوباً جديداً في تشكيل شعره , وهو استخدامه أسلوب التّصغير بهدف التّعظيم , وقد استخدمه الشّعراء الّذين سبقوه للتّعبير عمّا يجول في خاطرهم . وهو من الأساليب اللّغويّة الّتي عمد المتنبّي لاستخدامها , وأضفت على شعره طابع الغرابة , يقول المتنبّي :

إِذا عَذَلوا فيها أَجَبْتُ بِأَنَّةٍ　　　حُبَيِّبَتا قَلْباً فُؤادا هَيا جُمْلُ ([2])

فإذا ما عذلوا المتنبّي في هذه المحبوبة لم يلتفت إليهم , ويجيب العذّال في هذه المحبوبة : يا حبيبتنا , يا قلباً يا فؤاداً يا جمل , فلا يسمع فيها عذلاً . فقد استخدم هنا أسلوب النّداء , فحذف أداة النّداء " الياء " ليدلّل على قرب المحبوبة من نفسه , ورقته في التّعامل معها , واستخدم أسلوب التّصغير" يا حبيبتنا " بهدف تعظيم هذه المحبوبة . وقد طرق الشّعراء من قبل مثل هذه الأساليب في التّعبير عن عواطفهم تجاه من يحبّون , ومنهم لبيد حيث يقول:

وَكُلُّ أُناسٍ سَوفَ تَدخُلُ بَينَهُم　　　دُوَيهِيَةٌ تَصفَرُّ مِنها الأَنامِلُ ([3])

فقد عبّر لبيد بالدّويهية عن الموت مستخدماً أسلوب التّصغير لتعظيم أمر الموت .

---

[1]) المتنبي, ***الديوان*** 4 / 91.

[2]) نفسه 3 / 182.

[3]) ابن أبي ربيعة , لبيد , ***الديوان*** / 131.

كما استخدم أيضاً أسلوب التّصغير بهدف التّحقير, فيقول :

أَوْلى اللِّئامِ كُوَيْفيرٌ بِمَعذِرَةٍ   في كُلِّ لُؤْمٍ وبَعضُ العُذْرِ تَفْنيدُ([1])

فكافور أولى اللّئام في أن يعذر على لؤمه لخبث أصله وخسة قدره وعجزه عن المكـــارم , وقد سبقه أبو تمّام في هذا الأسلوب في مخاطبة الخصوم , فيقول مخاطباً موسى الرّافقي :

أَمُوَيْسُ كَيفَ رَأَيتَ نَصْبَ حَبائِلي   أَوَلَيسَ خَتْلي فَوقَ خَتْلِ الخاتِلِ([2])

وقوله :

أَمُوَيسُ لا يُغني اِعتِذارُكَ طالِباً   عَفْوي فَما بَعدَ العِتابِ عِقابُ([3])

لقد أسهم التّراث في تشكيل لغة المتنبّي الشّعريّة , حيث تحوّلت لغته الّتي يخاطـــب بها ممدوحيه من دلالتها اللّفظية القريبة إلى دلالات أعمق وأشمل مبعثها مشاعره ونوازع نفسه , فاستخدم لغة العشق والحبّ في خطابهم , ومن الأمثلة على ذلك قوله :

تَرَكتُ السُّرى خَلْفي لِمَنْ قَلَّ مالُهُ   وَأَنعَلْتُ أَفراسي بِنُعْماكَ عَسْجَدا

وَقَيَّدتُ نَفسي في ذَراكَ مَحَبَّةً   وَمَنْ وَجَدَ الإِحسْانَ قَيْداً تَقَيَّدا([4])

بلغ المتنبّي كلّ ما طلب من الآمال والمال , وأقام عند سيف الدّولة حباً له , وإحسانه هـــو الّذي قيّده , مخاطباً إيّاه بلغة الحبّ , متأثّراً بقول أبي تمّام :

وَتَركي سُرعَةَ الصَّدَرِ اغتِباطاً   يَدُلُّ عَلى مُوافَقَةِ الوُرودِ([5])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 46.
[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 413.
[3]) نفسه 4 / 311.
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 291 – 292.
[5]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 256.

حيث يمدح أبو تمّام محمّد بن يوسف بلغة الحبّ , فيبيّن شوقه إليه , لأنّه يجد عنده ما يسدّ به حاجته ويكفيه . فالشّاعران هنا متفقان بالموضوع واستخدام قافية الـدّال . وقـد نقـل المتنبّي أيضاً ألفاظ الحبّ والعشق إلى وصف السّلاح وعشقه بدلاً من المرأة , فيقول :

تَبيتُ رِماحُهُ فَوْقَ الهَوادي وَقَدْ ضَرَبَ العَجاجُ لَها رِواقا

تَميلُ كَأَنَّ في الأَبْطالِ خَمْراً عُلِلْنَ بِها اِصْطِباحاً وَاِغْتِباقا([1])

ويستخدم المتنبّي ألفاظ الغزل والنّسيب في وصف الحرب ([2]), فيصف الرّماح بلغة الغزل فيبيّن تعلقه وهيامه بها وبأفعالها , فيرسم لها صورة جميلة , حيث تبيت هذه الرّماح فـوق أعناق خيله في سراه إلى عدوه , فلا ينزل باللّيل آخذاً بالحزم وكأنّها من الغبار الّذي تثيره تحت رواق . وتميل كأنّ دم الأبطال خمرعلت بها صباحاً وعبوقاً , فهي لسكرها تميـل , وميلانها إنّما هو للينها . فقد أضفى المتنبّي على رماحه صفات الإنسان من خلال وصـفه لها بالبيات , وجعله العجاج لها رواقاً , وجعلها تميل كالإنسان الثّمل . فالألفاظ : "تبيـت , تميل رواقاً " تتعلق بلغة الحبّ غير أنّ المتنبّي يصف بها الرّماح والطّعان لتعلّقه بهـا . وهو في ذلك متأثّر بقول ابن الرّومي :

وإعمالي إليك به المطايا وقد ضرب الظّلام له رواقا([3])

وقول البحتريّ :

يَتَعَثَّرْنَ في النُّحورِ وَفي الأَوْ جُهِ سُكْراً لَمّا شَرِبنَ الدّماءَ([4])

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 2/ 300 – 301.

[2]) الخواجا , زهدي صبري , ***موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري*** / 223.

[3]) ابن الرومي , ***الديوان*** 2 / 455.

[4]) البحتري , ***الديوان*** 2 / 350.

فقد استوحى المتنبّي نصّ ابن الرّومي لفظاً ومعنىً فقوله : وقد ضرب لها الظّلام رواقـا مثل قوله : وقد ضرب لها العجاج رواقا . كما أفاد من قول البحتريّ جعله الرّماح تتمايل وتتعثّر لشدّة لينها وترنّحها سكراً لكثرة ما شربت من الدّماء حتّى إنّهـا ثملـت بـدمائهم فقوله: " يتعثّرن في نحور الأعداء سكراً" تتّسق وقول المتنبّي : " تميل كأنّ فـي الأبطـال خمـرا" .

ومن الظّواهر اللّغوية الأخرى في شعر المتنبّي استخدام المحسّنات البديعيّة , ومنها ألوان البديع الّتي اقتصر القدماء في استعمالها , فكان وقعها في أشعاره ألطف من وقعهـا في أشعار المتقدّمين . ومن الأمثلة على ذلك :

أولاً - الطّباق : أحسن المتنبّي المقابلة بين الأضداد , كما أحسن في المقابلة بين الألفـاظ الّتي اختارها ليدلّل على هذه الأضداد , فإذا تمّت له المقابلة بين المعاني المتضادّة , وتمّ له الاختيار الحسن للألفاظ , وتأتّى له بذلك شيء من الاتّساق البديع فإنّه يلهي القارئ ويشغله عما تكلّف من الجهد في تحقيق هذا الفن([1]) . ومن الأمثلة على هذه الظّاهرة قولـه :

ذو العَقلِ يَشقى في النّعيمِ بِعَقلِهِ وَأَخو الجَهالَةِ في الشّقاوَةِ يَنعَمُ([2])

فيؤكّد المتنبّي أنّ العاقل يشقى وإن كان في نعمة لتفكّره في عاقبة الأمور , وعلمه بتحـوّل الأحوال , والجاهل ينعم وهو في الشّقاوة لغفلته , وقلّة تفكيره في العواقب . فالطّباق فـي الألفاظ " العقل , الجهل , النّعيم ,الشّقاوة " يخدم بموسيقاه ظاهرة نحـسّ بهـا ونعايـشها ولكننا لا نستطيع التّعبير عنها ([3]) , حيث يعبّر عن رفضه لهذا الواقع , وبخاصّـة أنّـه

---

[1]) ينظر حسين , طه , ***مع المتنبي*** / 50.
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 124.
[3]) نافع , عبد الفتاح , ***لغة الحب في شعر المتنبي*** / 311.

يرى في نفسه العبقرية والعظمة , وغيره ينعم ويتحكم وهو في أسفل الدّرجات مستوحياً قول ابن المعتزّ:

وحلاوةُ الدّنيا لِجاهِلِها ومَرارَةُ الدّنيا لِمَنْ عَقِلا ([1])

ثانياً - التّكرار : وهو من الظّواهر اللّغوية الشّائعة في شعر المتنبّي , وله وقع في الأذن والنّفس , لما يضفي على النّفس من موسيقا سواء أكان على مستوى الحروف أم الكلمات . ومن الأمثلة على هذه الظّاهرة قول المتنبّي مشيداً بنسب ممدوحه محمّد ابن عبد الله القاضي الأنطاكيّ في قوله :

أَفعالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَها جَدّي الخَصيبُ عَرَفْنا العِرْقَ بِالغُصُنِ

العارِضُ الهتِنُ ابنُ العارِضِ الهتِنِ ابـ ـنِ العارِضِ الهتِنِ ابنِ العارِضِ الهتِنِ ([2])

فيبيّن المتنبّي أنّ أفعال ممدوحه الكريمة تدلّ على كرم أصله , وتقوم مقام النّسب , فهو جواد ابن آباء أجواد . فالمتنبّي هنا كرّر لفظه بناء على الحديث النّبوي الشّريف : " **الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السّلام** " ([3]) لشرف النّسب .

ومن ذلك قوله:

لَنا وَلأَهْلِهِ أَبَداً قُلوبٌ تَلاقى في جُسومٍ ما تَلاقى

وَما عفَتِ الرِّياحُ لَهُ مَحَلاًّ عَفاهُ مَنْ حَدا بِهِمُ وَساقا ([4])

---

[1]) المتنبي , *الديوان* 4/ 124.
[2]) نفسه 4 / 216.
[3]) ابن حنبل , مسند ابن حنبل 2 / 69.
[4]) المتنبي , *الديوان* 2 / 294.

فالتّكرار واضح في النّص السّابق " تلاقي , ما , تلاقي " , " وما عفت , عفاء " وعرضـــه نقل دهشة المتنبّي وإعجابه العظيم بسيف الدّولة , والتّأكيد على حبّه في قلـــوب النّـــاس , وهو هنا استثمر قول ابن المعتزّ في التّعبير عن شعوره :

إِن قالَ هَذا بَهرَجٌ لَم يَنفُقِ   إِنّا عَلى البُعادِ وَالتَفَرُّقِ

نَلتَقي بِالذّكرِ وَإِن لَم نَلتَقِ([1])

ثالثاً – الجناس : ومن الأمثلة على ذلك قوله في مقدّمة طلليّة يبيّن فيها تجدّد ذكرى منازل محبوبته الدّارسة :

لَكِ يا مَنازِلُ في القُلوبِ مَنازِلُ   أَقفَرتِ أَنتِ وَهُنَّ مِنكِ أَواهِلُ ([2])

فقد أحدث المتنبّي جمالية إنشائيّة خاصّة صاغها من خلال المراوحة بين الجناس والطّباق من جهة ؛ وحضور الأسلوبين الإنشائي والخبري من جهة ثانية ؛ وكثافة المد والحـــروف الخيشومية من جهة , مستوحياً قول أبي تمّام :

وَقَفتُ وَأَحشائي مَنازِلُ لِلأَسى   بِهِ وَهوَ قَفرٌ قَد تَعَفَّت مَنازِلُه ([3])

وقد وظّف المتنبّي نسب الحمدانيين كمادة للجناس في قوله :

مِن تَغلِبَ الغالِبينَ النّاسَ مَنصِبُهُ   وَمِن عَدِيٍّ أَعادي الجُبنِ وَالبَخَلِ ([4])

---

[1]) ابن المعتز , ***الديوان*** 1 /502.

[2]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 249.

[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 21.

[4]) المتنبي , ***الديوان*** 3 / 80.

ليؤكّد أنّ أصل سيف الدّولة من تغلب الّتي غلبت النّاس نجدة وشجاعة , ومن عديّ الّــذين هم أعداء الجبن والبخل , إذ إنّ بني حمدان بطن من بني عدي بن أسامة بــن غــانم بــن تغلب ([1]).

لقد ساهم التّراث في تشكيل لغة أبي تمّام والمتنبّي, حيث توافقت لغة كلّ منهمــا مــع النّصوص الغائبة من حيث الشّكل والمضمون والقافية , مما أدّى إلى إثــراء نــصوصهما الشّعريّة , كما أنّها ساهمت في تشكيل النّص تشكيلاً طبيعيّاً, فظهرت جميلة بعيــدة عــن الغرابة والتّعقيد .

التّراث ونسج الصّورة الشّعريّة

أثر التّراث في الصّورة الشّعريّة في شعر أبي تمّام

يعدّ التّراث وبخاصّة الدّيني أعظم مصدر للصّور النّفسيّة , وذلك لأنّه يمــسّ أصــفى المشاعر وأرقّها وأطهرها وأبسطها , وتختفي وراءه قوّة عزيزة مهيبة ترتفع فــوق كــلّ القوى , وهي قوّة الله جلّت قدرته , ولهذا كانت هذه الصّور في شــعر أبــي تمّــام أكثــر الصّور مؤثّرة بالنّفوس , لقد كانت تجمع بين القديم والحديث والدّين والــدّنيا فــي لحظــة نورانيّة واحدة ([2]).

وقد استعان أبو تمّام في تشكيل صوره الشّعرية بالقرآن الكريم والأحاديث النّبويّــة والفقه الإسلاميّ , وكأنّما أراد التّسلح بقيم روحيّة في مواجهة التّحديات , وإذا عــدنا إلــى الينابيع الّتي استقى منها صوره الشّعرية , سنجدها من روافد جاهليّة وإسلاميّة ومعاصــرة له .

---

[1]) كحالة , عمر رضا , ***معجم قبائل العرب*** 1 / 298.
[2]) الرباعي , عبد القادر , ***الصورة الفنية في شعر أبي تمام*** / 192.

وتأثّر أبي تمّام بالقرآن الكريم كبير جداً كما تدلّ عليه صوره الّتي استوحاها منـــه , ومن الأمثلة على ذلك قوله :

لَو تَطَلَّعْتَ في وِدادي إِذاً فا   جاكَ بَينَ الحَشا وَبَينَ التّراقي (1)

فهو في هذا البيت يمدح إسماعيل بن شهاب , ويبيّن له أنّ حبّه بلـــغ أوجّــه فـــي نفـــسه مستخدماً لفظة التّراقي في رسم صورته الّتي وردت في قوله تعالى :﴿ **كَـــلاّ إِذَا بَلَغَــتْ التَّرَاقِـــيَ** ﴾ (2) . وتعني أنّ قلوبهم ترتفع عن مقارّها ، فتلتصق بحناجرهم من الرّعـــب ، فلا هي تخرج فيموتوا فيستريحوا ، ولا ترجع إلى مقارّها فيتروّحـــوا (3) . فـــأبو تمّـــام استعان بهذه اللّفظة ليرسم صورة استقرار حبّ هذا الممدوح في نفسه .

وفي قوله :

هُم شَليلٌ وَنَثْرَةٌ حينَ لُفَّتْ   في غَداةِ الهَياجِ ساقٌ بِساقِ (4)

يستوحي أبو تمّام صورته من قوله تعالى : ﴿ **وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ** ﴾ (5) وهـــي فـــي الآية الكريمة كناية عن الشّدّة البالغة والهلع عند الموت (6) , فهو هنا استخدمها بما يوافق معنى الآية الكريمة , ليبيّن أنّ إخوان الممدوح في الحرب , وبخاصّة في مواقـــف الـــشّدّة والهلع بمثابة الدّروع له , فينالهم ما يناله .

ويستمدّ في قوله :

لَو رَأَوا كَوكَبَ المَنايا لَظَلّوا   نَحوَها مُهطِعينَ بِالأَعناقِ (7)

---

1) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 449.
2) القيامة 26.
3) أبو العباس , ***البحر المديد*** 6 / 45.
4) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 451.
5) القيامة 29.
6) السيوطي , ***تفسير وبيان القرآن الكريم*** */ 462.*
7) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 451.

صورته من قوله تعالى : ﴿ **مُهْطِعِيــنَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ** ﴾([1]) .

فالآية ترسم صورة هول يوم القيامة , إذ ينادي المنادي بعد النفخة الثّانية فيخــرج النّــاس من قبورهم مسرعين مادي أعناقهم , يقول الكافر منهم هذا يوم صعب شديد([2]). فأبو تمّام يستمدّ صورته من هذا المشهد الّذي تصوره هذه الآية , ويوظّفه في شعره , ليصوّر نجدة إخوان الممدوح له وقت اشتداد الحرب , فهم لو رأوا الموت يقترب منه لمــدّوا أعنــاقهم مسرعين لفدائه .

ويمدح أبو تمّام مالك بن طوق بقوله :

وَرَأَيْتَ قَوْمَكَ وَالإِساءَةُ مِنهُمُ جَرحى بِظُفْرٍ لِلزَّمانِ وَنابِ

هُمْ صَيَّروا تِلكَ البُروقَ صَواعِقاً فيهِمْ وَذاكَ العَفوَ سَوْطَ عَذابِ ([3])

فقد أخطأ قوم مالك بن طوق بحقه , ممّا أحوجه إلى عقابهم وطردهم , فتشفّع لهم أبو تمّام, وطلب إليه أن يعفو عنهم , وبيّن له أنّ هذا العفو سيكون بمثابة سوط عذاب لهــم , لأنّــه سيجعلهم يندمون ويتحسّرون عمّا بدر منهم مستوحياً صورته من قولــه تعــالى : ﴿ **فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ** ﴾ ([4]) فهو هنا يستحضر صورة العذاب الّذي أحلّه الله بكلّ من عاد وثمود وفرعون في وقت واحد من خلال استخدامه عبارة " سوط عذاب " , ليبيّن أثر هذا العفو في نفس قوم ممدوحه .

ويمدح محمّد بن الهيثم بن شبانة من أهل مرو , فيقول :

وَلَيسَت بِالعَوانِ العَنْسِ عِندي وَلا هِيَ مِنكَ بِالبِكْرِ الكَعابِ ([5])

---

1) القمر 8.
2) السيوطي , ***تفسير وبيان القرآن*** / 422.
3) أبو تمام , ***الديوان*** 1/ 80.
4) الفجر 13.
5) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 286.

وقد استوحى أبو تمّام صورته في تصوير عطاء ممدوحه من قوله تعالى : ﴿ **قَـالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ** ﴾ (1) من خلال استخدامه التّجسيد والتشخيص , ليبيّن أن صـنيع ممدوحـه ومعروفه له مثل النّاقة العوان الّتي أسنت فكان يجددها له كلّ حين , ولا هي منه بـالبكر الكعاب أي ليست أول صنائعه له .

ويستدعي بعض صوره من علامات السّاعة , ومن ذلك قولـه فـي هجـاء بابـك الخرميّ :

لَو عايَنَ الدَّجّالُ بَعضَ فَعالِهِ لانهَلَّ دَمعُ الأَعوَرِ الدَّجّالِ (2)

فهذه الصّورة تعكس فساد بابك الخرّمي وضلاله , فالأعور الدّجّال لو رأى ما هـو عليـه من الفساد والتّضليل لهاله ذلك وأبكاه . فصورة الأعور الـدّجّال تعـدّ رمـزاً للتّـضليل والخداع والكذب , ولكنّ أبا تمّام بدّل الصّورة , فجعلها رحيمة ضعيفة تبكي حينما تـرى أفعال بابك , وتصاب بالفزع والهلع لبشاعتها وفظاعتها , ممّا يشدّ انتباه المتلقّي , ويزيـد من تفاعله مع النّص , وبخاصّة أنّ الشّاعر ركّز صورته على حاسّة البصر بصفتها مميّزة لشخصيّة الدّجال .

ويستمّد أبو تمّام بعض صوره من مشاهد الآخرة في قوله:

مالي أَرى الحُجْرَةَ الفَيْحاءَ مُقفَلَةً عَنّي وَقَدْ طالَما استَفتَحتُ مُقفَلَها

كَأَنَّها جَنَّةُ الفِردَوْسِ مُعْرِضَةً وَلَيْسَ لي عَمَلٌ زاكٍ فَأَدْخُلَها (3)

فيصوّر ممدوحه بالجنّة الّتي لا يدخلها إلاّ كلّ صاحب عمل زاك .

---

1) البقرة 68.

2) أبو تمام , *الديوان* 3 / 134.

3) نفسه 3 / 48.

وقوله :

غَنِيَتْ زَماناً جَنَّةً فَكَأَنَّما فُتِحَتْ إِلَيها مُنْذُ سارَ جَهَنَّمُ ([1])

يصوّر البلاد بوجود الممدوح جنّة , ولكنّها تنقلب إلى جهنم عندما يغادرها هذا الممدوح .

وقوله :

أُعطيتَ مِنْ نَفَحاتِ الحُسْنِ أَسناها وَفُقتَ مِن نَفَحاتِ الطّيبِ أَذكاها

فَالحُسنُ مُطَّرَحٌ وَالطيبُ مُفتَضَحٌ وَالحورُ أَصبَحتَ بَعدَ اللّهِ مَوْلاها ([2])

يصوّر فتياته اللّواتي يحبّهن حوريات يثرن في خياله صور الحور في الجنّة .

وذكر بالمقابل صور الجحيم وعذابها , فيقول :

بِكُلِّ بَعيدَةِ الأَرجاءِ تيهٍ كَأَنَّ أُوارَها وَهْجُ الجَحيمِ ([3])

فحرّ الصّحراء يذكّر أبو تمّام بحر جهنم .

وصوّر جهنم عامرة بأعداء ممدوحه محمّد بن يوسف الطّائي , لأنّهم يصيرون إليها إذا ما قتلوا :

تَرَكتَ مِنهُم سَبيلَ النّارِ سابِلَةً في كُلِّ يَومٍ إِلَيها عُصْبَةٌ تَفِدُ([4])

ويستلهم بعض صوره من أحكام التّشريع مجرداً منها صوراً عقليـــة , ومـــن ذلـــك تضمينه لفظة الوقف في تصوير كرم ممدوحه :

أَضْحَتْ مَعاطِنُ رَوْضِهِ وَمِياهُهُ وَقْفاً عَلى الرُّوّادِ وَالوُرّادِ ([5])

---

[1]) أبو تمام , **الديوان** 3 / 196

[2]) نفسه 4 / 285

[3]) نفسه 4 / 534

[4]) نفسه 2 / 18

[5]) نفسه 2 / 129

فهو هنا يجرّد صورة عقليّة , حيث يعادل بالوقف كرم ممدوحه الّــذي كـــان قــد شــبّهه بالرّوضة والمياه .

وفي مدحة له في أبي سعيد يحثّه فيها على برّ ابنه يوسف بن محمّد, يذكر الفـــيء والنّفل في رسم صورته , فيقول :

هُوَ النّفَلُ الحُلْوُ الَّذي إِنْ شَكَرْتَهُ فَقَدْ ذابَ في أَقصى لَهاتِكَ حَلُّهُ

وَفَيْءٌ فَوَفِّرْهُ وَإِنّي لَواثِقٌ بِأَنْ لا يَراكَ اللَّهُ مِمَّنْ يَغُلُّهُ (1)

يخاطب أبو تمّام ممدوحه , وكان قد أعرض عن ابنه يوسف لخلاف بينهما , فاســتعطفه عليه بقوله : هو الزّيادة الّتي أعطاكها الله , وفيء أفاءه عليك يشدّ به أزرك , فقابلـــه بمـــا يستحق , ولا تنقص حظك منه , وإنّي لواثق بذلك منك لأنّك صاحب عقل , وحسن تمييز .

واستوحى أبو تمّام كثيراً من صوره من القصص الدّيني , فاستمدّ جزءاً منها مـــن خلال ذكره الأنبياء – عليهم الصّلاة والسّلام – كقصّة خروج آدم مـــن الجنّـــة , وقـــصّة موسى في بداية دعوته وعلاقته بكلّ من فرعون والسّامري , وإبراهيم الّذي يقال عنه إنّه أول من قرى الضّيف , ونوح في شكره ربّه , ويوسف في حسنه وفي صراعه مع النّفس والغواية , والخضر في تجواله , ومحمّد – عليه الصّلاة والسّلام – في أحاديثـــه وأفعالـــه وبعض قصصه , وغير ذلك ممّا مرّ معي ذكرهم . ومن هذه الصّور الصّورة الّتي يقارن بها بين حال قائد من قوّاد المسلمين راودته نفسه على الفرار من المعركة , فتـــراءت لـــه صورة الممدوح فجأة فاستحيا وتاب , وواصل الجهاد , وحال يوسف - عليه السّلام – لمّا همّ بالمعصية , ثم رأى برهان ربّه , فقاوم الخطيئة وتاب وذلك في قوله :

---

1) أبو تمام , **الديوان** 3 / 147

بِسافِرِ حُرِّ الوَجهِ لَو رامَ سَوْءَةً لَكانَ بِجِلبابِ الدُّجى مُتَلَثِّما

مَثَلتَ لَهُ تَحتَ الظَّلامِ بِصورَةٍ عَلى البُعدِ أَقنَتهُ الحَياءَ فَصَمَّما

كَيوسُفَ لَمّا أَن رَأى أَمرَ رَبِّهِ وَقَد هَمَّ أَن يَعْرَوْرِيَ الذَّنبَ أَحجَما([1])

لم يحتج أبو تمّام إلى تفصيل قصّة يوسف , فهي شائعة بين النّاس , وحوادثها ماثلة في وجدان كلّ مسلم ممتزجة بأحاسيسه الدّينية , وهي جاهزة لأن توقظ عند أوّل منبّه لها مهما كان بسيطاً .

ومثل ذلك أيضاً قصّة مريم فإنّه يأخذ طرفاً منها في رسم صورته الّتي وصف فيها رحلته إلى ممدوحه , حيث يقول :

فَأَجاءَها بَعدَ المَخاضِ طُلوقُها بِمُراهِقِ السِنَّينِ كَهلٍ أَهيَفِ ([2])

فهو هنا يستمدّ صورته من قوله تعالى : ﴿ **فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ** ﴾ ([3]) حيث يشبّه نفسه عند خروجه من السّفينة بشكل غير مباشر بعيسى – عليه السّلام – عند ولادته .

وينقل صوراً من السّيرة النبويّة , كصورة الرّسول – صلّى الله علية وسلّم – حينما مني بموت ولده القاسم في تعزيته مالك بن طوق في وفاة أخيه القاسم , حيث يقول :

أَمالِكُ إِنَّ الحُزنَ أَحلامُ حالِمٍ وَمَهْما يَدُمْ فَالوَجْدُ لَيسَ بِدائِمِ

وَإِن تَكُ مَفجوعاً بِأَبيَضَ لَم يَكُنْ يَشُدُّ عَلى جَدواهُ عَقدَ التَّمائِمِ

فَمِنْ قَبلِهِ ما قَد أُصيبَ نَبِيُّنا أَبوالقاسِمِ النّورُ المُبينُ بِقاسِمِ ([4])

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 237 - 238
[2]) نفسه 2 / 398
[3]) مريم 23
[4]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 257 - 258

فهذه صورة جليلة يجدر ذكرها في مثل هذا الموقف من العزاء , وقد ساعد على تـداعيها عند أبي تمّام تشابه اسم المتوفيين .

ويستمدّ مشهداً من قصّة الهجرة النّبويّة في قوله :

وَلَقَدْ شَفى الأَحشاءَ مِن بُرَحائِها   أَن صارَ بابَكُ جارَ مازَيّارِ

ثانيهِ في كَبِدِ السَّماءِ ولَم يَكُنْ   لاِثنَينِ ثانٍ إِذْ هُما في الغارِ ([1])

وهو هنا يبني صورته على إزدواج التّنافر أي إزدواج الـصّورة المتـضادّة , فالـصّورة الأولى اجتماع بابك ومازيار في كبد السّماء بصرية بينما اجتماع الرّسول –عليه السّلام – وأبي بكر في الغار نموذجيّة عليا , وهاتان الصّورتان ليس بينهما تضاد أو تنافر , ولكـن التّنافر والتّضاد هنا في المادة الّتي تتألف منها كلّ صورة , وذلك لأنّ كلّ مـادة اقترنـت بإحساس متضاد مع الإحساس الّذي اقترنت به المادة الأخرى . ([2])

وأحياناً يكتفي باللّمح السّريع , والإشارة الخاطفة في رسم بعض صوره من قصص القرآن الكريم , ومن الأمثلة على ذلك قوله :

رَأَوْا لَيْثَ الغَريفَةِ وَهْوَ مُلقٍ   ذِراعَيْهِ جَميعاً بِالوَصيدِ ([3])

فهو يستوحي مشهداً من قصّة أهل الكهف , مشهد كلبهم وهو باسط ذراعيه بالوصـيدِ ([4]) في تصويره بطولة ممدوحه وشجاعته في دفاعه عمن وراءه في ساحة القتال , حيث كان في مقدمة الجيش في مواجهته الأعداء يحمي من خلفه . ممّا يوحي للمتلقّي أنّه كان بمثابة الحارس لهم من خلال ربط دوره بدور كلب أهل الكهف الّذي كان يحرسـهم . فأضـفى على صورته البصرية عنصر الحركة ممّا زادها جمالاً وإيحاء .

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 207.
[2]) الرباعي , عبد القادر , ***الصورة الفنية في شعر أبي تمام*** / 256.
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 39.
[4]) الكهف18.

ومن ذلك أيضاً قوله في وصف كثرة أسفاره :

فَطَحْطَحْتُ سَدّاً سَدُّ ياجوجَ دونَهُ   منَ الهَمِّ لَم يُفرَغ عَلى زُبرِهِ قِطْرُ ([1])

فهو يستمدّ صورة بناء ذي القرنين سدّ يأجوج ومأجوج , ليصوّر الصّعاب الّتي لاقاها في سفره من مصر كما ورد في قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا *فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا** ﴾ ([2]) .

ويفيد في رسم صوره من القصص الدّيني العام , ومن الأمثلة على ذلك قوله :

ولَّتْ شَياطينُهُمْ عَنْ حَدِّ مَلْحَمَةٍ   كانَت نُجومُ القَنا فيها لَهُم رُجُما ([3])

يصوّر أبو تمّام أعداء ممدوحه إسحق بن إبراهيم في تعرضهم للإسلام بالشّياطين الّتي تسترق السّمع , وصور ممدوحه بالكواكب الّتي ترجم بها تلك الشّياطين مستوحياً صورته من قوله تعالى : ﴿ **زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ** ﴾ ([4]) .

وعندما يتحدّث عن عاقبة الظّلم , تقفز إلى ذهنه صور الشّر الّتي حاقت بالأمم البائدة نتيجة ظلمهم , فيقول :

لا تَجعَلوا البَغْيَ ظَهْراً إنَّهُ جَمَلٌ   منَ القَطيعَةِ يَرعى وادِيَ النِّقَمِ

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 569.
[2]) الكهف 93 – 97.
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 172.
[4]) الملك 5.

نَظَرتُ في السّيَرِ الأولى خَلَت فَإِذا أَيّامُهُ أَكَلَتْ باكورَةَ الأُمَمِ

أَفنى جَديساً وَطَسْماً كُلَّها وَسَطا بِأَنجُمِ الدَّهرِ مِن عادٍ وَمِن إِرَمِ ([1])

وفي باب الزّهد يبيّن مصيره الّذي سيؤول إليه في نهاية المطاف , مستدلاً بمصير كلّ من طسْم وجرهم وثمود وعاد , ليؤكّد أنّ مصير كلّ إنسان هو الموت في نهاية المطاف :

أُصَوِّتُ بِالدُنيا وَلَيسَت تُجيبُني أُحاوِلُ أَن أَبقى وَكَيفَ بَقائِيا

وَما تَبرَحُ الأَيّامُ تَحذِفُ مُدَّتي بِعَدِّ حِسابٍ لا كَعَدِّ حِسابِيا

لِتَمحُوَ آثاري وَتُخلِقَ جِدَّتي وَتُخلِيَ مِنْ رَبْعي بِكُرْهٍ مَكانِيا

كَما فَعَلَتْ قَبْلي بِطَسْمٍ وَجُرْهُمٍ وَآلِ ثَمودٍ بَعدَ عادِ بنِ عادِيا ([2])

ويمدح الأفشين , فيقول :

ما نالَ ما قَدْ نالَ فِرعَوْنٌ وَلا هامانُ في الدُّنيا وَلا قارونُ ([3])

يتواصل مع كلّ من فرعون وهامان وقارون في رسم صورة سلطة الأفشين ومكانته وجاهه , وأنّه لم ينل أحد من الملك ما ناله .

و يمكن القول بأنه في ذلك كلّه موفقاً بين الصّورة والفحوى العام للسّياق , فهو مثلاً يتذكر يوسف – عليه السّلام – في الغزل بخاصّة , ويتذكّر موسى – عليه السّلام – في مواطن القوّة من المدح بخاصّة , وحين تقفز إلى ذاكرته صورة لقمان في المديح , فإنّه يتذكر حكمته وخطابته , أمّا في الهجاء فيتذكّر طائره لبد الّذي يعدّ رمزاً للشّؤم في أذهان النّاس .

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 192.

[2]) نفسه 4 / 600 – 601.

[3]) نفسه 3 / 321.

ويستمدّ كثيراً من صوره من التّاريخ القديم , ومن ذلك تواصله مع يوم الكلاب ويوم أباغ وكان يوفق بين نتائج هذه الأيّام ونفسيّة ممدوحه . فمثلاً حينما يمدح مالك بن طوق أحد التّغلبيّين فإنّه يذكر يوم الحشّاك والثّرثار اللّذين كانا بين بني تغلب وقيس عيلان ويكثر من ذكر أيام البسوس كيوم الذّنائب ويوم التّحلاق . كما أعاد إلى الأذهان عام الفّجار. وتواصل مع بعض أعلام التّاريخ الّذين اشتهروا بمواقف أو صفات معيّنة , فيذكر الحارث بن عبّاد في مواقف الإلحاح على الثّأر , وزهير بن جذيمة ومالك بن زهير في الحثّ على المحبّة والسّلام , حيث يقول :

أَلَحَّ وَماحَكتُمْ وَلِلقَدَرِ التَقى غَريمانِ في الهَيجا مُلِحٌّ وَماحِكُ

هُوَ الحارِثُ النّاعي بُجَيراً وَإِنْ يُدَنْ لَهُ فَهْوَ إِشفاقاً زُهَيْرٌ وَمالِكُ ([1])

فالحارث قد أصبح بإلحاحه على طلب الثّأر لبجير واجتهاده بحرب تغلب نموذجاً للحقد والعداوة في وجدان النّاس وعقولهم . وكذلك زهير ومالك بما كان منهما في حرب داحس والغبراء , حيث أصبحا نموذجاً للمحبّة والسّلام والإشفاق .

واستدعى مواقف المسهر بن عمرو وهرم بن سنان وإياس بن قبيصة والمهلهل وكليب وهمام والبراض , ويستدعي صورة من اشتهروا بصفات معيّنة انطبعت في وجدان النّاس متخذاً إيّاها موضوعات لصوره كعمرو بن معدي كرب في مواطن القوّة , وحاتم الطّائي في الكرم والنّعمان بن المنذر في النّعيم والدّعة والجمال.

ويستدعي صورة أبي بكر وعمر من الخلفاء الرّاشدين , وحروب الرّدة من خلال ذكره لمسيلمة الكذّاب .ويذكر معاوية من التاريخ الإسلاميّ , فيعيد على الأذهان اندحاره في وقعة صفين في معرض تنديده بمارقٍ يدعى معاوية , حيث يقول :

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 461.

وَلّى مُعاوِيَةٌ عَنْهُمْ وَقَد حَكَمَت فيهِ القَنا فَأَبى المِقدارُ وَالأَمَدُ

نَجّاكَ في الرَّوْعِ ما نَجّى سَمِيَّكَ في صِفّينَ وَالخَيْلُ بِالفُرْسانِ تَنجَرِدُ([1])

ومن الأعلام الّذين استعان بمواقفهم في رسم صوره عبد الملك بن مروان والأحنف بن قيس والمهلّب بن أبي صفرة والضّحاك بن قيس .

ويستعيد من التّاريخ العباسي صورة السّفاح والمنصور والمهدي والرّشـيد مـن الخلفـاء , وهرثمة بن أعين وخزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد الشيباني .

وتواصل أيضاً مع تاريخ الفرس , وذلك من خلال تشبيهه قصيدته بالحلل والحليّ الفارسيـّة , حيث يقول :

تُزَفُّ إِلَيكُمْ يا بنَ نَصْرٍ كَأَنَّها حَليلَةُ كِسْرى يَومَ آواهُ قَيْصَرُ ([2])

ويسترجع أيضاً صور الشّعراء السّابقين من خلال استعادته لأقوالهم أو مواقفهم في مواقـف تجريبيّة مماثلة أو مخالفة . ومن الأمثلة على ذلك توظيفه اسم هند الّتي أكثر من ذكرها الـشّعراء , وبخاصّة عمر بن أبي ربيعة في قصيدته المشهورة " ليت هنداً أنجزتنا ما تعد " , حيث يقول :

فَلا تَحْسَبا هِنْداً لَها الغَدْرُ وَحْدَها سَجِيَّةَ نَفسٍ كُلُّ غانِيَةٍ هِنْدُ([3])

ومن ذلك أيضاً توظيفه امرأ القيس والأعشيين وطرفة ولبيد في مطالع قصائده .

كما يستعيد مواقف أخرى للشّعراء , كموقف النّابغة من النّعمان بن المنذر , وزهيـر مـن هرم بن سنان , والمرقّش من أسماء , ويوم عبيد بن الأبرص في تشبيه مواقـف لـه مماثلـة مـع ممدوحيه أو مع من يحب ويهوى من النّساء . ومن الشّعراء المخضرمين والأمويّين يعيـد مواقـف كلاً من الحطيئة وعديّ بن الرّقاع وكثير والفرزدق والأخطل .

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 /14 – 15.

[2]) نفسه 2 / 217.

[3]) نفسه 2 /81.

ومن العصر العباسيّ يستمدّ منه في صوره ممن اشتهروا بالبلاغة كخالد بن صفوان وابن المقفّع والخطباء ويستعين بالأمثال . ومن ذلك قوله يصف الحسن بن وهب :

وَإِذا رَأَيتُكَ وَالكَلامُ لآلِئٌ تُومٌ فَبِكْرٌ في النِّظامِ وَثَيِّبُ

فَكَأَنَّ قُسّاً في عُكاظِ يَخطُبُ وكَأَنَّ لَيْلى الأَخيَلِيَّةَ تَنْدُبُ ([1])

إنّ التّداعي النّفسي هو السّبب في إحضار الصّورتين الأخيرتين , فالحسن بن وهب هو كاتب معروف بالفصاحة والبلاغة . وفي ذهن أبي تمام ونفسه أنّ قساً هو النّموذج الأعلى في الخطابة , وأن ليلى الأخيلية نموذج في البكاء والرّثاء , وهاتان الصّورتان التراثيّتان أصبح لهما مكاناً في عقول النّاس ونفسيّاتهم .

ومثل ذلك الأمثال العربيّة القديمة , وبخاصّة أنّ المثل يقترن بواقعة مشهورة , فقد أدخل أبو تمّام المثل في صورته , فلم يبقه على ما هو عليه , ومن الأمثلة على ذلك تصويره عذابه مع من يحب , حيث يقول :

بِعَقلي هَذا صِرْتُ أُحدوثَةَ الرَّكبِ وَقَد كُنتُ في سَلْمٍ فَأَصبَحتُ في حَربِ

لَعَمرٌوٌ مَعَ الرَّمضاءِ وَالنّارُ تَلتَظي أَرَقُّ وَأَحفى مِنكَ في ساعَةِ الكَرْبِ([2])

فأصل المثل في تركيبه :

المُستَجيرُ بِعَمرٍ عِندَ كُربَتِهِ كَالمُستَجيرِ مِنَ الرَّمضاءِ بِالنّارِ([3])

ولكنّ أبا تمّام ركّبه بطريقته حيث صوّر مدى انفعاله . وهكذا كانت هذه الصّور تأتي من أعماق أبي تمّام , فتأتي بطريقة لا شعورية , فيصيغها بطريقته الخاصّة , فتثير في نفس المتلقّي شعوراً خاصّاً بطريقة إيحائية فريدة. وهذه الصّور لم تكن تأتي عن تكلّف وتصنّع,

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1/ 134.
[2]) نفسه 4 / 170.
[3]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 3 / 30.

وإنّما يستحضرها خيال أبي تمّام نتيجة قوّة انفعاله , وبخاصّة أنّها تمثّل مواقف وعلاقـــات خاصّة دخلت الذّاكرة الشّعبية لشهرتها وغرابتها كعلاقة عامر بن الطّفيل بعلقمة بن علاثة من خلال منافرتهما المشهورة , والمرقش بحبيبته أسماء , وزهير بن أبي سلمى بهرم بـــن سنان , والنّابغة الذّبيانيّ بالمنذر بن النّعمان , والمختار الثّقفي بالهاشميّين , وكعب الغنويّ بأخيه أبي المغوار , وعمرو بن شأس بأخيه عرار ...الخ .إضافة إلى الوقـــائع التّاريخيـــة الّتي دخلت عقول النّاس وهزّت مشاعرهم واستقرّت في ذاكرتهم .

لقد كانت الصورة القريبة المألوفة المتداولة بين النّاس بعيدة عن مخيلـــة أبـــي تمّـــام المبدعة الخلاّقة , وذلك لإيمانه أنّ الشّعر للخاصّة لا للعامّة , فهو إذا تناول صورة قديمـــة مألوفة ظلّ يحوّر فيها ويعدّل حتّى تستقيم له صورة نادرة غير مألوفة ([1]) ومن الأمثلـــة على ذلك :

يقول النّابغة الذّبياني في وصف يوم حرب :

تَبدو كَواكِبُهُ وَالشّمسُ طالِعَةٌ　　　لا النّورُ نورٌ وَلا الإِظلامُ إِظلامُ([2])

استوحى أبو تمّام صورته من هذا البيت في وصفه الحريق حيث ذكر ضوء النّهار وظلمة الدّخان في قوله :

ضَوْءٌ مِنَ النّارِ وَالظّلْماءُ عاكِفَةٌ　　　وَظُلمَةٌ مِن دُخَانٍ في ضُحىً شَحِبِ

فَالشّمْسُ طالِعَةٌ مِنْ ذا وَقَدْ أَفَلَتْ　　　وَالشّمسُ واجِبَةٌ مِنْ ذا ولَمْ تَجِبِ([3])

ولكنّ الفرق واضح في صورة الحرب الّتي رسمها النّابغة والصّورة الّتي شكّلها أبو تمّام , فهي تبدوعند شاعرنا متكاملة ومتماسكة ومنسوجة بإحكام , فأبو تمّام يثبت مبـــدأ التّـــضاد

---

[1]) ينظر خليف , يوسف , ***في الشعر العباسي نحو منهج جديد*** / 98.
[2]) النابغة , ***الديوان*** / 105.
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 54.

ويجعله مدار حركة المتضادات , ويعتمد على اللّون وتدرجاته و كأنّه يسعى إلـــى صـــبغ الصّورة بكلّ جوانبها بهالة من الغموض المتولّد عن تضاد النّور والظّلمة وما يتبعه مـــن إشراق وشحوب , وأراد من ذلك تحقيق أبعاد فكريّة في تصويره لوقعة عمّوريّة من خلال التّصوير الحسيّ .

ويقول في تصويره مناعة عمّوريّة :

وبَرْزَةُ الوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِياضَتُها كِسْرى وَصَدَّتْ صُدوداً عَنْ أَبي كَرِبِ([1])

يصوّر ماضي عمّوريّة , وكيف تأبّت على كبار الفاتحين في التّاريخ , ويكاد يردّد مـــن الأسماء ما تردد عند كعب بن مالك الأنصاري وهو يردّ على ابن الزّبعـــرى فـــي يـــوم الخندق في تصويره لكتيبة المسلمين :

أعْتَبَ أبا كَربٍ وأعْيَتْ تُبَّعاً وأَبتْ بَسالتُها على الأَعرابِ ([2])

ويستمدّ أبو تمّام في تصويره ألفاظاً وصوراً من البادية , حيث يقول :

تَخَرُّصاً وَأَحاديثاً مُلَفَّقَةً لَيسَت بِنَبْعٍ إِذا عُدَّت وَلا غَرَبِ

يا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمّورِيَّةَ انصَرَفَت مِنْكَ المُنى حُفَّلاً مَعْسولَةَ الحَلَبِ

حَتّى إِذا مَخَّضَ اللّهُ السِّنينَ لَها مَخْضَ البَخيلَةِ كانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ

جَرى لَها الفَأْلُ بَرْحاً يَوْمَ أَنقِرَةٍ إِذ غودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحاتِ وَالرِّحَبِ

ما رَبعُ مَيَّةَ مَعْموراً يُطيفُ بِهِ غَيْلانُ أَبْهى رُبىً مِن رَبْعِها الخَرِبِ ([3])

فهو يدخل في نسيج صوره المعجم البدويّ كالنبع والغرب , ويأخذ صورة المنـــى حفـــلاً معسولة الحلب , ومخض البخيلة ووحشة السّاحات الّتي وصف بها الطّلل الجـــاهلي كمـــا

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 1/ 47.
[2]) ابن مالك , كعب , ***الديوان*** / 28.
[3]) أبو تمام , ***الديوان***1/ 42 – 56.

وصفت بها عمّوريّة بعد الحريق . وربع ميّة والورد والصّدر والماء والعــشب والأوتــاد والطّنب وعدو الظّليم .

فهو يجمع بين صور من واقعه وأخرى تراثيّة . ولا شك أنّ هــذا المــصدر كــان رافداً من روافد التّصوير الشّعري وإن كان قد وجد مكانه بصورة أكثر اتّساعاً وبروزاً في شكل القصيدة ونمطها التّقليدي الّذي لم يكسره أبو تمّام أو يخرج عليه إلاّ في القليــل مــن شعرة .

فالمعجم البدويّ عند أبي تمّام اتّخذ بعداً جديداً فأصبح وسيلة للتّفرد الإبــداعيّ , وســبيلاً لمواجهة المعوقات التّي تقف في وجه الإبداع الشّعري المحدث , وأهمهــا مآخــذ النّقــاد كالسّرقة والإحالة والابتذال .

وممّا أخذ على أبي تمّام كثرة ورود الاستعارة في شعــره , ومن الأمثلة على ذلــك قوله :

فَضَرَبْتَ الشّتاءَ في أَخْدَعَيْهِ   ضَرْبَةً غادَرَتْهُ عَوْداً رَكوبا([1])

فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده منــها , لأنّه اتخذها مذهباً فنيّاً يؤمن به ويحرص عليه ويدافع عنه , ويبيّن لمن ينكرون هذا المذهب عليه أنه ليس غريبا على العرب . وقد روي أنّ بعض الشّعراء أرسل إلى أبي تمّام قارورةً وقال له : ابعث في هذه شــيئاً مــن مــاء الملام، فأرسل إليه أبو تمّام، وقال: إذا بعثت إليّ ريشة من جناح الذّل بعثت إليك شيئاً من ماء الملام ([2]) . وهو هنا يشير إلى قوله تعالى : ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ**﴾ ([3]).

وقد وردت الاستعارة في أشعار القدماء ومن الأمثلة على ذلك قول امرئ القيس :

---

[1]) أبو تمام ,*الديوان* 1/ 166.

[2]) ينظر ابن الأثير , ***المثل السائر*** 1 / 40 والعاملي , ***الكشكول*** 1 / 274 – 276.

[3]) الإسراء 24.

فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعجازاً وَناءَ بِكَلْكَلِ([1])

نهل أبو تمّام من التّاريخ الأدبي من مختلف العصور, ولم يعجز عن طرح صور خاصّة من إبداعه ظهرت فيها براعة الإبداع , كما ظهر فيه تواصله مع تراثه العميق الّذي ثقفه ونهل منه .

أثر التّراث في الصّورة الشّعرية في شعر المتنبّي

وقد أفاد المتنبّي من القرآن الكريم في رسم بعض صوره , ومن ذلك قوله :

وَمَكْرُماتٍ مَشَتْ على قَدَمِ الـ بِرِّ إِلى مَنْزِلي تُرَدِّدُها

أَقَرَّ جِلْدي بِها عَلَيَّ فَلا أَقْدِرُ حَتّى المَماتِ أَجْحَدُها ([2])

فقد استعار الفعل أقرّ للجلد في بيته , كما استعيرت الشّهادة للجلود في قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا** ﴾ ([3]) , ليبيّن أنّ إهداء الممدوح الثّياب له نعمة لا يستطيع أن يجحدها , لأنّ جلده أقرّ بها كما تشهد الجلود على أصحابها يوم القيامة.

ويستعين المتنبّي بالحديث النّبويّ الشّريف في رسم صورة ممدوحه عليّ بن أحمد بن عامر الأنطاكيّ في قوله :

وَما زِلْتُ حَتّى قادَني الشَّوْقُ نَحوَهُ يُسايِرُني في كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ ([4])

---

[1]) امرؤ القيس , ***الديوان*** / 48.

[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 312.

[3]) فصلت 21.

[4]) المتنبي , ***الديوان*** 2 / 155.

فكان المتنبّي قبل أن يلتقي بممدوحه يسمع الكثير عنه , ويستعظم ما يسمع حتّـــى خبـــره , فوجده أعظم ممّا كان يسمع عنه من الوصف . وهذا من قول الرّسول – صلّى الله عليـــه وسلّم لزيد الخيل الطّائي وقد وفد عليه :" **ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جـــاءني , إلاّ رأيته دون ما يقال فيه إلاّ زيد الخيل, فإنّه لم يبلغ كلّ ما كان فيه** "([1]) .

ويستلهم بعض صوره من الفقه الإسلاميّ , ومن ذلك قوله محاولاً تبرئة نفسه ممّـــا نسب إليه , فاستثمر بعض الأحكام المتعلقة بالحدود :

تُعَجِّلُ فِيَّ وُجوبُ الحُدودِ   وَحَدّي قُبَيلَ وُجوبِ السُّجودِ([2])

فقد بيّن أنّه لم يصل إلى سن البلوغ كي يوجب علية الحدّ , فهو يحاول أن ينفي التّهمة عن نفسه بتصغير سنّه أمام الحاكم .

وقد تكون شخصيّة الممدوح واتصالها ببيئة الفقهاء أو القضاة دافعاً يقـــود المتنبـــي إلـــى إضفاء مسحة فقهية على صوره وألفاظه , ومن الأمثلة على ذلـــك قـــصيدة يمـــدح فيهـــا القاضي الأنطاكي , يقول فيها :

أَلقى الكِرامُ الأُولى بادوا مَكارِمَهُمْ   عَلى الخَصيبِيِّ عِنْدَ الفَرْضِ وَالسُّنَنِ

فَهُنَّ في الحَجرِ مِنهُ كُلَّما عَرَضَت   لَهُ اليَتامى بَدا بِالمَجدِ وَالمِنَنِ ([3])

ورث هذا القاضي مكارم السّابقين الكرام فهي تحت تصرّفه يتكفّل أمرها , شأنها في ذلك شأن من يتولّى أمرهم من اليتامى . لقد قادته شخصيّة القاضي الّذي يمدحـــه إلـــى جعـــل المكارم في صورة الأيتام بوضعها تحت الحجر أو الكفالة , وهذه الصّورة استدعت ذكـــر الفرض والسّنن في البيت الأول تمهيداً لذكر اليتامى في البيت الثّاني .

---

[1]) ابن هشام , ***السيرة النبوية*** 4 /188 .
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 346.
[3]) نفسه 4 / 214.

ويوظّف المتنبّي حكم الإسلام في المرتدين في رسم بعض صوره , نحو قولـــه فـــي مدح سيف الدّولة :

كَأَنَّ سَخاءَكَ الإِسلامُ تَخشى إِذا ما حُلْتَ عاقِبَةَ اِرتِدادِ ([1])

ليبيّن أنّ سيف الدّولة يدين بالسّخاء ويعتقده كاعتقاده بدين الإسلام , ويعـــدّ تحوّلـــه عنـــه كالرّدّة , فهو يخاف هذا التّحول كما يخاف الرّدة الّتي عاقبتها القتل ودخول النّار .

واستوحى كثيراً من صوره من القصص الدّيني , فاستمدّ جـــزءاً منهـــا مـــن خـــلال توظيفه قصص الأنبياء – عليهم الصّلاة والسّلام – كقصّة خروج آدم من الجنّة , وقـــصّة طوفان نوح , وصالح في دعوته , وقصّة قميص يوسف , و قصص من سيرة موسى في انشقاق البحر له وفي قصّته مع السّامري , وداود في صنعته , وسليمان في تفهّمـــه للغـــة الطّير وفي اتّساع ملكه , وعيسى في معجزاته , وذي القرنين في بنائه الـــسّد , والخـــضر في تجواله , ومحمّد في بعض معجزاته , وغير ذلك ممّا مرّ معي ذكرهم . ومن الأمثلـــة على ذلك قولـــه :

ما مُقامي بِأَرضِ نَخلَةَ إِلا كَمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهودِ ([2])

فاستمداد المتنبّي صورة المسيح بين اليهود أعطت للنّص إيحاءات متعدّدة , فهـــو يقـــدّم صورة الاغتراب الّذي أحسّ به بين هؤلاء القوم , أو صورة العذاب المتمثّل بالسّجن فـــي ذلك المكان أو ما لحقه من أذى , وكذلك قوله :

أَنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللّـــ ـــهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ([3])

وقد يستعين بلفظة من قصص الأنبياء في تصويره , كقوله في سيف الدّولة :

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 359.

[2]) نفسه1 / 319.

[3]) نفسه 1 / 324.

وَلَو رَآهُ حَوارِيّوهُمُ لَبَنوا   عَلى مَحَبَّتِهِ الشَّرعَ الَّذي شَرَعوا([1])

استغلّ المتنبّي لفظة الحواريين لتصوير عدل سيف الدّولة في الحرب الّتي خاضـــها ضـــد الدّمستق , فلو أنّ حوارييهم الّذين يؤمنون بهم رأوا عدل سيف الدّولة لأيّدوه وناصـــروه , وبنو حبهم على شريعته .

ويستمدّ في تصويره الخيل صفات البراق :

ما رَآها مُكَذِّبُ الرُّسلِ إِلاّ   صَدَّقَ القَولَ في صِفاتِ البُراقِ([2])

ليشكّل صورة الفرس المثاليّة في السّرعة والنّشاط , هذا إضافة إلى ما تـــوحي بـــه هـــذه الصّورة من وصول الممدوح إلى منزلة سامية حتّى خصّ بفرس كالبراق شأنه فـــي ذلـــك شأن الرّسل والأنبياء .

ومن الحوادث التّاريخية يوظّف قصّة الخوارج وبني البريديّ , وخبر درع علـــيّ , وأعلام من الطّب , وحاتم الطّائي , وبعض أقـــوال الـــصّحابة – رضـــي الله عـــنهم - , والأنساب , وبعض الأساطير كزرقاء اليمامة والعنقاء . وكذلك اســـتخدم الأمثـــال فـــي تشكيل بعض صوره , واستوحى كثيراً من صوره من الشّعراء السّابقين له , ومن الأمثلـــة على ذلك تصوير الشّعراء السّابقين له الخوف , ومنهم النّابغة في اعتذاره , حيث يقول:

فَبِتُّ كَأَنَّ العائِداتِ فَرَشنَني   هَراساً بِهِ يُعلى فِراشي وَيُقشَبُ ([3])

وقول كعب بن زهير في اعتذاره :

لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقومُ بِهِ   أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسْمَعُ الفيلُ

لَظَلَّ يُرْعَدُ إلا أَنْ يَكونَ لَهُ   مِنَ الرَّسولِ بِإِذْنِ اللّهِ تَنويلُ([4])

---

[1]) المتنبي , *الديوان* 1 / 324.
[2]) نفسه 2 / 365 – 366.
[3]) النابغة , *الديوان* / 45.
[4]) ابن زهير , كعب , *الديوان* / 23.

فقد أخذ المتنبّي معنى هذين البيتين ولمّ بأطراف الصّورة فيهما من خلال تقديمـــه صـــورة جديدة لرسول ملك الرّوم أمام سيف الدّولة وقد ملأ الخوف قلبه , فيقول :

أَتاكَ يَكادُ الرَّأسُ يَجْحَدُ عُنْقَهُ وَتَنْقَدُّ تَحتَ الذُّعْرِ مِنهُ المَفاصِلُ([1])

فيصوّر المتنبّي رسول الرّوم وقد ساوره الخوف من الإقدام على سيف الدّولـــة , وكـــأنّ سيفه واقعاً عليه , حتّى يكاد رأسه ينكر عنقه توهماً منه أنّه قـــد انفـــصل عنـــه , وتكـــاد مفاصله يقطعها ذعره هيبة وفرقاً من سيف الدّولة . فالمتنبّي لا يكتفي بتقديم صورة حسيّة كسابقيه تقف عند حدود وصف الرّسول بالخوف والاستسلام , والنّـــدم والإقـــرار بقـــوّة الخصم , وإنّما ولّد معنى جديداً , فتصوير النّفس وما يعتريها من شعور بـــالخوف أثنـــاء المعركة ممّا يجيد تصويره المتنبّي نتيجة تجاربه الطّويلة وخبرته في هذا الميدان([2]).

وصوّر الشعراء قديماً الحروب , وبخاصّة تحليق الطّير فـــوق الجيـــوش المحاربـــة بحثاً عن دماء القتلى وأجسادهم , ومنهم النّابغة الذّبياني , حيث قال :

إِذا ماغَزَوْا بِالجَيشِ حَلَّقَ فَوقَهُمْ عَصائِبُ طَيرٍ تَهتَدي بِعَصائِبِ ([3])

وقول أبي نوّاس :

تَتَأَيّا الطَيرُ غُدوتَهُ ثِقَةً بِالشَبَعِ مِن جَزَرِه ([4])

وقول مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَّدَ الطّيرَ عاداتٍ وَثِقْنَ بِها فَهُنَّ يَتبَعْنَهُ في كُلِّ مُرْتَحَلِ ([5])

واستوحى أبو تمام هذه الصّور ولم يقنع بتجديد مسلم :

---

1) المتنبي , *الديوان* 3 / 113.
2) ينظرنافع , عبد الفتاح , **لغة الحب عند المتنبي** / 335.
3) *الديوان* / 10.
4) *الديوان* / 311.
5) *الديوان* / 12.

وَقَد ظُلِّلَتْ عِقْبانُ أَعلامِهِ ضُحىً بِعِقْبانِ طَيْرٍ في الدِّماءِ نَواهِلِ

أَقامَتْ مَعَ الرّاياتِ حَتّى كَأَنَّها مِنَ الجَيْشِ إِلاّ أَنَّها لَم تُقاتِلِ([1])

واستوحى المتنبّي هذه الصّورة , وجاء بصورة جديدة إذ يقول:

لَهُ عَسكَرا خَيلٍ وَطَيرٍ إِذا رَمى بِها عَسكَراً لَم يَبقَ إِلاّ جَماجِمُهْ

سَحابٌ مِنَ العِقْبانِ يَزحَفُ تَحْتَها سَحابٌ إِذا استَسْقَتْ سَقَتها صَوارِمُهْ ([2])

فالمتنبّي في تصويره جيش سيف الدّولة قد خرج عن المألوف ممّن تقدّمه من الشّعراء إلى غير القصد الّذي قصدوه فأغرب وأبدع , وحاز الإحسان بجملته , فصار كأنّه المبتدع لهذا المعنى دون غيره " ([3]) . وموطن الغرابة في هذه الصّورة هو خروجها عن المألوف حيث جعل الطّير والجيش سحابتين . وجعل السّحاب الأسفل المتمثّل في جيش سيف الدّولة يسقي السّحاب الأعلى منه " الطّير" , والصّوارم هي الّتي تسقيها بما تريق من دم الأعداء. فالمتنبّي اعتمد في هذه الصّورة على خياله الخلاّق الّذي يهدم الأشياء ويبعثرها , ثم يختار ويعيد جمعها وتأليفها وتشكيلها حسبما يريد([4]) . فارتفع بهذا المعنى إلى جوهر الشّعر , واستطاع أن يروّع سامعيه وقارئيه بالتّعبير والتّصوير جميعاً ([5]) . وأضفى على صورته عنصر الحركة ممّا زادها روعة وجمالاً وإيحاء , وأبعدها عن المباشرة والتّقريرية من خلال تصويره الجيش بعدده وعديده , والخيل تحمل الفرسان ويدفع بعضها بعضاً , والغبار القاتم يغطي الجيش ممّا يجعل الجيش سحاباً كثيفاً , ثم تأتي حركة الرّماح والسّيوف , فتبدو في حركتها وكأنّها تسقي السّحاب الّذي يعلوها من دم الجنود الّذي تنهل

---

[1]) ***الديوان*** 3 / 82.

[2]) ***الديوان*** 4 /336 -338 .

[3]) البديعي , ***الصبح المنبي عن حيثية المتنبي*** / 74 .

[4]) ينظر الرباعي , عبد القادر , ***الصورة الفنية في النقد الشعري*** / 9.

[5]) حسين , طه , ***مع المتنبي*** / 74.

منه ([1]) . وقد وقف البهيتي عند صورة أبي تمّام والمتنبّي اعتماداً على خصائص طريقــة المتنبّي وأبي تمّام في التّعبير والتّصوير, إذ إنّ الخيال قوام الصّورتين لكن خيال أبي تمّام يصدر عن الجمال في الحياة , بينما يتبدى الجمال عند أبي الطّيب فــي معــرض القــوّة والرّهبة , ولذلك يعوّل الطّائي على اللّون , لتغدو الصّورة لوحة يمتزج فيها نور الضّحى بألوان الرّايات وحمر الدّماء , ويوافق ذلك حركة العقبان الّتي نهلت من الدّماء ثم هــدأت فوق الرّؤوس لا تقاتل بينما تموج السّحب والظّلمات في بيت أبي الطّيب وتتراكب إضــافة إلى هتاف الصّوارم , تهتف بها الطّير وتسقيها فتظهر متعاكسة يسقي أســفلها أعلاهــا , واستدلّ الشّاعر بذلك على الاختلاف النّفسي بين الشّاعرين أيضاً ([2]), فــصورة المتنبّــي رغم جدتها وغرابتها إلاّ أنّ لها جذور تراثيّة , ولكنّ الّذي ميّــز بناءهــا حــسن ســبكها وصياغتها وتحوير لغتها وانحرافها عن المعتاد . ويبدو أن شعراء العربية الّــذين ســبقوا المتنبّي قد عنوا بهذه الصّورة , فظلّوا يطوّرونها ويضيفون إليها ما يستطيعون من جمــال السّبك الفنّي حتّى كان لها الكمال الفنّي على يدي المتنبّي .

ويصوّر المتنبي جيش سيف الدّولة بقوله :

صَدَمْتَهُم بِخَميسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَسَمهَرِيَّتُهُ في وَجهِهِ غَمَمُ([3])

فيصف المتنبّي جيش سيف الدّولة , ويجعل الرّماح في هذا الجــيش كــالغمم فــي وجــه الإنسان أي ككثرة الشّعر وإسباله على الوجه . وهو هنا يستمدّ صورته ومعناه مــن قــول أبي تمّام :

بِمَجامعِ الثّغرَينِ ما يَنْفَكُّ مِنْ جَيْشٍ أَزَبَّ وَغارَةٍ شَعْواءِ([4])

---

1) عبد الفتاح , صالح , ***لغة الحب*** / 332.
2) ينظر أبو تمام الطائي , ***حياته وحياة شعره*** / 232 – 233.
3) المتنبي , ***الديوان*** 4 / 23.
4) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 15.

فأبو تمام في صورته يشبّه الجيش بالرّجل الأزب أي الكثير الشّعر , ليـــدلّل علـــى كثـــرة الرّماح الّتي دجّج بها الجيش . فالفكرة والصّورة الّتي دار حولها البيتان واحـــدة , ولكـــن المتنبّي كون من صورة أبي تمّام صورة أكثر وضوحاً ونضوجاً من النّاحية الفنّية .

وربّما يجتمع إلى المتنبّي التّقليد والتّجديد في الـــصّورة الواحـــدة ([1]). فبينمـــا يـــصف أعرابية بالصّور القديمة من تشبيه قدّها بالغصن , وريقها بالشّهد مـــع محاولـــة التجديـــد بإلحاق الظّلم بفتاته :

مَظلومَةُ القَدِّ في تَشْبيهِهِ غُصُنا   مَظلومَةُ الرّيقِ في تَشْبيهِهِ ضَرَبا([2])

فهي مظلومة القدّ لأنّه شبهها بالغصن وهي أحسن منه , وهي مظلومة الرّيق لأنّه شـــبّهه بالعسل وهو أحلى منه .

ولعل ظاهرة التّشخيص والتّجسيد من الظّواهر الّتي احتلّت حيّزاً في شعر المتنبّي , فقد استثمر إيحاءات اللّغة , حيث جعل الزّمن يسخو ويبخل كالإنسان , فيقول :

أَعدى الزَّمانَ سَخاؤُهُ فَسَخا بِهِ   وَلَقَد يَكونُ بِهِ الزَّمانُ بَخيلا ([3])

جعل المتنبّي الزّمان يتعلّم من سخاء الممدوح الّذي لولاه لبخل علـــى أهـــل الـــدّنيا , مستوحياً صورة أبي تمّام :

هَيهاتَ لا يَأتي الزَّمانُ بِمِثْلِهِ   إِنَّ الزَّمانَ بِمِثْلِهِ لَبَخيلُ([4])

ومن ذلك أيضاً إضفائه الصّفات الإنسانيّة على الحيوان , فقد جعل النّاقة تمدّ فمها تريـــد تقبيل الحبيبة , فاشتعلت الغيرة في صدره , لأنّ محبوبته تجذب زمام النّاقة نحوها , فيقول :

---

[1]) الهاشم , جوزف , *أبو الطيب المتنبي* – شاعر الطموح والعنفوان / 83.
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 111.
[3]) نفسه 3 / 236.
[4]) ***أبو تمام ,الديوان*** / 102.

وَيُعيرُني جَذْبُ الزّمامِ لِقَلْبِها فَمَها إِلَيكِ كَطالِبٍ تَقْبيلا ([1])

فقد استمدّ المتنبّي هذا المعنى والصّورة من قول مسلم بن الوليد :

وَالعيسُ عاطِفَةُ الرُؤوسِ كَأَنَّما يَختِلْنَ سِرَّ مُحَدِّثٍ في الأَحْلُسِ ([2])

غير أنّ المتنبّي عكس المعنى من طلب المناجاة والحديث إلى طلب التّقبيل في التّعبير عن العلاقة الحميمة بين المحبوبة والنّاقة .

وبذلك يمكن القول: إنّ الموروث بأشكاله المختلفة وصوره المتعدّدة كان مصدراً من مصادر الصّورة الشّعريّة عند أبي تمّام والمتنبّي , ولكن الموروث الدّيني والتّاريخي قد ساهم في نسيج الصورة الشّعرية بشكل أكبر عند أبي تمّام منه عند المتنبّي . وتميّز أبو تمّام باستدعاء صور الشّعراء السّابقين من خلال استعادته لأقوالهم أو مواقفهم في مواقف تجريبيّة مماثلة أو مخالفة , وانفرد باستمداده صوراً ممن اشتهروا بالبلاغة مثل خالد بن صفوان وابن المقفّع والخطباء مثل قسّ بن ساعدة . ومن هنا بدت ذاتيّة الأداء واضحة في كلّ صورة.

أمّا المتنبّي فقد كان للتّراث الأدبيّ النّصيب الأكبر في تشكيل صوره , إذ ركّز على استثمار صور النّصوص الغائبة , وألمّ بأطرافها , فجاءت حيناً موافقة لصور القدماء , ومجدّداً أحياناً , حيث إنّه أبدع في بعض الصّور فجاءت جديدة كلّ الجدّة .

[1]) المتنبي , *الديوان* 3 / 234.

[2]) ابن الوليد , مسلم , *الديوان* / 134.

الاقتباس والتّضمين

الاقتباس :هو أن يُضمّن الكلام شيئا من القرآن أو الحديث لا على أنّه منه ([1]) ولا ينبّـه عليه ([2]). ويعد ّالاقتباس آليّة تكثيفيّة إيجازيّة يتمّ من خلالها استحضار نـصوص دينيّـة معروفة عن طريق المتلقّي الذي يقرأ جزءاً منها , ويتم استذكارها كاملة, لأنّها معروفـة , وليس هناك أدنى حاجة لذكرها في النّص ([3]) . وهو نوعان الأول ألاّ يخرج به المقتـبس عن المعنى , والثّاني أن يغيّر لفظة المقتبس بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تـأخيرأو إبـدال الظّاهر من المضمر ... ([4]).

ويعدّ القرآن الكريم مصدراً مهمّاً من المصادر الّتي يعـود إليهـا الـشّاعر القـديم , ويلاحظ أنّ من الشّعراء من وظّف آية بكاملها , ومنهم مَنْ وظّف كلمة ومنهم من اقتـبس معنى لسورة أو جزءاً من سورة ([5]) . ومن الأمثلة على الاقتباس قول أبي تمّام في مـدح أبي سعيد محمّد بن يوسف :

قَد كانَ وَعدُكَ لي بَحْراً فَصَيَّرَني يَومُ الزِّماعِ إِلى الضَّحضاحِ وَالوَشَلِ

وَبَيَّنَ اللَهُ هَذا مِن بَرِيَّتِهِ في قَوْلِهِ "خُلِقَ الإِنسانُ مِن عَجَلِ" ([6])

فهو هنا يقتبس قوله تعالى : ﴿ **خُلِـقَ الإِنْسَـانُ مِـنْ عَجَـلٍ سَأُرِيكُـمْ آيَاتِـي فَـلا تَسْتَعْجِلُـونِ** ﴾ ([7]) ليبيّن أنّ عجلته حالت بينه وبين الوصول إلى العطاء الجزيل .

ويقتبس المتنبّي بعض أمثال القرآن الكريم نحو قوله :

---

[1]) القزويني , ***الإيضاح*** /312.
[2]) القلقشندي , ***صبح الأعشى1*** / 237.
[3]) ناهم , أحمد , ***التناص في شعر الرواد*** / 100.
[4]) ابن حجة , ***خزانة الأدب*** 2 / 459.
[5]) الرباعي , ربا عبد القادر, ***التضمين في التراث النقدي والبلاغي*** / 63 , رسالة ماجستير , جامعة اليرموك ,إربد – الأردن 1997م .
[6]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 90.
[7]) الأنبياء 37.

دَعَوتُكَ عِندَ انقِطاعِ الرّجا ءِ وَالمَوتُ مِنّي كَحَبلِ الوَريدِ ([1])

يدعو المتنبّي السّلطان أن يخرجه من السّجن , حينما انقطع الرّجاء من غيره , وأصبح الموت أقرب إليه من حبل الوريد , مقتبساً المثل الّذي ورد في قوله تعالى :﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾ ([2]).

ويمدح أبو تمّام محمّد بن صالح الهاشميّ :

رَهْطُ الرَّسولِ الَّذي تَقَطَّعُ أَسـْ بابُ البَرايا غَداً سِوى سَبَبِهْ ([3])

فيبيّن أبو تمّام أنّ ممدوحه من نسل النّبيّ – عليه الصّلاة والسّلام - , وهذا النّسب الشّريف باق إلى يوم الدّين , وهو في هذا المعنى يتواصل مع الحديث الشّريف :"**كلّ سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي** "([4]).

ويقول المتنبّي في عتاب سيف الدّولة الحمدانيّ :

وَإِنْ كانَ ذَنبي كُلَّ ذَنبٍ فَإِنَّهُ مَحا الذّنبِ كُلَّ المَحْوِ مَنْ جاءَ تائِبا ([5])

فيقول المتنبّي لسيف الدّولة لو كان ذنبي ليس بعده ذنب , فإن توبتي تمحوه , ومن جاء تائباً استوجب العفو مستنداً إلى قول الرّسول- صلّى الله عليه وسلّم - "**التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له** " ([6]).

وأمّا التّضمين : فهو أن يضمّن الشّاعر شيئاً من شعر الغير مع التّنبيه عليه إن

---

[1]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 346.
[2]) ق 16.
[3]) أبو تمام , ***الديوان*** 1 / 271.
[4]) الألباني , محمد ناصر الدين , ***صحيح الجامع الصغير وزيادته*** 2 / 832.
[5]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 71.
[6]) ابن ماجه , ***صحيح سنن ابن ماجة*** 2 / 418 والصالحي , ***الشذرة في الأحاديث المشتهرة*** 2 /220.

لم يكن مشهوراً عند البلغاء ([1]). والتّضمين عند المرزبانيّ بيت يبنى على كـــلام يكـــون معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضياً له ([2]). وقد ذكر ابن حجة الحمـــويّ أنّ الـــشّاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمّن , أمّا النّاثر فهو الّذي يقتبس كالمنشئ والخطيب([3]).

ومن المصطلحات الّتي يمكن أن ترتبط بالتـــضمين: الـــسّلخ , والاحتـــذاء , والـــسّرقات والاصطراف([4]) , والاجتلاب , والاستلحاق ([5]), والتّلفيـــق, والالتقـــاط ([6]), والاشـــتراك والإغارة ([7]) , والمواردة ([8]), والإلمام , والاتباع , والاهتـــدام .... وغيـــر ذلـــك مـــن المصطلحات النّقدية الّتي تداولها النّقاد العرب القدماء ([9]) .

وقد يتناول التّضمين معنى علميّاً أو خبراً تاريخيّاً أو مثلاً أو إشارة أو تلميحاً لقـــصّة كما قد يتناول ما يتداوله النّاس فينظمه الشّاعر([10]).

والتّضمين لا يتّخذ شكلاً واحداً بل يشمل عدّة أشكال منها تضمين النّص الّذي يتمثّـــل بتوظيف لفظة , أو عبارة , أو شطر, أو بيت بأكمله , أو المعنى , أو اللّفظ , أو اللّفـــظ

---

[1]) القزويني , ***الإيضاح*** / 316.

[2]) ***الموشح*** / 23.

[3]) ***خزانة الأدب*** 2 / 456.

[4]) وهو صرف الشاعر إلى أبياته , أو قصيدته بيتاً أو بيتين أو ثلاثة لغيره, فيضيفها إلى نفسه ويصرفها عن قائلها الحاتمي , ***حلية المحاضرة*** 64.

[5]) بيت يأخذه الشاعر على طريق التمثيل فيدخله في شعره , وقد يجتلب الشاعر البيت أو البيتين من شعر شاعر أو المعنى والمعنيين ... ينظر الحاتمي , ***حلية المحاضرة*** / 86 ,85.

[6]) هما ترقيع الألفاظ وتلفيقها واجتذاب الكلام من أبيات حتى ينتظم بيت . الحاتمي , حلية المحاضرة /90.

[7]) وهو أن يسمع الشاعر المفلق والفحل المتقدم الأبيات الرائعة ندرت لشاعر فـــي عـــصره , وباينـــت مذاهبه في أمثالها من شعره , ويكون بمذهب ذلك الشاعر المغير ألين وبكلامـــه أعلـــق فيغيـــر عليهـــا مصافحة ويستنزل شاعرها عنها قسراً الحاتمي , ***حلية المحاضرة*** 39 .

[8]) أن يتفق شاعران في المعنى ويتواردان في اللفظ ولم يلق أحد منهما صـــاحبه , ولا ســـمع بـــشعره الحاتمي , ***حلية المحاضرة*** 45.

[9]) الرباعي , ربا عبد القادر, ***التضمين في التراث النقدي والبلاغي*** / 15 - 17 , رسالة ماجـــستير , جامعة اليرموك ,إربد – الأردن 1997م.

[10]) نفسه / 62.

والمعنى معاً ([1]) .

ويعدّ التّضمين ظاهرة من الظّواهر الّتي سلكها الشّاعر لتكوين رؤيته وتعزيز موقفه , إذ اعتمد الشّاعر العربيّ في تضمينه للأبيات الشّعرية عدّة مصادر , فاقتبس مــن القــرآن الكريم والأحاديث النّبويّة الشّريفة , والتّاريخية , والأدبيّة من نثر وشعر , والثّقافية([2]) .

ومن الأمثلة على التّضمين قول أبي تمّام في المديح:

فَلَمْ أَمدَحْكَ تَفخيماً بِشِعْرِي وَلَكِنّي مَدَحْتُ بِكَ المَديحا ([3])

فيبيّن أبو تمّام أن مدح إسحاق بن إبراهيم فخراً لشعره . وقد ضمّن أبو تمّام قول حسّان بن ثابت في مدحه للنّبي – صلى الله عليه وسلم – لفظا ومعنى لرسم صــورة الممــدوح المثال:

مَا إنْ مَدَحْتُ مُحَمّدًا بِمَقَالَتِي لكِنَ مَدَحْتُ مَقَالَتِي بِمُحَمَّدِ ([4])

فالمعنى عند الشاعرين واحد , وهو بيان فخر الــشّعر بممــدوحيهما , ولكــن بــسياقين مختلفين.

كما يستوحي المثل القائل " طارت به عنقاء مغرب " ([5]) في الرّثاء , فيقول :

يــا دَهْــــرُ أَيَّـــةُ زَهْـــرَةٍ لـِلمَـجْدِ لَــــم تُجْـفِـفْ وَأَيَّـــةُ أَيـكَـــةٍ لَـم تَـخْـضُـــدِ

أَترَعـــــتَ لِلعَنْقـــــاءِ فــــي أَشـــــعافِها كَأْســــــاً تَـــــدَفَّقُ بِالـــــذُّعافِ الأَسْـــــوَدِ ([6])

فهو يريد من استيحائه هذا المثل أن يبيّن لذوي المرثي أن الدّنيا زائلة , فلن ينجو مــن المــوت أيّ كائن حيّ حتىّ العنقاء في أعاليها لابد أن تذوق من هذا الكأس .

---

[1]) الرباعي , ربا عبد القادر, ***التضمين في التراث النقدي والبلاغي*** /82 - 89 , رسالة ماجستير , جامعة اليرموك ,إربد – الأردن 1997م.

[2]) ينظرالنويري, ***نهاية الأرب*** 104/7-106 وابن الأثير , ***المثل السائر*** 1 /126وما بعدها.

[3]) ***الديوان*** 1 / 343.

[4]) ابن الأ ثير , ***المثل السائر*** 2 / 357.

[5]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 2 / 232.

[6]) أبو تمام , ***الديوان*** 4 / 60.

ويوظّف حاتم الطّائي في مدحه لابن شبانة أبي الحسين محمّد بن الهيثم :

لَقُدِدْتَ مِن شِيَمٍ كَأَنَّ سُيورَها   يُقْدَدْنَ مِن شِيَمِ السَّحابِ المُرْزِمِ

لَو قُلتُ حُصِّلَ بَعْضُها أَو كُلُّها   في حاتِمٍ لَدُعيْتُ دافِعَ مَغرَمِ ([1])

فلو قلت إن شيم هذا الممدوح حصّل كلّها أو حتّى بعضها في حاتم لكان مثل الّذي دفع مغرماً واجباً, لأنّ هذا الممدوح أعظم جوداً من حاتم الطّائي .

ويرثي المتنبّي أبا شجاع بقوله :

الحُزنُ يُقلِقُ وَالتَجَمُّلُ يَردَعُ   وَالدَّمعُ بَينَهُما عَصِيٌّ طَيِّعُ ([2])

فالمتنبّي يبيّن أن الحزن يقلقه لعظم المصاب , غير أنّ التّجمّل يمنعه عن التّهالك والجزع, ولكن دموعه فضحته وكشفت معاناته وألمه . وهو هنا ضمّن بيته قول بشار بن برد لفظاً ومعنى, ونقله من الغزل إلى الرّثاء :

ودمْعي بَيْنَ الحُزنِ والصَّبرِ فاضحي   وستري عن العُذّالِ عاصٍ وطائِعُ ([3])

ويعزّي المتنبّي عضد الدّولة بعمّته , حيث يقول :

يَموتُ راعي الضَأنِ في جَهلِهِ   مَوتَةَ جالينوسَ في طِبِّهِ ([4])

فيؤمن المتنبّي بحتمية الموت , فلا ينجو منه إنسان شريفاً كــان أم وضــيعاً , عــاقلاً أم جاهلاً, فيموت الرّاعي الجاهل كما يموت الطّبيب الحاذق . ويوظّف المتنبّي في هذا البيت المثل القائل : " **أجهل من راعي الضّأن** " وهو مثل لعظم جهل راعي الــضأن , لأن بعــد

---

[1]) أبو تمام , ***الديوان*** 3 / 255 .
[2]) نفسه2 / 268.
[3]) ابن برد , بشار , ***الديوان*** /558.
[4]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 213.

راعي الضّأن عن النّاس يفوق بعد راعي الإبل ([1]) , ليؤكّد أنّ الموت حقّ على كلّ العباد دون تمييز .

ويتواصل مع بقراط في قوله :

أَذا داءٌ هَفا بُقراطُ عَنهُ فَلَم يُعْرَف لِصاحِبِهِ ضَرِيبُ ([2])

ويعد المتنبّي ولوع سيف الدولة بالحرب داء معضل لا شفاء منه , حتّى إنّه إذا ما قعد عنها يوماً ضجر ومرض , وهذا داء معضل لم يهتد إلى دوائه أحد من الأطبّاء بما فيهم بقراط الّذي يلقب بأبي الطّب .

هذا وقد أوردت في الفصول السّابقة كثيراً من الأمثلة عن الاقتباس والتّضمين في شعر أبي تمّام والمتنبّي , فلا داعي لتكرارها هنا .

التّناص

وهو وجود علاقة بين نصّين أحدهما سابق والآخر لاحق , وهذه العلاقة قد تكون على صعيد الشّكل أو المضمون , أو كليهما معاً وتتخذ صوراً عدّة كالإشارة أو الاقتباس أو التّضمين . " فالتّناص ليس عمليّة شكلية تتأسّس على التّواصل الشّكلي بين النّصوص , وإنّما يعني التّناص الفاعل تمازجاً وتشابكاً وتلاحماً بين النّصوص, الّتي تقيّض للقارىء فرصة معاينة النّصوص معاينة قائمة على إثارة وعيه وإدراكه , واستنفار معرفته وخبرته في النّص الوافد , وما طرأ عليه من تحوّلات في تغيير دلالته عندما يدخل في نسيج

---

[1]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 291.
[2]) المتنبي , ***الديوان*** 1/ 74.

النّص الجديد , ويصبح جزءاً لا يتجزّأ منه , فالنّص المستقبِل ممكن أن يحوّر ويغيّر في النّص الوافد , وذلك وفق ما تقتضيه رؤية المبدع " ([1]).

وبناء على هذا الفهم يمكن القول إنّ الدراسات الّتي تناولت شعر أبي تمّام والمتنبّي وبخاصّة ما يدور منها حول السّرقات تعدّ شكلاً من أشكال التّناص , ممّا ينفي عن شاعرين عظيمين مثل هذه التّهمة الأخلاقيّة , بغض النّظر عن بواعث هذه الدّراسات.

التّناص في شعر أبي تمّام

ولتتبّع التّناص في شعر أبي تمّام , فقد اختارت الدّراسة قصيدة "الحقّ أبلج" لإظهار ما فيها من تناص , علماً بأنّه قد تنوّع الموروث فيها ، والدّارسة في تحليل هذه القصيدة , فإنّها تهدف إلى رصد التّناص أولاً، ثم بيان الوظيفة الّتي يؤديها ثانياً، ثم الكشف عن العلاقات القائمة بين التّناصات المختلفة في النّص.

وثق المعتصم بالأفشين ، لأنّه قام بأعمال تعزّز هذه الثّقة ، وأهمها القضاء على بابك الخرّمي ، وحيكت مؤامرة أوقعت بين الأفشين والمعتصم , فقبض المعتصم على الأفشين فقتله وأحرقه .

وبهذه المناسبة قال أبو تمّام قصيدته " الحقّ أبلج " ([2]) يمدح فيها المعتصم ويعزّيه بمقتل الأفشين , مبرزاً بشاعة الغدر وصوره ، وقد تناص في قصيدته مع الدّين والتّاريخ والأدب بوعي يؤدّي خدمة معنويّة وفنّيّة للنّص .

يقول أبو تمّام:

الحَقُّ أبلَجُ وَالسّيوفُ عَوارِ فَحَذارِ مِن أسَدِ العَرين حَذارِ

[1]) ربابعة , موسى , ***التناص في نماذج الشعر الحديث*** / 7.
[2]) أبو تمام , ***الديوان*** 2 / 198 – 209.

مَلِكٌ غَدا جارَ الخِلافَةِ مِنْكُمُ   وَاللهُ قد أوْصى بحِفظِ الجارِ

يحذّر أبو تمّام من غضب الخليفة ، متناصّاً في البيت الأوّل مع المثل القائل :" الحقّ أبلج والباطل لجلج " ([1]) , وهذا يعني أنّ الحقّ أصبح واضحاً ومشرقاً , والباطل ملتبساً ([2]) , ليبيّن سطوة الحقّ. وفي البيت الثّاني يتناص مع قوله تعالى ﴿ **وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ** ﴾([3]), ليعطي الشّرعية للعمل الّذي قام به المعتصم ، وهو جار الخلافة ، والله قد أوصى بحفظ الجار، فهو هنا يتناص مع هذه الآية لإضفاء القدسيّة والشّرعيّة على ما قام به الخليفة , وهو قتل الأفشين.

ثمّ يقول:

يا رُبَّ فِتْنَةِ أمَّةٍ قَد بَزَّها   جَبّارُها في طاعَةِ الجَبّارِ

جالَت بِخَيْدَرَ جَوْلَة المِقْدار   فَأَحَلَّهُ الطُّغيانُ دارَ بَوارِ

كَم نِعمَةٍ لِلَّهِ كانَت عِندَهُ   فَكَأَنَّها في غُربَةٍ وَإِسارِ

مَكراً بَنى رُكنَيهِ إلاّ أَنَّهُ   وَطَدَ الأَساسَ عَلى شَفيرٍهارِ

فقضاء الأفشين على فتنة الخرّميّة كانت خدمة للدّين، وطاعة لله -عزّ وجلّ - ولكنّها أودت بالأفشين وكشفت غدره، وهوهنا يتناصّ مع قوله تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ ([4]) حتّى يصف الأفشين بالضّلال , فهو هنا وظّف

[1]) الميداني , ***مجمع الأمثال*** 1 / 318.
[2]) ينظرنفسه 1 / 318.
[3]) النساء 36.
[4]) التوبة 109.

الآية في نصّه لفظاً ومعنى وتشرّبها , ليجعل الأفــشين مــسلوب الإرادة منقــاداً للكفــر والطّغيان ، وفي ذلك إنقاص من قيمته حتىّ بكفره ، و إبعاد للتّصوير الّذي يبــيّن كفــره. وهذه الآية الكريمة قد سبقت بآيات تتحدّث عن مسجد الضّرار الــذي أســسه ثلّــة مــن المنافقين يريدون من وراء عملهم شقّ وحدة المسلمين، وتفريق كلمتهم، حتّى نزل الوحي مبلغاً عن الله - عزّوجلّ - ما يخفي المنافقون في أنفسهم من وراء هذا العمل ([1])، وبعــد تبيُّن النّص الغائب ، فإنّه يلاحظ معنى التّواصل معــه ، إنّــه تأكيــد لــصورة المنــافق واستغراق فيها، وإذا ما قورن بين النصّيــن , فإنّه يتّضح أنّ أفعال الأفشين الّتي قام بهــا في خدمة الدّولة والخليفة كانت بمثابة مسجد الضّرار :عمل حــسن أريــد بــه الباطــل . ويلاحظ أنّ ردّ الخليفة على عمل الأفشين يقابل ردّ الرّســول – عليــه الــسّلام- علــى المنــافقين, إذ يقــول أبــو تمّــام فــي ردّ الخليفــة علــى أعمــال الأفــشين:

حَتّــى إذا مــا اللهُ شَــقَّ ضَــميرَهُ   عَــن مُــستَكِنِّ الكُفــرِ وَالإِصــرارِ

وَنَحــا لِهَــذا الــدّينِ شَــفرَتَهُ انِثَنَــى   وَالحَــقُّ مِنــهُ قــانِئُ الأَظفــارِ

وهذان البيتان يستمرّان في التّواصل مع قصّة مسجد الضّرار، ونزول الوحي، والكــشف عمّا بسريرة الأنفس المتربّصة بالإسلام ووحدة المسلمين . وليعمّق هذا المعنــى يقــول :

كَــمِ نِعمَــةٍ للهِ كانَــت عِنــدَهُ   فَكَأَنَّهــا فــي غُربَــةٍ وَإِســارِ

كُــسِيَتْ سَــبائِبَ لُومِــهِ فَتَــضاءَلَتْ   كَتَــضاؤُلِ الحَــسْناءِ فــي الأطْمــارِ

وهو في هذين البيتين يتناصّ مع قوله تعالى: ﴿ **يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَــرُهُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ ([2]) , حيث يبيّن أنّ النّعم الّتي كانت عند الأفشين غريبة وأسيرة ، لأنّه ينكــر وجودها ، ويغلّفها بلؤمه، فتتضاءل كالفتاة الحسناء الّتي يخفي حسنها وجمالهــا ارتــداؤها

[1]) إبن كثير , ***تفسير القرآن العظيم*** 4 / 211.
[2]) النحل 83.

الملابس البالية ، فالهدف من صورة إنكار النّعمة الّتي وردت في الآية الكريمــة ، هــو بيان مدى إنكار الأفشين لنعم الله ، ونعم الخليفة عليه. وهــذه الــنّعم عنــد الأفــشين:

مَوتـــورَةٌ طَلَـــبَ الإِلَـــهُ بِثَأرِهـــا وَكَفـــى بِـــرَبِّ الثَّـــأْرِ مُـــدْرِك ثـــارِ

فالله – سبحانه وتعالى - في هذا البيت ـــ هو الّذي يطلب من المعتصم أن يثأر لهذه النّعم الّتي يجحدها الأفشين، وذلك لإضفاء القدسيّة على قتل المعتصم الأفشين . ويصوّر أبوتمّام نفاق الأفشين ، فيقول:

صادى أميرَ المُؤْمنينَ بزِبرَجٍ في طَيِّهِ حُمَةُ الشُّجاعِ الضّاري

يصوّر الأفشين غيوماً خادعة ملوّنة ، وفي سريرته أفعى تتربّص بالمعتــصم ، متــأثّراً بقوله تعالى: ﴿ **رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا** ﴾ ([1])، فالــصّورة التّــي يرســمها صورة منافق ، والمنافقون في الآية الكريمة "يصدّون عن الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم - صدوداً " وفي البيت "الأفشين صادى أمير المؤمنين "، فصورة المنافق الّتــي رســمها أبو تمّام للأفشين مستوحاة من صورة المنافق في هذه الآية ، فهو يصوّر فعل المعتصم بالأفشين تصويراً دينيّاً لإضفاء الشّرعية عليه .

ويتناصّ أبو تمّام مع قصّة أخرى من قصص المنافقين، فيقول:

هَذا النَبِيُّ وَكانَ صَفوَةَ رَبِّهِ مِن بَينِ بادٍ في الأَنامِ وَقارِ

قَد خَصَّ مِن أَهلِ النِّفاقِ عِصابَةً وَهُمُ أَشَدُّ أَذىً مِنَ الكُفّارِ

وَاِختارَ مِن سَعدٍ لَعينِ بَني أَبي سَرحٍ لِوَحيِ اللَّهِ غَيرَ خِيارِ

ويدافع أبو تمّام عن موقف المعتصم من الأفشين عندما صلبه بعد أن تبيّن له كفره وغدره مبرّراً غفلته حينما وثق بالأفشين , وذلك من خلال الإشارة إلى حادث مماثل جــرى أيّــام

[1]) النساء 61.

النّبي – صلّى الله عليه وسلّم – وهو خير الخلق , إذ إئتمن عبد الله بن سعد بن أبي سرح, أحد كتبة الوحي , فكان يغيّر ما يقوله النّبي- صلّى الله عليه وسلّم – من آيات الله , ويقول للنّاس : لو كان نبيّاً لعرف ذلك , فأهدر الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم – دمه , ثم شـــفع فيه عثمان بن عفّان - رضي الله عنه - , فتاب وحسن إسلامه , وأبلى بلاء حـــسناً فـــي الفتوح الإسلاميّة ([1]) . وربط أبو تمّام بين الحدثين لتشابههما , ويلتمس العذر للمعتــصم في انخداعه بالأفشين . فإذا أضلّ النّبــيّ – عليه الصّلاة والسّلام الرّأي , فلا بدع أن يقع الخليفة بمثله حينما أمّن الأفشين , ويريد أيضاً من هذا التّوظيف تأكيــد صــورة المنــافق الملصقة بالأفشين .

قدم الأفشين للمعتصم خدمات جليلة , ومنها القضاء على فتنة الخرّميّة , وهذه الخدمات قد تجعل المعتصم يندم على قتله , أو قد يحدث قتله فتنة , ممّا دفع أبا تمّام إلــى اســتثمار قــصّة المختار بن عبيد الثّقفي , فيقول :

وَالهاشِمِيّونَ اسْتَقَلَّت عيرُهُم	**مِنْ كَرْبَلاءَ بِأَثْقَلِ الأَوْتار**
فَشَفاهُمُ المُختارُ مِنهُ وَلَم يَكُنْ	**في دينِهِ المُختارُ بِالمُخْتارِ**
حَتّى إِذا انكَشَفَتْ سَرائِرُهُ اغتَدَوْا	**مِنهُ بِراءَ السَّمعِ وَالأَبْصارِ**

وقد ظهر المختار بالكوفة ، وزعم أنّه يطالب بدم الحسين بن عليّ - رضي الله عنهمــا -، فقتــل كثيراً من النّاس، حتّى اكتُشف أنّه كذّاب ومُموّه ([2]) . فأبو تمّام هنا يحاول أن يخفّف عن المعتصم , ويستميح له عذراً لانخداعه بالأفشين , فيقول له : إنّه ليس بعجيب اختصاصك إياه مع انطوائه على الكفر, حتّى إذا انكشف لك أحللت به ما كان يستحقه , فالهاشميّون من قبلك قد خدعوا بالمختار , إذ

---

[1]) ابن حجر العسقلاني , ***الإصابة في تمييز الصحابة*** 2 / 1057.
[2]) ينظر فريد بك , محمد , ***تاريخ الدولة العلية العثمانية*** / 35.

اختاروه ليثأروا لآل النّبي - صلّى الله عليه وسلّم- , وأعانوه وشدّوا على يديه , حتّى إذا انكــشفت لهم سرائره , برؤوا منه وممّا رأوا فيه . وهذا المنافق الكذّاب قدّم عملاً مهماً للهاشــميين، إذ ثــأر لهم من قتلة الحسين بن عليّ - رضي الله عنهما -، وشفا صدروهم ، غير أنّه لم يكن يقصد ذلــك الأمر الّذي قام به، والهاشميّون وإن أفادوا ممّا عمل فهم بريئون ممّا كان في ســريرته مــن كــذب وخداع . وهذا يدلّ على أنّ الأعمال الجليلة الّتي قدّمها الأفشين ليست مقصودة . وبهذا فإنّ توظيفــه هذه الحادثة جاء لتعزية الخليفة وإخراج حسرته من قلبه . فضلاً عن تقديم هــذا التّنــاص صــورة أخرى من صور المنافق.

ويستدعي حرب الفجار([1]) , فيقول :

ما كانَ لَولا فُحشُ غَدرَةِ خَيذَرٍ لِيَكونَ في الإِسلامِ عامُ فِجارِ

فالأفشين نقض عهده وميثاقه مع المعتصم وحاول الفتك به والقضاء عليه كالبراض حينما غدر بعروة الرحال بفتكه به , ولو لم يقض المعتصم عليه لكان في الإسلام عام فجار مثل الّذي كان في الجاهليّة . وتوظيف حرب الفجار يقدّم خدمة لغويّة ، حيث يجعــل الأفــشين فاجراً. ويبيّن أنّ العمل الّذي قام به الأفشين لم يحدث في التّاريخ الإســلاميّ، فالأفــشين أوجد في التّاريخ الإسلاميّ بغدره هذا عام فجار جديد .

ويصوّر أبو تمّام حرق الأفشين ، فيقول:

ما زالَ سِرُّ الكُفْرِ بَينَ ضُلوعِهِ حَتّى اصطَلى سِرَّ الزِّنادِ الواري

مَشبوبَةً رُفِعَت لِأَعظُمِ مُشرِكٍ ما كانَ يَرفَعُ ضَوْءَها لِلسّاري

صَلّى لها حَيّاً وَكانَ وَقودَها مَيْتاً وَيَدخُلُها مَعَ الفُجّارِ

---

[1]) الفجار من حروب الجاهلية , سميت بذلك لأنها كانت في الأشهر الحرم , وسببها أن البراض بن قيس الكناني قتل عروة الرحال الكلابي فتكا بغير حرب فاقتتلت كنانة وبنو عامر , وكانت قريش لها فجاران , الثاني منهما أدركه النبي _ صلى الله عليه وسلم ينظر أبو تمام , ***الديوان*** 2 /202 , وابن كثير , ***البداية والنهاية*** 1 /289 .

فَصَّلْنَ منهُ كُلَّ مَجمَعِ مَفْصِلٍ وَفَعَلْنَ فاقِرَةً بِكُلِّ فَقارِ

وَكَذاكَ أهلَ النّارِ في الدُّنيا هُمُ يَومَ القِيامَةِ جُلُّ أهْلِ النّارِ

ويصور النّار الّتي أحرق بها الأفشين تصويراً مستوحى من التّصوير القرآني للنّار , وهذه الصّورة تتوسّطها لوحة نفاق الأفشين وغدره، وكفره ومشروعيّة حرقه ، وتسويغ الحرق بالنّار من خلال ما يثبّته بحقه، بأنّه من عبدة النّار في الدّنيا , ومن أهلــها فــي الآخرة . ويوظف كلمة فاقرة من قوله تعالى : ﴿ **تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ** ﴾ ([1]) , ليبيّن صورة فعل النّار بجسد الأفشين .

ويبني على هذا التّصوير بعض التّناصات، فيقول:

يا مَشهَداً صَدَرَتْ بفَرحَتِهِ إلى أمْصارِها القُصْوى بَنُو الأمْصارِ

رَمَقوا أعالي جِذْعِهِ فَكَأنَّما وَجَدُوا الهِلالَ عَشِيَّةَ الإفْطارِ

وَاستَنشَأوا مِنهُ قُتاراً نَشْرُهُ مِن عَنْبَرٍ ذَفِرٍ وَمِسكٍ داري

وَتَحَدَّثوا عَن هُلْكِهِ كَحَديثِ مَنْ بالبَدْوِ عَن مُتَتابِعِ الأمْطارِ

وَتَباشَرَوا كَتَباشُرِ الحَرَمَيْنِ في قُحَمِ السِّنينِ بأرْخَصِ الأسْعارِ

ويظهر أبو تمّام الحرق في هذه الأبيات بصورة احتفالية ، فجذع الأفشين المحترق يصبح هلالَ العيد، وقتار حرقه مسكاً وعنبراً، وخبر حرقه مثل خبر الأمطار عند البدو، وبشرى رخص الأسعار في السّنين القاحلة , فهو هنا يتناصّ مع الحياة الشّعبية ، ليقــدّم مبــرّراً شعبيّاً لحرق الأفشين ، فالنّاس ينتظرونه بقليل صبر، حتّى إنّهم تباشروا بهــذا الحــرق، وفرحوا به فرحهم بثبوت العيد، ومطر البادية، ورخص الأسعار .

---

[1]) القيامة 25.

وإذا كان في التّناصات السّابقة يبيّن المبرّر الشّرعي ، والشّعبي لحرق الأفشين ، فإنّه في التّناصات التّالية يبيّن المبرّر الأخلاقي والشّخصي لذلك الحرق، ممهّداً له بقوله:

كانَتْ شَماتَةُ شامِتٍ عاراً فَقَدْ صارَتْ بهِ تَنْضو ثِيابَ العارِ

فهو يبيح الشّماتة في حال الأفشين، فلم تعد عيباً أو عاراً على الشّامت، وكأنّه استشعر عدم التّعاطف الشّعبي مع ما يقوله بحقّ الأفشين، ولكي تكون الشّماتة مسوّغة فلا بد من اللّوحة الآتية الّتي يبيّن فيها ما كان للأفشين من مكانة عند المعتصم، فيقول :

قَد كانَ بَوَّأَهُ الخَليفَةُ جانِباً مِن قلبِهِ حَرَماً عَلى الأقْدارِ

فسَقاهُ ماءَ الخَفْضِ غَيْرَ مُصَرَّد وَأَنامَهُ في الأمْنِ غَيرَ غِرارِ

ورَأى بِهِ ما لَم يَكُنْ يَوماً رَأى عَمْرُو بنُ شَأسٍ قَبْلَهُ بعِرارِ

هذه مكانة الأفشين عند المعتصم، فقد أسكنه قلبه، وحنا عليه، وأشعره بالأمن والطّمأنينة حتّى إنّه رأى به ابناً له سقاه ماء الخفض ، وهو هنا يتناص مع قوله تعالى: ﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا** ﴾([1])، والتّناص هنا يقدّم خدمة شعريّة من خلال الإزاحة، فالمفروض أن يكون الخافض الابن لا الأب، فالمطلوب من الابن أن يخفض جناح الذّل في الآية الكريمة , لأن الابن يكون في موضع القوّه , غير أنّه قدّم الأب - أي الخليفة - خافضاً , لأنّه الأقوى.

ويلخّص علاقة المعتصم بالأفشين من خلال التّناص مع شخصيّة اشتهرت بحب ابنها , شخصيّة عمر بن شأس الأسدي ([2]) الّذي أحبّ ابنه حبّاً كبيراً , وكانت زوجته غير أمّ

---

[1]) الاسراء 24.

[2]) عمرو بن شأس الأسدي (20 هـ) , أبو عِرار.شاعر جاهلي مخضرم، أدرك الإسلام وأسلم، عدّه الجمحي في الطبقة العاشرة من فحول الجاهلية والإسلام، وكان ذا قدر وشرف في قومه. شهد القادسية , وله فيها أشعار.ينظر.ابن قتيبة , ***الشعر والشعراء***1 /415 والأصفهاني , ***الأغاني*** 2/ 250 , 8/ 152 و 11 / 134.

عرار تضطهده , وتكيد له, وأبياته في تأكيد حبّه لابنه عرار, وفي نقمتـــه علـــى زوجتـــه وكرهها إياه مشهورة , ومنها قوله :

أَرادَت عِراراً بِالهَوانِ وَمَن يُرِد عِراراً لَعَمري بِالهَوانِ فَقَد ظَلَم ([1])

فالتّناص مع موقف عمرو من ابنه عرار يوحي بأنّ المعتصم جعل الأفشين بمنزلة الولد , واعتقد فيه أكثر مما اعتقد عمرو في ولده عرار , إذ كان يفضّله على غيره , فموقف عمرو يشبه موقف المعتصم , إذ كان من حول المعتصم يكره الأفشين , والمعتصم كان ينقم عليهم , لكرههم إيّاه ويدافع عنه تماماً كما كان يفعل عمرو مع ابنه عرار . أما المآل الّذي آلت إليه هذه الرّعاية فهو:

فَإِذا ابنُ كافِرَةٍ يُسِرُّ بِكُفرِهِ وَجداً كَوَجدِ فَرَزدَقٍ بِنَوارِ

وَإِذا تَذَكَّرَهُ بَكاهُ كَما بَكى كَعبٌ زَمانَ رَثى أَبا المِغوارِ

كان الأفشين يضمر كفره في نفسه ، ويجد في هذا الكفر وجداً كوجد الفرزدق على طلاق زوجته نوار الّذي يصوّره في قوله :

نَدِمْتُ نَدامَةَ الكُسَعِيِّ لَمّا غَدَت مِنّي مُطَلَّقَةٌ نَوارُ ([2])

فالأفشين لا يمكن له أن يُظهر كفره في حضرة الخليفة ، ولكنه إذا ما تذكّرعبادته السريّة للنّار بكى لها ، كما بكى كعب بن سعد الغنوي([3]) أخاه أبا المغوار في قصيدته المشهورة , ومطلعها:

تَقُولُ ابنَةُ العَبسيِّ قَدْ شِبْتَ بَعْدَنا وكُلُّ امرِئٍ بَعدَ الشَّبابِ يَشيبُ ([4])

---

[1]) ابن سلام , ***طبقات الشعراء*** / 200 .

[2]) الفرزدق , ***الديوان*** 1/ 294.

[3]) هوكعب بن سعد بن عمرو الغنوي، (؟ - 5 ق. هـ) من بني غني من قـيس بـن عـيلان. شـاعر مخضرم من أهل الطبقة الثانية , وكان له أخ يدعى أبا المغوار قتل في حرب ذي قار، رثاه في قـصيدة فصارت من المراثي المعدودة عند العرب واشتهر بها.ينظر الأصمعي ,***الأصـمعيات*** /73 والبغـدادي , ***خزانة الأدب*** 3 / 621.

[4]) الغنوي , كعب بن سعد , ***الديوان*** /71.

ويدخل قصّة كعب على سبيل الإبعاد في تصوير تلك العلاقة بين الكفر والأفشين، فهـو لـــه أخ وحبيبة ، لكنّه يظهر غير ما يبطن من تلك العلاقة . وهذا يدلّ على مدى تعلّـق الأفـشين بكفـره , وعظم خيانته وفداحتها .

وليؤكّد على صورة المنافق , فإنّه يستثمرالحديث النّبويّ الشّريف , إذ يقول :

دَلَّت زَخارِفُهُ الخَليفَةَ أَنَّهُ ما كُلُّ عودٍ ناضِرٍ بِنُضارِ

فهو يوظّف ًمعنى الحديث الشّريف : " **إياكم وخضراء الدّمن** " ([1]) وهـي الحـسناء فـي المنبـت السّوء, في معرض ذم الأفشين وهجائه , ليبيّن للمعتصم أنّه ليس كلّ من حـسن مظهـره حـسن مخبره , فالأفشين كان يظهر خلاف ما يبطن .

أمّا في اللّوحة التّالية، فإنّ التّناص فيها يوجّه توجيهاً تحريضيّاً، من خلال تحريض المعتصم على استئصال شأفة الأفشين من خلال القضاء على قومه ، فيبحث في التّاريخ عمّا يمكن أن يسعفه في هذا التّحريض، فيوظّف قصّة السّامري، وقصّة ثمود، فيقول**:**

يا قابضاً يَدَ آلِ كاوُسَ عادِلاً أَتْبعْ يَميناً مِنهُمُ بيَسارِ

أَلحِقْ جَبيناً دامِياً مَلْتَهُ بقَفاً وَصَدْراً خائِناً بصِدارِ

وَاعلمْ بأنَّكَ إنَّما تُلقيهِمُ في بَعض ما حَفَروا مِنَ الآبارِ

لَو لَم يَكِدْ لِلسّامِريِّ قبيلُهُ ما خارَ عِجلُهُمُ بغَيرِ خُوارِ

وَثَمودُ لَو لَم يُدْهِنوا في رَبِّهم لم تَدْمَ ناقَتُهُ بسَيْفِ قُدارِ

إنّ أبا تمّام يتناصّ مع قصص القرآن الكريم، بقراءة جديدة لهذه القصص، فالسّامري ما كان له أن يصنع العجل الّذي عبده قوم موسى –عليه السّلام - لو لم تكن قبيلته توافقه وتشجّعه على ذلك , و قدار عاقر ناقة صالح -عليه السّلام - لم يتمكّن من إظهار ما أظهره من الحيلة والمكـر لـولا

---

[1]) الصالحي , ***الشذرة في الأحاديث المشتهرة*** 1 / 178

مساعدة قبيلته إيّاه ومساندتها له , وبناء على ذلك فإن قوم الأفشين هم من شجّعه على الغدر، وهم بذلك يستحقون أن يقضي عليهم الخليفة .

ويرجع أبو تمّام إلى صورة صلب الأفشين، ، فيقول:

وَلَقَد شَفى الأحشاءَ مِن بُرَحائِها   أن صارَ بابَكُ جارَ مازَيّارِ

ثانيهِ في كَبدِ السّماءِ ولَمْ يَكُنْ   لاثنَيْنِ ثانٍ إذْ هُما في الغارِ

فيوظّف من قصّة الهجرة النّبويّة موقف الاختباء في الغار في وصف صلب الأفشين بعد ما صلب مازيار , لا بقصد التّشبيه , وإنّما لتوليد نوع من الإحساس العميق بالمفارقة بين الموقفين مستوحياً قوله تعالى : ﴿ **إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ** ﴾([1]), فأبو تمّام وظّف هذه القصّة توظيفاً عكسيّاً , بقصد التّعبير عن معان تناقض المدلول التّراثي للشّخصية , فأتى بصورتين متضادّتين لإبراز بشاعة الصّورة الثّانية وفظاعتها . وهذا ليس بالشّيء الغريب " فليس من الضّروري أن يكون التّناص مجرد حضور للنّص الآخر على سبيل الاستمداد , بل الحضور يكون أيضاً على سبيل المعارضة أو المناقضة " ([2]) .

ويتوجّه أبوتمّام إلى الخليفة بخطاب مباشر، فيقول:

فَاشدُد بهارونَ الخَلافةَ إنَّهُ   سَكَنٌ لِوَحشَتِها وَدارُ قَرارِ

بفَتى بَني العَبّاسِ وَالقَمَرِ الَّذي   حَفَّتْهُ أنجُمُ يَعْرُبٍ ونِزارِ

كَرَمُ العُمومَةِ وَالخُؤولَةِ مَجَّهُ   سَلَفاً قُرَيشٍ فيهِ وَالأنصار

سُوَرُ القُران الغُرُّ فيكُم أُنزِلَتْ   وَلَكُمْ تُصاغُ محاسِنُ الأشعارِ

---

[1]) التوبة 40.

[2])عبد المطلب , محمد , ***هكذا تكلم النص*** / 51 -52.

ويطلب أبو تمّام من الخليفة أن يجعل ابنه وليّاً للعهد من خلال التّلميح بشكل غير مباشـــر إلـــى موقف من قصّة موسى – عليه السّلام- , وهو رجاؤه ربّه أن يشدد أزره بأخيه هارون ليعكسها على واقعه , وذلك من خلال وصفه ابن الخليفة الواثق بأنّه سكن لوحشة الخلافة , وأنيساً للخليفة مستغلاً اسم هارون كما ورد قوله تعالى : ﴿ **وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي** ﴾ ([1]). فالعرب كلّهم بما فيهم نزار تحفل بتـولّي الواثـق ابـن المعتصم الخلافة , وترحّب به كخليفة لأنّه سليل قريش أهل الخلافة وأخواله أنـصار النّبـيّ – صلّى الله عليه وسلّم –. ويبرز مكانة آل البيت من خلال التّناص مع قوله تعالى :﴿ **إِنَّمَا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** ﴾ ([2]) وهذا تأييد له في أحقيّته بالخلافة.

ويهدف أبو تمّام من هذه التّناصات المختلفة إضفاء الـشّرعية الدّينيـة والتّاريخيّـة والأخلاقيّة على عمل الخليفة , وإدانة الأفشين , وبخاصّة أنّ سبب مقتل الأفشين وشايـة وسعيٌ بالسّوء بينه وبين الخليفة ، ومن هنا فإنّ التّناص في هذه القصيدة , غرضه القضاء على ما يتشكّل من ندم أو تساؤلٍ حول ذلك القتل. أمّا إدانة أبي تمّام الأفشين ، فإنّها تأخـذ منحى شخصيّاً ,لأنّه كان قد مدحه سابقاً، فهو يريد أن يبرئ ساحته من ذلك الغادر، ويبعد ما قد يُتّهم به من علاقة به أو ميل له ، فإذا كان يعتذر عن غفلة المعتصم بـالأمس فـي تقريب هذا الغادر ، فإنّه يعتذر في الوقت نفسه عن علاقة كانت قد ربطته به فيم مضى .

التّناص في شعر المتنبّي

قال المتنبّي قصيدة في صباه يفخر فيها بنفسه , ويشكو فيها معاناته وغربتـه بـين قومه ([3]) :

---

[1]) طه 29 – 32.
[2]) الأحزاب 33.
[3]) المتنبي , ***الديوان*** 1 / 313 – 324.

كَم قَتيلٍ كَما قُتِلتُ شَهيدِ   بِبَياض الطُّلى وَوَردِ الخُدودِ

وَعُيونِ المَها وَلا كَعُيونٍ   فَتَكَتْ بِالمُتَيَّمِ المَعْمودِ

ويلاحظ أنّ المتنبّي قد تأثّر بأكثر من موروث في مقدمته الطّلليّة , فهو في البيت الأوّل منها يعدّ نفسه شهيداً , لأنّه قتل من قوّة تأثير المحبوبة , وهو بهذا المعنى يتناصّ مع الحديث النّبويّ الشّريف : " **إنّ من عشق فعفّ وكفّ وكتم , فمات , مات شهيداً** " ([1]).

وفي البيت الثّاني يبيّن كثرة الّذين قتلوا بعيون أحبّتهم الّتي تشبه عيون المها , غير أن العيون الّتي قتلته لا تشبه بغيرها لجمالها , وتشبيه العيون الجميلة بالمها قديم وشائع في الشّعر العربيّ ومن الأمثلة على ذلك قول عليّ بن الجهم :

عُيونُ المَها بَينَ الرُّصافَةِ وَالجِسرِ   جَلَبْنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدْري وَلا أَدْري ([2])

ويتناصّ مع أبي الشّيص في تصويره قوّة تأثير المحبوبة على المحبّ , حيث يقول :

رامِياتٍ بِأَسْهُمٍ ريشُها الهُد   بُ تَشُقُّ القُلوبَ قَبلَ الجُلودِ

يصوّر المتنبّي قوّة تأثير نظرات محبوبته , فهي لقوّة سحرها وتأثير جمالها , تنفذ إلى القلوب فتشقّها من غير أن تشقّ الجلود بخلاف السّهام المعهودة في سرعة النّفاذ إلى الهدف مستوحياً قول أبي الشّيص:

يَرمينَ أَلبابَ الرِّجالَ بِأَسهُمٍ   قَد راشَهُنَّ الكُحلُ والتّهديبُ ([3])

فأبو الشّيص يرى أنّ عيون المحبوبات سهام تصيب ألباب الرّجال , غير أنّ هذه السّهام أقوى تأثيراً من السّهام المعهودة فهي مكتحلة الأهداب . فقد ضمّن المتنبّي نصّه السّابق ألفاظاً وعبارات ومعاني قول أبي الشّيص : فـ " يَرمينَ أَلباب الرّجالَ بأَسهُم " تماثل

---

[1])الصالحي , الشذرة في الأحاديث المشتهرة 2 / 180 وابن الجوزية , ***زاد المعاد في هدي خير العباد*** 3 / 306.

[2]) ابن الجهم , علي , ***الديوان*** / 141 .

[3]) أبو الشيص , ***أشعار أبي الشيص*** /21.

معنى "راميات بأسهم ", "وقَد راشَهُنَّ الكُحلُ والتّهديبُ " تماثل " ريشها الهــدب " , ليعبّــر عن شعوره نحو المحبوبة , حيث تشرّب المتنبّي نصّ أبي الشّيص , وأعاد بناءه من جديد بعد أن هدمه , وحوّر بعض ألفاظه فـ" ألباب = قلوب " كما أنّه استخدم أســلوب التّقــديم والتّأخير في بعض الألفاظ ممّا يدلّ على قدرته في تطويعها وتشكيلها , وتحــوير الــنّص الغائب , ممّا يجعل المتلقّي في حيرة لتحديد تأثير النّص السّابق في نص المتنبّي .

ويتابع وصفه لتأثير هذه المحبوبة بقوله :

هَذِهِ مُهجَتي لَدَيْكِ لِحيْني فَانقُصي مِن عَذابِها أَو فَزيدي

يضع المتنبّي روحه بين يدي محبوبته , فيسلّمها إيّاها , ويترك لها الخيار في التّــصرف فيها , فلها أن تزيد عذابه بالهجر أو تنقصه بالوصل . مستحضراً النّص القرآنيّ الغائــب الّذي عبّرعن حاله مع محبوبته :﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُــمْ فَإِنَّــكَ أَنــتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[1] الّتي تعني إن تعذّبهم فأنت مالكهم تتصرّف بهم كيف تشاء , ولا أحد يجــرؤ أن يعتــرض علــى ذلــك [2] ممّا يدلّ على استسلامه للمحبوبة . ويُعــدّ هــذا البيت من مبالغات المتنبّي , إذ جعل معشوقته بمنزلة الله - عزّ وجلّ - , وجعل عــذابها مساوياً لعذابه , مع أن العلاقة بين العاشق والمعشوق تختلف عن العلاقة مــع الله - عــزّ وجلّ - , فالمعشوق يستطيع الإفلات من معشوقه , وعذابه لايساوي عــذاب الله -عــزّ وجلّ - . وبعد هذه المقدمّة الطّلليّة يصف معاناته في أرض نخلة , فيقول:

ما مُقامي بِأَرضِ نَخلَةَ إِلاّ كَمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهودِ

ويتناصّ المتنبّي مع صورة المسيح -عليه السّلام - بين اليهود , حيث كان مضطهــداً , ويشعر بالعذاب والمرارة والألم والاستخفاف والغربة , ليعكسها على واقعه الألــيم أثنــاء

---

[1]) المائدة 118.

[2])ابن كثير , ***تفسير القرآن العظيم*** 2 / 654 والسيوطي , ***تفسير الجلالين*** / 126.

إقامته في أرض نخلة , حيث سجن وعذب واضطهد وعانى من الغربة , فهو في هذه القرية لا يفارق صهوة جواده , ودائم الاستعداد لمواجهة عدائهم له والتّصدي لهم , ودائم التيقّظ , إذ يقول:

مَفرَشي صَهوَةُ الحِصانِ وَلَكِنْـ نَ قَميصي مَسرودَةٌ مِن حَديدِ

لأْمَةٌ([1]) فاضَةٌ([2]) أَضاةٌ ([3]) دِلاصٌ([4]) أَحكَمَت نَسْجَها يَدا داوُدِ

فأهل أرض نخلة قلبوا له ظهر المجنّ , لذلك لا يفارق ظهر فرسه , وأصبح قميصه على الدّوام درعاً محكم النّسج , وكأنّه من صنع داود - عليه السّلام - , ليكفل له السّلامة والنّجاة من طعنات الأعداء . ممّا يدلّ على شجاعته وتأهّبه ويقظته ورفضه للواقع المهين. فغربة المتنبّي هنا إيجابيّة وليست سلبيّة , إذ لم تكن غربة الأنبياء في أقوامهم تعني الهزيمة والانسحاب والتّخلي عن المسؤولية ولكنّه الاختلاف والتّميّز والسّموّ والعظمة هو ما يجعل الأنبياء غرباء في مجتمعاتهم .

فالمتنبي يعاني من عدم الاستقرار , فهو دائم التنقل والترحال , فيقول :

ضاقَ صَدري وَطالَ في طَلَبِ الرِزْ قِ قِيامي وَقَلَّ عَنْهُ قُعودي

أَبَداً أَقطَعُ البِلادَ وَنَجمي في نُحوسٍ وَهِمَّتي في سُعودِ

فهو يسعى في طلب الرزق بهمة عالية , ولكن حظه منحوس مستوحياً قول أبي تمام لفظاً ومعنى :

هِمَّةٌ تَنطِحُ النُجومَ وَجَدٌّ آلِفٌ لِلحَضيضِ فَهْوَ حَضيضُ ([5])

---

[1]) المتقنة الصنع ينظر ابن منظور , ***لسان العرب*** مادة لأم.
[2]) الواسعة ينظر نفسه مادة فيض.
[3]) الصافية ينظر نفسه مادة وضؤ.
[4]) البرق ينظرنفسه مادة دَلص.
[5]) أبو تمام , ***الديوان*** *2* /289.

ويحاول أن يبيّن تميّزه وتفوّقه , فيقول :

لا بِقَومي شَرُفتُ بَل شَرُفوا بي وَبِنَفْسي فَخَرْتُ لا بِجُدودي

شرف المتنبّي بنفسه لا بقومه , وهو في هذا المعنى يستوحي قول عامر بن الطّفيل :

فَما سَوَّدَتني عامِرٌ عَن قَرابَةٍ أَبى اللَّهُ أَن أَسمو بِأُمٍّ وَلا أَبِ([1])

فالمتنبّي هنا أخذ معنى عامر بن الطّفيل , وأعاد بناءه بلغة وسياق مختلفين , ليدلّل على أنّه إنسان عصاميّ يشرف به قومه .

ويختم المتنبّي قصيدته بالتّناص مع حال صالح - عليه السّلام – ([2]) بين قومه للتعبير عن معاناته وشعوره بالإغتراب المكاني, فيقول :

أَنا تِربُ النّدى وَرَبُّ القَوافي وَسِمامُ العِدا وَغَيظُ الحَسودِ

أَنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللّـ ـهُ غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ

فالمتنبّي شديد الإعجاب بنفسه , وهو أخو الجود , ومنشئ القوافي الّتي لم يُسبق إلى مثلها , وسمّ قاتل للأعداء , وموضع حسد الحسّاد وغيظهم , وهو في قوم تداركهم الله في العذاب والشّر – يدعو عليهم – غريب مخالف لهم طبعاً وفعلاً , متميّز عنهم بفضله وشرفه , مثل صالح – عليه السّلام – في تميّزه ومعاناته وغربته بين قومه ثمود .

فالمتنبّي صاحب رؤية وبصيرة ولا يقبل التّكيف مع الآخر إلاّ وفق فلسفته ومبادئه الخاصّة . ولعل موقف الذّات الشّاعرة وإحساسها بالتّميز وبسموّ مبادئها ورفعتها في مواجهة الآخر هو ما دفع المتنبّي إلى تشبيه نفسه بصالح في ثمود , ليرسم صورة للعلاقة الواهنة بين الذّات والآخر, فالنّبي صالح – عليه السّلام – كان صاحب دعوة إلهيّة سامية , ولكنّه قوبل بالرّفض وعدم التّجاوب من قومه فكان الاختلاف وكانت غربته

---

[1]) ***الديوان*** / 13.

[2]) ابن كثير , ***قصص الأنبياء*** /93 وأبو عزيز , سعد يوسف , ***قصص القرآن*** /65 .

كذلك فإنّ مهمّة الشّاعر تشبه إلى حدّ ما - حسب رؤيته – مهمّة الرّسـل حيـث تجـاوز الآخرين بالاستشراف والرّؤية , فجابهه القوم بالرّفض والمعاداة حسداً وعداوة كما يجابـه الرّسل فكان الاختلاف والغربة ([1]).

ويلاحظ أنّ المتنبّي في هذه القصيدة قد أظهر براعة في توظيـف التّـراث بأنواعـه المختلفة , حيث طبعها بطابعه الخاص , وحمّلها شحنات دلاليّة خاصّة تعبّـر عـن رؤاه الشّعريّة , وصاغها في أجمل صياغة , ممّا أسهم في ذيوع هذه الأبيات وانتشارها .

وهذه التّداخلات النّصوصية في القصيدتين السّابقتين تشير إلى غنى تجربة كـل مـن أبي تمّام والمتنبّي الثّقافية والأدبيّة الّتي يمتلكانها , وانفتاحهما الرّحب على مختلف الثّقافات والإفادة منها بقدر ما يخدم أهدافهما الشّعريّة . وقد أظهرا براعة فائقة في تعاملهمـا مـع النّصوص الدّينيّة والأدبية والتّاريخيّة الّتي تمثّلاها في هـاتين القـصيدتين, حيـث إنّهمـا طبعاها بطابعهما الخاص , وحمّلاها شحنات دلاليّة خاصّة تعبّر عن رؤاهما الشّعريّة ممـا أدى إلى شيوع هذه الأبيات وسيرورتها . ويلاحظ أنّ أبا تمّام قد نوّع أكثرمن المتنبّي فـي تناصّاته , حيث حشد عدداً من أسماء الشّعراء المشهورين في البيـت الواحـد , واقتـدى بمسلك الشخصيّة الّتي يتحدث عنها بإشارات شديدة الإيجاز, سريعة اللّمح , ولم يقتـصر أبو تمّام على حشد هذه الأسماء بل تطرّق إلى الإشارة إلى ما يقترن بها بحادثة أو موقـف معين عرف عنها , وكأنه يعرض معرفته الواعية بكل ما يحيط بهم .

---

[1]) إبراهيم , نوال مصطفى , ***المتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي*** / 67 – 68.

خاتمة

لقد أدرك النّقاد القدماء والمحدثون أهمية التّراث الشّعري في عمليّة النّظم , فعرفوا أهمّيته للمحافظة على أصالة العمل الأدبيّ الّذي لا يمكن أن يصدر من فــراغ ثقــافيّ أو اجتماعيّ , فأدركوا أنّ أفضلية الشّاعر وريادته تكمن في قدرته على اســتيعاب التُّــراث وحفظه , لا بقصد المحاكاة , وإنّما بالقدرة على البناء عليه , ممّا جعلهــم يبيحــون أخــذ الشّعراء عن بعضهم بعضاً ضمن شروط ومعايير تحكم هذا الأخذ , وبخاصّــة أنّ مجــال المعاني قد ضاق على الشّاعر المحدث , لأنّ من تقدّمه قد استغرق المعاني , وسبق إليها, وأتى على معظمها.

فالتّراث له سيطرته الّتي تجذب كلّ الشّعراء , وهذا لا يعني أن يقع الشّاعر ضحيّة لاستعباد هذا التّراث , فالشّاعر المجيد هو من يستطيع أن يطوّع هذا التّراث في خدمة فنّه دون أن يفنى فيه . فالاتّكاء على التّراث لا ينفي عظمة الشّاعر , ولا يذيب شخصيّته, ولا يحوّل الشّاعر إلى نسخة مكرّرة عن الآخرين , فالشّاعر المبدع والمميز لا يتوقّــف عنــد استيعاب التّراث بل عليه أن يجمع بين تجاربه وتجارب القدماء , ويــستغلّ قدراتــه فــي معالجة كلّ ما هو موروث , وإخراجه بشكل جديد يناسب عصره .

وكان التّراث الدّيني من الرّوافد المهمّة الّتي ساهمت في إثراء موهبة كلّ مــن أبــي تمّام والمتنبّي الذّاتية وإطارهما الثّقافي في تكوين أسلوبهما الخاصّ , وتمثّــل ذلــك فــي الاستكثار من استيحاء ألفاظ القرآن الكريم , ومعانيــه وصــوره , وتلميحاتــه وإشــاراته وقصصه ومواقفه , والأحاديث النّبويّة , وألفاظ أهل الكتاب وقصصهم . واســتثمار ذلــك كلّه في التّعبير عن معانيهما وأفكارهما والكشف عن شعورهما وانفعالاتهما وتقديم رؤاهما وتشكيلاتهما الشّعرية .

وقد جاء توظيف التّراث الدّيني في شعر أبي تمّام والمتنبّي بشكل مدروس ليتّسق ما يأخذانه مع ما يقولانه . ممّا يدلّ على أصول الثّقافة الدّينية لديهما وعلى أصالة هذا المصدر .

وكان المتنبّي أقلّ تأثّراً بآيات القرآن الكريم في شعره من أبي تمّام رغم غلبة الطّابع الدّيني على عصره وانتشار الفتوحات الإسلاميّة , والجهاد ضدّ الرّوم , وانتشار الوعي الإسلاميّ وذلك لأنّ المتنبّي يركّز في مدائحه وبخاصّة لسيف الدّولة على بطولاته وشجاعته وتمثّله للبطولة والقيم العليا , وهوالطّابع العام الّذي يغلب على شعره . وهو في هذا النّهج قد خالف شعراء المديح الّذين كانوا يخلعون على ممدوحيهم الصّفات الدّينية .

وتواصل أبوتمّام والمتنبّي مع التّراث الأدبيّ بمختلف أشكاله وأنواعه وبخاصّة الشّعري , حيث تأثرا بأشعار السّابقين , فأصبحت ألفاظهم وتراكيبهم ومعانيهم وإيقاعاتهم مادّة ترفدهما بقصد أو بغير قصد جاعلين النّص المستدعى جزءاً لا يتجزّأ من مكوّنات نصوصهما الشّعرية ممّا منحها حيويّة وخصوبة . غير أنّ أبا تمّام ركّز في تواصله بالتّراث الأدبيّ على مواقف الشّعراء وقصصهم بشكل أكبر . وتميّز بتوظيف الأدباء من خطباء وبلغاء وكتّاب , وشخصيات تميّزت بصفات خاصّة .

أمّا بالنّسبة للتّراث التّاريخيّ والأسطوريّ , فقد كان لهما حضور بارز في شعر أبي تمّام والمتنبّي من حيث توظيف الشّخصيات والأحداث التّاريخية والأنساب وبعض الأساطير , ممّا يعكس ثقافتهما التّاريخيّة والأسطوريّة , واستثمارها وتوظيفها بما يخدم بناء النّص الشّعري , وقدرتهما على نظم الموروث شعراً وتطويعه في سياقهما الشّعري والشّعوري . غيرأنّ تأثر المتنبي بالتّاريخ كان أقل من أبي تمّام , وقد يكون مردّ هذه الظّاهرة إلى انصرافه إلى التّغني بالأمجاد الحاضرة , فاستغنى بذلك عن التّطلع لماضيه .

وأثّر التّراث في التّشكيل الفنّي للقصيدة , حيث التزم أبو تمّام والمتنبّي في أغلب قصائدهما الجادة وموضوعاتها الرّسميّة ببناء القصيدة التّقليدي , فتمسّكا بالمقدمات الموروثة المألوفة , فبدآ قصائدهما بالوقوف على الأطلال ووصف آثار الدّيار , بيد أنّ هذه المطالع جاءت في صورة جديدة , صورة محافظة على الشّكل الخارجيّ والهيكل العام للمطلع مع التّعديل والتّحوير والتّجديد في تفاصيلها وأجزائها, حيث وظّفا فيها التّراث بمختلف أشكاله وأنواعه : " الدّيني والأدبيّ والتّاريخيّ والأسطوريّ " , وكذلك فعلا في التّخلّص والخاتمة . وعلى الرّغم من بنيتهما الدّاخلية للقصيدة بنسيج لغويّ خاصّ , ومنهج جديد في خلق الصّورة , فإنّهما يخضعان إلى حدّ كبير لمقاييس القدماء في البنية الخارجيّة للقصيدة على مستوى الموضوع والوزن والقافية والبناء الفنيّ , وبخاصّة في قصيدة المدح.

وتأثّرأبو تمّام والمتنبّي في لغتهما بالتّراث وبخاصّة معجم الشّعراء السّابقين , والظّواهر اللّغوية الّتي استخدموها , كالمحسّنات البديعيّة من طباق وجناس وتكرار ..... الخ .

وقد ساهم التّراث أيضاً في تشكيل الصورة الشّعرية عند أبي تمّام والمتنبّي , فكانت الصّورة الشّعرية في مجملها امتداداً لصور السّابقين ولغتهم , فأجادا في بعضها , وابتدعا بعضها تبعاً لمعطيات عصرهما وثقافتهما ورؤيتهما وموقفهما , حيث استطاعا أن يولّدا من التّصوير تصويراً , ومن التّعبير تعبيراً جديداً , فالنّص اللاحق يتداخل مع النّص السّابق في لغته وصوره ومعانيه . ممّا أدى إلى إثراء النّص الشّعري عندهما , وتشكيل متن القصيدة تشكيلاً طبيعياً .

وقد بيّنت الدّراسة أن النّصوص تتعالق مع بعضها بعضاً , وكلّ نصّ يحيل إلى نصّ آخر, فلا وجود لنصّ بكر عدا النّصوص المقدّسة الّتي ليست من صنع البشر.

وأخيراً فإنّ الدّراسة أظهرت أن التّناص قدر كلّ النّصوص بقصد أو بدون قصد , وأنّ النّص عبارة عن تداخلات تناصيّة متعدّدة , فالنّص لوحة فنّيّة فسيفسائيّة يتشكّل من نصوص متعدّدة , متداخلة مختزنة في ذاكرة المبدع . ممّا ينفي عن الشّاعرين الكبيرين أبي تمّام والمتنبّي تهمة السّرقة الّتي ألصقت بهما , لأن الشّاعر مهما بلغ من شاعريّة , لايمكن بأيّ حال من الأحوال أن ينفصل عن تراثه السّابق والمعاصر له , فيأخذ منه ما يخدم رؤيته الشّعرية فيعيد تشكيلة وتأليفه بسياقات لغويّة جديدة يعبّر من خلالها عن انفعالاته ومشاعره .

وبعد , فإنّني لا أدّعي بأنّ هذه الدّراسة المتواضعة هي الفصل في دراسة حركة التّراث في شعر أبي تمّام والمتنبّي , فما قدمته الدّراسة غيض من فيض , فإن أصبت فبتوفيق من الله , وإن مسّها قصور أوفتور فمنّي , فالكمال لله وحده , ولا بدّ للنّقد أن يمارس سلطته ويقوّم المعوجّ .

والله الموفق .

المصادر والمراجع

1. ***القرآن الكريم***

2. الآمدي , الحسن بن بشر (ت 370هـ) , ***الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري , تحقيق السيد أحمد صقر , دار المعارف (د.ط) , القاهرة , 1961م.***

3. إبراهيم , محمد أبو الفضل وآخر , ***أيام العرب في الإسلام*** , (د,ط) , بيروت,(د. ت).

4. إبراهيم , نوال مصطفى , ***المتوقع واللامتوقع في شعر المتنبي , دار جرير للنشر والتوزيع ط1, عمان , 2008 .***

5. الأتابكي, جمال الدين(ت 874 هـ) , ***النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*** , مطابع كوستاتسوماس وشركاه ,(د . ط) , القاهرة , (د .ت) .(1- 12) .

6. ابن الأثير, ضياء الدين نصرالله بن محمد (ت 637 هـ) , ***المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر***, تحقيق *محمد محيي الدين عبد الحميد , المكتبة العصرية* (د.ط), بيروت , 1995 م. (1 – 2).

7. ابن الأثير , علي بن محمد (ت630هـ) , ***أسد الغابة في معرفة الصحابة*** , تحقيق خليل مأمون شيحا , دار المعرفة ط3 , بيروت – لبنان , 2007 . (1-5).

8. ابن الأثير , عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت 774هـ) , ***البداية والنهاية*** , تحقيق مصطفى بن العدول , دار ابن رجب ط1 , المنصورة , 2005 . (1- 14)

9. ابن الأثير , مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت 606 هـ) , ***النهاية في غريب الحديث*** , تحقيق طاهر أحمد الزادي وآخر, دار إحياء التراث العربي (د .ت) , بيروت – لبنان (د . ط) .

10. الأحوص , ***شعر الأحوص الأنصاري*** , تحقيق عادل سليمان جمال , المكتبة العربية (د.ت) , القاهرة , 1970 م .

11. الأخطل, ***الديوان*** , تحقيق سوزان عكاري دار الفكر العربي بيروت ط1 2003.

12. الأرناؤوطي , هدى , ***ثقافة المتنبي وأثرها في شعره***,(د.ط), (د . ت) .

13. الأزدي , أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275 هـ) , ***سنن أبي داود*** , دار الحديث (د.ت) حمص – سوريا ,(د . ط) , (1 – 5) .

14. الأصفهاني , أبو الفرج (ت356 هـ)***الأغاني*** , تحقيق إحسان عباس وآخرون , دار صادر ط1 , بيروت 2002 م.(1- 25) .

15. الأصفهاني ,أبو القاسم عبد الله بن محمد , ***الواضح في مشكلات شعر المتنبي*** , تحقيق محمد الطاهر بن عاشور , الدار التونسية للنشر , (د.ط) 1968 م .

16. الأصمعي ,عبد الملك بن قريب (ت 216هـ), ***الأصمعيات*** , تحقيق محمد أحمد شاكر وآخر , دار المعارف ط3 , مصر , (د.ت) .

17. الأعشى , ميمون بن قيس , ***الديوان*** , دار صادر ط3 , بيروت 2003م

18. الألباني , محمد ناصر الدين , ***صحيح الجامع الصغير وزيادته***, المكتب الإسلامي ط3 , بيروت , 1988 م . (1-2) .

19. امرؤ القيس , ***الديوان*** , دار صادر (د . ط) بيروت , 2003 م.

20. ابن أنس , مالك (ت 179هـ) , ***الموطأ*** , تحقيق لجنة من العلماء , دار الجيل ط2, بيروت , 1993 م .

21. أبو الأنوار , محمد , ***الشعر العباسي*** , مكتبة الشباب (د.ط) , القاهرة (د. ت).

22. البحتري , ***الديوان*** ,دار صادر ط1 , بيروت ,200م (1 – 2)

23. البخاري , محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256 هــ) , ***صحيح البخاري*** , تحقيق طه عبد الرؤوف سعد , مكتبة الإيمان , (د . ط) المنصورة 2003 م .

24. البديعي , يوسف , (ت 1073 هــ) , ***الصبح المنبي عن حيثية المتنبي*** , تحقيق محمد السقا وآخرون , دار المعارف ط3 , القاهرة د.ت

25. ابن برد , بشار , ***الديوان*** , شرح مهدي محمد ناصر الدين , دار صادر ط1 بيروت (د.ت) .

26. البغدادي , عبد القادر بن عمر (ت 103هــ) ***تاريخ بغداد*** , دار الكتاب العربي (د.ط) , بيروت – لبنان ,(د .ت) (1- 14) .

27. ***خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*** , تحقيق عبد السلام هارون , مكتبة الخانجي ط3 , القاهرة , 1989م.(1-4) .

28. بكار , يوسف حسين , ***بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث*** , دار الأندلس ط2 , بيروت – لبنان , 1982 م .

29. البلاذري , أحمد بن يحيى بن جابر , ***فتوح البلدان*** , تحقيق عبد الله أنيس الطباع وآخر , دا ر النشر للجامعيين (د.ط) , 1927م .

30. بنكرتن , بنيامين , ***تفسير إنجيل متى*** , ط3 , 1983م .

31. بنيس , محمد , ***ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب*** , مقاربة بنيوية تكوينية , دار العودة ط1 , 1989 م .

32. بهجت , مجاهد مصطفى , ***التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول*** , وزارة الأوقاف والشؤون الدينية , ط1 , 1982 م .

33. البهيتي , ***أبو تمام الطائي*** , حياته وحياة شعره, دار الثقافة (د.ط) , 1945م.

34. البهيقي , أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت 458 هـ) ,***السنن الصغرى*** ,

تحقيق خليل أحمد بن الحسين , دار المعرفة ط1 , بيروت , 1999م.(1-2) .

……… ***السنن الكبرى*** , تحقيق محمد عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية ط1 ,

بيروت – لبنان , 1994 م . (1 – 10) .

……… ***شعب الإيمان*** منشورات محمد علي بيضون , دار الكتب العلمية ط1 ,

بيروت , 200 م(1 – 9) .

35. تأبط شرّاً , ثابت بن جابر , ***الديوان*** , تحقيق عبد الرحمن المصطاوي , دار

المعرفة ط1 ,بيروت – لبنان 2003م .

36. والترمذي , أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة , (ت 279 هـ) , ***سنن***

الترمذي , تحقيق صدقي محمد جميل العطار وآخرون , دار الفكر (د . ط) ,

1994م .

37. التطاوي , عبد الله , ***ثقافة أبي تمام من شعره***, مكتبة غريب , القاهرة , 1984

………. ***القصيدة العباسية – قضايا واتجاهات*** , مكتبة غريب (د.ط) , القاهرة

1981 م

38. أبو تمام , حبيب بن أوس الطائي , ***الديوان*** , شرح الخطيب التبريزي , تحقيق

محمد عبده عزام , دار المعارف ط3 , القاهرة , (د.ت) . (1- 4).

39. ابن ثابت , حسان , ***الديوان*** , دار صادر (د.ط) بيروت (د.ت) .

40. الثعالبي , أبو منصور عبد الملك (ت 429 هـ) , ***يتيمة الدهر في محاسن أهل***

العصر , تحقيق مفيد محمد قميحة , دار الكتب العلمية ط1 , بيروت ,1983م(1-5)

41. الجاحظ , عمرو بن بحر (ت 255 هــ) , ***البيان والتبيين*** , تحقيــق درويــش جويدي , *المكتبة العصرية* (د.ط), بيروت , 2007 م . (1 - 4)

.... ***الحيوان*** , تحقيق عبد السلام هارون , المجمع العلمي العربــي الإســلامي ط3 , بيروت - لبنان, 1968 م .(1-8).

42. ابن أبي جرادة , الصاحب كمال الدين عمر بن أحمــد (ت 660هـــ) , ***زبــدة الحلب من تاريخ حلب*** , تحقيق سهيل زكار , دار الكتــاب العربــي ط1 , القــاهرة , 1997 م . (1-2) .

43. الجرجاني , عبد الله بن عدي بن عبد الله (ت 365 هــ) , ***الكامل فــي ضــعفاء الرجال***, تحقيق يحيى مختار عزاوي دار الفكر , (د.ت) , بيروت , 1988 م (1- 7)

44. الجرجاني ,علي بن عبد العزيز (ت 366 هــ), ***الوساطة بين المتنبي وخصومه***, تحقيق محمد أبو الفضل وآخر , منشورات المكتبة العصرية (د.ط), بيروت , 1996 م.

45. الجعافرة , ماجد ياسين , ***قراءات في الشعر العباسي*** , دار الكندي ط1 , **الأردن**, 2003 .

46. ابن جعفر , قدامة (ت 327 هــ) , ***نقد الشعر*** , تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي , دار الكتب العلمية (د.ط) ,بيروت , (د . ت) .

47. جميل بثينة , ***الديوان*** , شرح إبراهيم جزيني , دار الكتاب العربي ط1 , بيروت – لبنان , 1968 م .

48. جهاد, كاظم, ***أدونيس منتحلاً دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة يسبقها ما هو التــناص*** ,مكتبة مدبولي ط1 ,القاهرة 1993 م .

49. ابن الجهم , علي , ***الديوان*** , تحقيق خليل مردم بك , دار الآفاق الجديدة ,(د.ط), بيروت ,(د.ت) .

50. الجيلاني , ***فضل الله , الصمد في توضيح الأدب المفرد للبخاري*** , المكتبة الإسلامية (د. ت) , (د.ط) .

51. الحاتمي , محمد بن الحسن (388 هـ), ***حلية المحاضرة*** , تحقيق جعفر الكتاني, دار الرشيد للنشر (د.ت) الجمهورية العراقية 1989م .

.... ***الرسالة الموضحة*** , تحقيق محمد يوسف نجم ,دار صادر (د.ط) , بيروت 1965م.

52. الحاج , حسن حسين , ***الأسطورة عند العرب في الجاهلية*** , .المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط1 , 1988م .

53. الحاوي , إيليا , ***أبو تمام – فنه ونفسيته من خلال شعره***, دار الثقافة ط1 ,بيروت 1989م .

54. أبو الحجاج المري , يوسف بن الزكي عبد الرحمن , ***تهذيب الكمال*** , تحقيق بشار عواد معروف , مؤسسة الرسالة ط1 , بيروت 1980م (1-35)

55. ابن حجرالعسقلاني (ت 852هـ) , ***الإصابة في تمييز الصحابة*** , تحقيق خليل مأمون شيحا , دار المعرفة ط1 , بيروت – لبنان , 2004م. (1-4) .

56. ابن حجه الحموي , تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله , ***خزانة الأدب وغاية الأرب*** , تحقيق عصام شعيتو , دار مكتبة الهلال ط1 , بيروت , 1987م (1-2) .

57. ابن حزم , علي بن أحمد الأندلسي (456هـ) , ***جمهرة أنساب العرب*** , دار الكتب العلمية ط1 , بيروت , 1983 م.

58. حسن ,عبد الحميد , **الأصول الفنية للأدب** , مكتبة الأنجلو المصرية (د.ت) القاهرة 1949 م .

59. حسين , طه , ***مع المتنبي*** , دار المعارف (د .ت) , مصر , 1962 م.

60. الحطيئة , ***الديوان*** , شرح أبي سعيد السكري , دار صادر , (د . ط) , بيروت , 1967 م.

61. ابن حكيم , الطرماح , ***الديوان*** , منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي , (د.ت) , دمشق , 1968م.

62. أبو حمدة , **محمد علي** , ***في التذوق الأسلوبي واللغوي لقصيدة أبي تمام في فتح عمورية*** , دار عمار ط1 , عمان , 1998م .

63. الحمصي , ديك الجن , ***الديوان*** , تحقيق أنطوان محسن القوّال , دار الكتاب العربي ط2 , بيروت 1994 م .

64. ابن حنبل , ***مسندابن حنبل*** , دار الفكر ط2 , بيروت , 1978م .

65. ابن أبي خازم , بشر , ***الديوان*** , تقديم وشرح مجيد طراد , دار الكتاب العربي ط1 , بيروت , 1994م .

66. الخزاعي , دعبل , ***الديوان***,شرحه ضياء حسين العلمي , مؤسسة النور للمطبوعات ط1, بيروت – لبنان 1997.

67. الخزاعي , أبو الشيص , ***أشعار أبي الشيص وأخباره*** ,جمع وتحقيق عبد الله الجبوري , مطبعة الآداب في النجف الأشرف (د . ت) , بغداد 1967 م

68. ابن الخطيم , قيس , ***الديوان*** , تحقيق ناصر الدين الأسد , دار صادر ط2 , بيروت 1967 م .

69. خفاجي , محمد عبد المنعم , ***دراسات في النقد الأدبي*** , دار الطباعة المحمدية (د.ط) , القاهرة (د.ت) .

70. ابن خلدون , عبد الرحمن (ت808 هـ), ***مقدمة ابن خلدون*** , تحقيق أحمد حامد الطاهر ,دار الفجر للتراث ط1, القاهرة ,2004 م.

71. ابن خلكان , محمد بن أبي بكر , (ت 681 هـ) , ***وفيات الأعيان*** , تحقيق إحسان عباس , دار صادر ط4 , بيروت , 2005 . (1-8).

72. خليف , يوسف , ***تاريخ الشعر في العصر العباسي*** , دار الثقافة للطباعة والنشر, د.ط القاهرة , 1981م.

………… ***في الشعر العباسي نحو منهج جديد*** , مكتبة غريب , (د.ت),(د.ت).

73. الخنساء , ***الديوان*** , دار صادر(د.ط) , بيروت 1963 م.

74. الخواجا , زهدي صبري , ***موازنة بين الحكمة في شعر المتنبي والحكمة في شعر أبي العلاء المعري*** , منشوررات دار صبري للنشر والتوزيع ط2 , الرياض , 1994 م .

75. خورشيد , فاروق , ***أديب الأسطورة عند العرب*** ,مكتبة الثقافة الدينية ط1 , القاهرة , 2004 م .

76. الخويسكي , زين كامل وآخر , ***الشعر العباسي , دراسات ونصوص*** , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر , (د.ط)الإسكندرية (د.ت).

77. ابن ذريح , قيس , ***الديوان*** , تحقيق عفيف نايف حاطوم , دار صادر ط1 , بيروت 1998.

78. ذو الرّمة , غيلان بن عقبة , ***الديوان***, عني بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري هيس مكارتني , مطبعة كلية كمبردج (د.ط) , 1919 م.

79. الذهبي , شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ) , ***تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الأعلام*** , تحقيق عبد السلام تدمري , دار الكتاب العربي (د.ت) , بيروت , 2003م .(1- 45) .

.... ***العبر في تاريخ من عبر*** , تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول , دار الكتب العلمية (د.ط) بيروت(د.ت) (1-4).

80. ربابعة , موسى , ***التناص في نماذج الشعرالعربي الحديث***,مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع(د.ط) , إربد , 2000 م.

81. الرباعي , عبد القادر , ***الصورة الفنية في شعر أبي تمام*** , المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط2 , بيروت 1999 م .

.... ***الصورة الفنية في النقد الشعري*** **– دراسة في النظرية والتطبيق** ,مكتبة الكتاني (د.ت) , إربد , 1995 م .

82. الربداوي , محمود , ***الفن والصنعة في مذهب أبي تمام*** , المكتب الإسلامي , 1971م .

83. ابن أبي ربيعة , عمر , ***الديوان*** , شرح يوسف شكري فرحات , دار الجيل , بيروت , بيروت , 1990 م .

84. ابن رشيق القيرواني , علي ين الحسن (ت456 هـ), ***العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده***, المكتبة العصرية .ط1, بيروت 2001 م . (1 – 2)

85. ***قراضة الذهب في نقد أشعر العرب*** ,تحقيق منيف موسى ,دار الفكر اللبناني (د.ط) , بيروت (د.ت) .

86. ابن الرومي ,علي بن العباس بن جريج , ***الديوان*** , ضبط وشرح عمر فاروق الطباع ,دار الأرقم بن أبي الأرقم ط1 , بيروت لبنان , 200 م .

87. زراقط , عبد المجيد , ***دراسات في الشعر العباسي وأعلامه*** , دار ابن باديس ط1 , بيروت 200 م .

88. الزمخشري ,أبو القاسم جار محمود بن عمر (ت 538) , ***المستقصى من أمثال العرب*** , دار الكتب العلمية ط2 , لبنان , 1977 م . (1-2) .

89. ***الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*** , تحقيق عبد الرازق المهدي , دار إحياء التراث العربي , (د.ط) , بيروت (د.ت) . (1-4).

90. ابن زهير ,كعب , ***الديوان*** , تحقيق أنطوان القوال , دار الفكر العربي ط1 , بيروت 2003

91. ابن سعد , محمد (ت 230) , ***الطبقات الكبرى*** , دار صادر (د.ط) , بيروت 1960م.(1-8) .

92. السعدني , صلاح , ***التناص الشعري قضية أخرى لقضية السرقات*** ,منشأة المعارف (د.ط) , الإسكندرية – مصر , 1991

93. السعدني , مصطفى , ***قراءة المعنى الشعري*** – رؤية حديثة لقضية قديمة في ضوء شرح مشكلات ديوان أبي تمام للمرزوقي , منشأة دار المعارف , الإسكندرية , 1994م.

94. ابن سلام ,محمد(232هـ), ***طبقات فحول الشعراء , دار المدني*** (د . ط) , جده (د . ت) .

95. سلطان , منير , ***الصورة الفنية في شعر المتنبي*** , منشأة المعارف , الاسكندرية, 2002 م.

96. ابن أبي سلمى , زهير, ***الديوان*** , شرح أبي العباس ثعلب بن يحيى بن زيد الشيباني , الدار القومية للطباعة والنشر (د.ط) القاهرة 1994 م .

97. السلمي , أشجع , ***الديوان*** , تحقيق خليل بنيان الحسون , دار المسيرة ط1 , بيروت , 1981م .

98. السمرة , محمود ,***عبد القاهر الجرجاني – الأديب الناقد***, المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ط1, بيروت ,1969 م .

99. ***مدخل إلى النقد الأدبي*** , وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب ط1 , سلطنة عمان , 1985م .

100. ابن سنان الخفاجي , محمد بن عبد الله (ت 466هـ) , ***سر الفصاحة*** , تحقيق عبد المتعال الصعيدي ,مكتبة ومطبعة صبح (د.ط), مصر , 1952 م .

101. السيد الحميري , ***الديوان*** , تحقيق شاكر هادي شكر , دار مكتبة الحياة , (د . ط) بيروت (د.ت)

102. السيوطي , جلال الدين وآخر , ***تفسير الجلالين*** , تصنيف أبي عبيدة هاني الحاج , دار الكيان ط2 , الرياض , 2006 م .

103. ***تفسير وبيان القرآن الكريم مع بيان أسباب النزول*** , إعداد محمد حسن الحمصي (د.ط), (د.ت).

الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير , دار الفكر ط1 , بيرروت – لبنان 2003 م(1- 3)

104. شعيب , محمد عبد الرحمن , ***المتنبي بين ناقديه بين القديم والحديث*** , دار المعارف , (د . ت) , مصر , 1964 م .

105. شلبي , سعد إسماعيل , ***مقدمة القصيدة في شعر أبي تمام والمتنبي*** , مكتبة غريب (د .ت) (د.ط)

106. أبو شوارب , محمد مصطفى , ***شعرية التفاوت*** – مدخل لقراءة الشعر العباسي , دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر(د.ط) , الإسكندرية 2002م .

107. ابن أبي شيبة , أبو بكر عبد الله بن أبي محمد العبسي الكوفي (ت 235هـ) , ***مصنف ابن أبي شيبة*** , تحقيق محمد عوامه مطبعة الدار السلفية الهندية القديمة دار القبلة (د.ط) , (د.ت) .

108. الصالحي , محمد بن طولون (ت 953 هـ), ***الشذرة في الأحاديث المشتهرة***, تحقيق كمال بسيوني زغلول , دار الكتب العلمية ط1 , بيروت – لبنان , 1993 م

109. الصفدي , صلاح الدين خليل بن أيبك ,***الوافي بالوفيات*** , اعتناء أيمن فؤاد سيد,دار صادر ط2 , بيروت , 1992 م .(1 – 22) .

110. الصقلي المغربي ,أبي علي الحسين بن عبيد الله (ت 392 هـ), ***التكملة وشرح الأبيات المشكلة من ديوان أبي الطيب المتنبي*** , تحقيق أنوار أبو سويلم , دار عمار للطباعة والنشر (د.ت) دار عار للطباعة والنشر (د.ت) .

111. ابن أبي الصلت , *أمية* , **الديوان** , تقديم وتعليق سيف الدين الكاتب وآخرون , دار مكتبة الحياة (د. ت) بيروت - لبنان , (د.ط) .

112. الصولي , أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335هـ) , ***أخبار أبي تمام*** , تحقيق خليل محمود عساكر وآخرون , المكتب التجاري (د.ط) , بيروت (د.ت)

113. ابن ضرار , الشماخ , ***الديوان*** , شرح وتقديم قدري مايو , دار الكتاب العربي (د.ت) , بيروت – لبنان , 2004 م .

114. ضيف ,شوقي , ***الفن ومذاهبه في الشعر العربي*** , دار المعارف , ط 10 , 1960.

115. الطائي , حاتم , ***الديوان*** , **شرح إبراهيم الجزيني , دار الكاتب العربي ط1 , بيروت لبنان 1968م .**

116. ابن طباطبا , ***محمد بن أحمد ,(ت 322هـ) , عيار الشعر***, تحقيق عباس عبد الساتر , دار الكتب العلمية ط1 , بيروت _ لبنان , 1982م .

117. الطبري , ***أبي جعفر محمد بن جرير (ت 210 هـ) , جامع البيان*** , دار الفكر , (د.ت) , 1988 م (1 – 15) .

118. ***تاريخ الطبري , تاريخ الأمم والملوك*** , دار الكتب العلمية ط1 , بيروت 1407هـ(1-5).

119. ابن الطفيل , عامر , ***الديوان*** ,رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب , دار صادر (د.ط) , بيروت 1963.

120. العامري , لبيد بن أبي ربيعة , ***الديوان*** , قدم له إبراهيم جزيني , دار القاموس الحديث بيروت .

121. العاملي , بهاء الدين محمد بن حسين , ***الكشكول*** , تحقيق محمد عبد الكريم النمري , دار الكتب العلمية ط1 , بيروت لبنان 1998 (1 – 2)

122. عباس ,إحسان , ***تاريخ النقد الأدبي عند العرب*** , دار الشروق للنشر والتوزيع ط1 , رام الله , 2006 م.

123. أبو العباس , أحمد بن محمد بن المهدي , البحر المديد , دار الكتب العلمية ط2 , بيروت , 2002 م . (1 – 8) .

124. ابن العبد , طرفة , ***الديوان*** , تحقيق وشرح نخبة من الأدباء دار الفكر للجميع بيروت 1968 م .

125. ابن عبد ربه , أحمد بن محمد , ***العقد الفريد*** , شرح أحمد أمين وآخرون , مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ط2 , القاهرة , 1956م .(1-9).

126. عبد المطلب , محمد , ***هكذا تكلم النص*** , الهيئة المصرية العامة للكتاب(د.ط) , مصر, 1997م .

127. العبسي ,عنترة بن شداد, ***الديوان*** , دار صادر , (د.ط) بيروت , 1958 م.

128. أبو العتاهية , ***أشعاره وأخباره*** ,تحقيق شكري فيصل , مطبعة جامعة دمشق , (د.ط) , دمشق ,ا965 م .

129. العجلوني , إسماعيل بن محمد, (ت 1162هــ) ***كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس*** , دار إحياء التراث العربي ط3 , بيروت 13551هــ (1-2) .

130. ابن العديم , عمر بن أحمد , ***بغية الطلب في تاريخ حلب*** , تحقيق سهيل زكار , دار الفكر (د.ط) , بيروت – لبنان (د.ت).(1-12) .

131. عزام , عبد الوهاب , ***ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام*** , دار المعارف ط3 , مصر (د.ت) .

132. أبو عزيز , سعد يوسف , ***قصص القرآن*** , دار الفجر للتراث ط2 , القاهرة , 2004 م .

133. ابن عساكر , علي بن الحسن الشافعي (ت 571هـ) , ***تاريخ مدينة دمشق*** , تحقيق عمر بن غرامة العمروري , دار الفكر (د.ت)بيروت – لبنان 1995م (1 - 70)

134. العسكري , الحسن بن عبد الله, ***الصناعتين*** (ت 395 هـ) , تحقيق مفيد قميحة, دار الكتاب العلمية ط2 , بيروت – لبنان , 1989م.

135. ابن عطية , جرير , ***الديوان*** , شرح محمد بن حبيب , تحقيق نعمان محمد أمين طه , دار المعارف , (د.ط) , مصر , (د.ت) ,(1-3)

136. علوش , سعيد, ***معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة*** , دار الكتاب اللبناني ط1 , بيروت – لبنان , 1985 م

137. علي , محمد كرد , ***رسائل البلغاء*** (المدبر , *إبراهيم بن محمد* ,(ت 279هـ) ***(الرسالة العذراء***) , لجنة التأليف والترجمة والنشر ط3 , القاهرة , 1946 م .

138. ابن العماد , شهاب الدين عبد الحي بن أحمد (1089 هـ) , ***شذرات الذهب في أخبار من ذهب*** , تحقيق عبد القادر الأرناؤوط , دار ابن كثير ط1 , بيروت 1981م (1- 10) .

139. العميدي , محمد بن أحمد , ***الإبانة عن سرقات المتنبي*** ,تحقيق إبراهيم الدسوقي البساطي , دار المعارف (د. ط), مصر 1961 م.

140. العيني , بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد , ***عمدة القاري شرح صحيح البخاري*** , مراجعة صدقي جميل العطار , دار الفكر ط1 , 1968 م . (1- 16).

141. الغذامي , عبدالله , ***الخطيئة والتفكير***(من البنيوية إلى التشريحية) الغذامي , عبدالله , ***الخطيئة والتفكير***(من البنيوية إلى التشريحية) , كتاب النادي الثقافي ط1 , جدة السعودية 1985 م.

142. الغنوي , كعب بن سعد , ***الديوان***, تحقيق عبد الرحيم الوصيفي , مكتبة الآداب ط1 , القاهرة , 1998 م.

143. الفرزدق , ***الديوان*** , تحقيق كرم البستاني , دار صادر(د . ط), بيروت,(د . ت)

144. فريد بك ,محمد , ***تاريخ الدولة العلية العثمانية*** , دار النفائس (د.ط) , بيروت (د .ت) .

145. ابن قتيبة , عبد الله بن مسلم (ت276 هـ) , ***الشعر والشعراء***, تحقيق أحمد محمد شاكر , دار الحديث ط 2 , القاهرة , 2006(1-2) .

146. ابن قدامة , جعفر ,(327 هـ) , ***نقد الشعر*** , دار الكتب العلمية ,(د .ط) , بيروت (د.ت) .

147. القرشي , محمد بن أبي الخطاب (ت 170 هـ) , ***جمهرة أشعار العرب*** , دار المسيرة ط1 , ؟بيروت , 1978م .

148. القرطاجني ,أبي الحسن حازم (ت 684 هـ) , ***منهاج البلغاء وسراج الأدباء*** , تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة , دار الكتب الشرقية (د.ط) , (د.ت) .

149. القزويني , جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 539 هـ) , ***الإيضاح في علوم البلاغة*** , وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين , دار الكتب العلمية ط1 , بيروت – لبنان 2003م .

150. القزويني , أبي عبد الله محمد بن يزيد (ت257 هـ) , ***سنن ابن ماجة*** , تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي , دار إحياء التراث العربي (د . ت), (د . ط) , (1 -4)

151. القلقشندي , أحمد بن علي , ***صبح الأعشى في صناعة الإنشا*** , تحقيق يوسف علي طويل , دار الفكر ط1 , دمشق 1971 . (1- 14).

152. كبابة , وحيد صبحي , ***الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس*** , منشورات اتحاد الكتاب العرب , (د .ت) , 1999 .

153. كبريت , سمير محمد , ***المتنبي*** , دار المعرفة ط1 , بيروت – لبنان .(د.ت)

154. الكتبي , محمد شاكر (ت 764 هـ) , ***فوات الوفيات*** , تحقيق إحسان عباس , دار صادر,(د.ط) , بيروت (د.ت) .(1- 5) .

155. كثيرعزة , ***الديوان*** , جمعه وشرحه إحسان عباس , دار الثقافة , بيروت – لبنان , 1971م .

156. ابن كثير أبي الفداء إسماعيل , ***تفسير القرآن العظيم*** , تحقيق عبد الرازق المهدي (ت 774 هـ) دار الكتاب العربي (د. ت) , بيروت 2005 م. (1 – 6) .

157. ***قصص الأنبياء*** , تحقيق عصام الدين الصبابطي , دار الفكر للتراث ط1 , القاهرة (د . ت).

158. كحالة , عمر رضا , ***معجم قبائل العرب القديمة والحديثة*** , مؤسسة الرسالة ط8 , بيروت 1997م . (1-5) .

159. ابن كلثوم , عمرو , ***الديوان*** , تحقيق إميل بديع يعقوب , دار الكتاب العربي ,
(د.ت) , بيروت , 2006 م

160. ماضي , شكري عزيز , ***من إشكاليات النقد العربي الجديد***, المؤسسة العربية
للدراسات والنشر ط1 , بيروت 1997م .

161. ابن مالك , كعب , ***الديوان*** , تحقيق مجيد طراد , دار صادر ط1 , بيروت ,
1997 م .

162. المبرد , محمد بن يزيد (ت 285 هـ) ,***الكامل في اللغة***, تحقيق محد أبو
الفضل إبراهيم دار الفكر ط3 القاهرة 1997م (1-

163. المتقي , علاء الدين علي بن حسام الدين (ت 975 هـ) , السيوطي , ***كنز
العمال في سنن الأقوال والأفضال*** , تحقيق بكري حباني وآخر , مؤسسة الرسالة طـ
5 , 1981 م . (1 – 8) .

164. المتنبي ,أحمد بن الحسين , ***الديوان*** , بشرح أبي البقاء العكبري , ضبط وتصحيح
مصطفى السقا وآخرون , دار المعرفة (د.ط) , بيروت – لبنان (د.ت) .

165. مراشدة , عبد الباسط , ***التناص في الشعر العربي الحديث*** – *السياب ودنقل
ودرويش أنموذجاً* , دار ورد للنشر والتوزيع , ط1 , عمان , 2006 م.

166. المرزباني , محمد بن عمران (ت 384 هـ) , ***الموشح في مآخذ العلماء على
الشعراء*** , تحقيق محمد حسين شمس الدين , دار الكتب العلمية ط1, بيروت 1995م

167. المسعودي , علي بن الحسين (ت 346), ***مروج الذهب ومعادن الجوهر*** ,
تحقيق محيي الدين عبد الحميد , دار المعرفة ,(د.ط) , بيروت , (د.ت) .

168. ابن المعتز ,عبد الله , ***البديع*** , نشر أغناطيوس كراتشوفسكي (د.ط) ,لندن , 1935 م .

169. ***ديوان ابن المعتز***, تحقيق محمد بديع شريف , دار المعارف , مصر.(1-2)

170. ***طبقات الشعراء*** , دار العارف ط4 , القاهرة , (د . ت) .

171. المعري , أبو العلاء , ***ديوان سقط الزند*** , دار صادر , (د.ت) , بيروت , 1963 م .

172. ابن معمر , جميل , ***الديوان*** , شرح إبراهيم جزيني, دار الكتاب العربي ط1 , بيروت , 1968م .

173. ابن الملوح , قيس , ***الديوان*** , شرح عدنان زكي درويش , دار صادر , (د.ت) , بيروت 1994م .

174. مناع , هاشم صالح , ***أبوتمام الطائي – حياته وشعره*** - , دار الفكر ط1 , بيروت , 1994م

175. المنذري , زكي الدين عبد العظيم ***مختصر صحيح مسلم*** , تحقيق محمد ناصر الدين الألباني , منشورات لجنة إحياء النة (د . ت) , (د. ط) .

176. ابن منظور , محمد بن مكرم , ***لسان العرب*** , اعتناء أمين محمد عبد الوهاب وآخر , مؤسسة التاريخ العربي ط3 , بيروت , (د.ت) , (1-18) .

177. ابن منظور المصري , ***أبو نواس*** في تاريخه وشعره ومباذله وعبثه ومجونه, قدم له عمر أبو النصر , دار الجيل (د.ط) , 1975 م .

178. منير , سامي , ***ملامح وحدة القصيدة في الشعر العربي بين القديم والحديث*** , الهيئة المصرية للكتاب ط1 , فرع الإسكندرية 1989 م .

179. المولى , محمد أحمد جاد وآخرون, ***أيام العرب في الجاهلية*** ,دار إحيـــاء الكتـــب العربية (د.ت) , مصر (د.ط) .

180. الميداني , أحمد بن محمد , ***مجمع الأمثال***, تحقيق محمد أبو الفـــضل إبـــراهيم , المكتبة العصرية ط1 , صيدا – بيروت , 2007 م . (1 – 4) .

181. النابغة الذبياني , ***الديوان*** , تحقيق كرم البستاني , دار صادر , بيروت 1963 م

182. ابن ناصر الدين , محمد بن عبد الله (ت842هـ) ***توضيح المشتبه فـــي ضـــبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم*** , تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ,مؤســـسة الرســـالة ط1 , بيروت 1993م .(1 -9) .

183. نافع , عبد الفتاح صالح , ***لغة الحب فـــي شـــعر المتنبـــي*** , دار الفكـــر للنـــشر والتوزيع ط1 , عمان , 1983م .

184. ناهم , أحمد , ***التناص في شعر الرواد*** ,دار الشؤون الثقافية العامة ط1 , بغـــداد , 2004 م .

185. النديم , أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق الوراق , ***الفهرست*** , تحقيق رضا تجددّ بن علي دار المسيرة ط3 , بيروت , 1988 م .

186. نعجه , فتحي أسعد إسماعيل , ***الشخصية الإسلامية في شـــعر المتنبـــي*** , ط1 , عمان , 2000 م .

187. أبو نواس , ***الديوان*** , شرح علي فاعور , دار الكتب العلميـــة ط3 , بيـــروت – لبنان 2002 م .

188. النويري , شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب , ***نهاية الأرب في فنـــون العـــرب*** , تحقيق مفيد قمحية وجماعة , دار الكتب العالمية ط1, بيـــروت – لبنـــان , 2004م . (1- 33).

189. النيسابوري , أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري , ***صحيح مسلم*** , دار الفكـــر ط3 , بيروت , 1978 م . (1 – 18) .

190. الهاشم , جوزف , ***أبو الطيب المتنبي*** – شاعر الطموح والعنفوان , دار المفيد , (د. ت) , لبنان , (د .ط).

191. ابن هشام , عبد الملك , ***السيرة النبوية*** , تحقيق عادل أحمد عبد الموجود , مكتبة العبيكان ط1 , 1998 م .(1 – 4).

192. هلال , هيثم , ***أساطير العالم***, دار المعرفة ط1 , بيروت – لبنان , 2004 م .

193. الهمداني ,محمد بن عبد الملك بن إبراهيم (ت 521هـــ) , ***تكملة تاريخ الطبري***, تحقيق ألبرت يوسف كنعان , المطبعة الكاثولوكية , (د .ط) , بيروت , 1958م

194. ابن الورد ,عروة , ***الديوان*** , دار صادر ,(د.ط) , بيروت 1964 م .

195. وضاح اليمن , ***الديوان*** , تحقيق محمد خير البقاعي , دار صـــادر ط1 ,بيـــروت 1996 م .

196. ابن وكيع , الحسن بن علي (393 هــ), ***المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي*** , تحقيق محمد يوسف نجـــم , دار صـــادر (د.ط) بيروت (د.ت) .(1-2).

197. ابن , الوليد ,مسلم , ***الديوان*** , تحقيق سامي الدهان , دار المعارف ط3 , القـــاهرة (د.ت) , (1- 3).

198. ياقوت الحموي , شهاب الدين , ***معجم البلـــدان*** , دار صـــادر (د.ط) , بيـــروت , 1957م .

199. ابن يعمر , لقيط , ***الديوان*** ,تحقيق محمد التـــونجي , دار صـــادر ط1 , بيـــروت 1998 م .

200. ***تفسير العهد الجديد*** , بيروت , 1877 م.

الرسائل الجامعية :

1. جوخان , إبراهيم عقله عبد الرحمن , ***التناص في شعر المتنبي*** , رســالة دكتـــوراه , جامعة اليرموك , إربد – الأردن , 2006 م.
2. الرباعي , ربا عبد القادر, ***التضمين في التراث النقدي والبلاغي*** , رسالة ماجستير , جامعة اليرموك ,إربد – الأردن 1997م.
3. العزام , محمود عيسى محمد , ***الشاهد الأدبي في النقد العربي القديم مفهومه ووظيفته*** , رسالة ماجستير , جامعة اليرموك - إربد , 1999 م .
4. كنعان , محمد دروبي سالم , ***المختارات الشعرية ومعاييرها النقدية حتى نهاية القرن الرابع الهجري***, رسالة ماجستير, جامعة اليرموك, إربد , 1983م
5. هلال , ريم عبد القادر , ***حركة النقد العربي الحديث حول الشعر الجاهلي*** , رسالة دكتوراه ,جامعة تشرين ,1998م .

الدوريات:

1. اصطيف , عبد النبي , ***التناص***, راية مؤتة , مجلد2 , عدد2 , 1993 م .
2. عبد الرحمن ,نصرت , المطر - ***مواضع وروده في مواضع الشعر الجاهلي*** - , دراسات –مجلة علمية تصدر عن الجامعة الأردنية م 6 ع1 أيار 1979 م.

3. العزاوي , نعمة , ***لغة الشعر عند أبي تمام*** , المورد م 25 ع2 1997م.

4. عياش , ثناء نجاتي , ***التناص الديني في شعر رزّيك*** , مجلة الجامعة الأردنية لدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية , م23 , ع 2 , 2005 .

5. غضبة , عبد الرحمن , ***استلهام التراث في شعر أبي تمام*** , مجلة مركز الوثائق والدراسات الإنسانية , جامعة قطر , السنة3 , العدد 3 ,1991 م .

6. القمري , بشير , ***مفهوم التناص بين الأصل والامتداد*** , الفكر العربي المعاصر / عدد (60 -61) , 1989 م .

7. الكبيسي , طراد , ***التناص في القصيدة العربية الحديثة***, الأقلام , ع (11 – 12) , 1987م.

8. الموسى , خليل , ***التناص والأجناسية في النص الشعري*** , الموقف الأدبي , عدد 305 , 1996 م.

9. هدارة , محمد مصطفى , ***الأبعاد النظرية لقضية السرقات وتطبيقاتها في النقد العربي القديم*** , مجلة فصول م6 , ع1 , 1985 م .

10. هلال , ريم عبد القادر , ***حركة النقد العربي الحديث حول الشعر الجاهلي***, رسالة دكتوراه,جامعة تشرين ,1998م .

الانترنت

1. ar.wikipedia.org/wiki/عنقاء - 50k - Cached

2. www.amwague.com/amwague/17/derasat.asp - Cached

ABSTRACT

The heritage movement in the poetry of Abu Tamam and Mutanabi

The research includes an introduction and four chapters. The researcher allocated the introduction to talk about the position of the ancient critics from the heritage, describing the importance of the poet's culture, and the position of modern critics of taking from heritage. In the fourth chapters, the original research material was distributed.

In the first chapter of the research, the researcher talked about the impact of the religious heritage in terms of the activation of the Quranic text, its pronunciation, its meaning and image, and stories relate to it.

She also talked about the activation of the prophet's sayings "Hadith" and the contact with the bible (the New Testament & the Old Testament).

While she allocated the second chapter for the literary heritage in the poetry of Abu Tamam and Mutanabi. She talked about the poets' stories, their positions, attitudes, utterance, meanings and images. And other writers, preachers and rhetoricians, who are famous for certain features and proverbs.

In the third chapter, she focused on the impact of the historical heritage in the poetry of Abu Tamam and Mutanabi in terms of historical figures, events and facts.

In the fourth and last chapter, the researcher discussed the impact of the heritage on the artistic shape of constructing the

poem, the language, the poetical image, quotation and inclusion, the contextual texts in the poetry of Abu Tamam and Mutanabi.

The research ended with a conclusion which includes the most important results the researcher reached in this paper.